

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 82 - SEVENTH YEAR - JANUARY. 1984.

العدد (٨٢) ـ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ ـ السنة السابعة ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٤م



كلاسيكية وعصرية وباعثة على الاعجاب.
سيكو تقدم مجموعة فاخرة من ساعات
الكوارتز للرجال في المناسبات.
كلاسيكية في اهتمامها بالتفاصيل والمهارة في دقة الصنع. وعصرية
في تصميمها الحديث وحركات كوارتز سيكو المتناهية الدقة.
وباعثة على الاعجاب بمنظرها الأنيق وهي تزيّن معصم أي رجل.
انها نخبة ساعات كوارتز سيكو للرجال في المناسبات.
SEIKO
QUARTZ
الحصيني وشركاه
سيكو
SEIKO



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 82 - SEVENTH YEAR - JANUARY. 1984. — **العدد (٨٢) ـ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ ـ السنة السابعة ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٤م**

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To: — المراسلات :

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
Riyadh-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027-TELEX 202600 DRFATH Sj

الرياض ـ المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل ص. ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R.250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

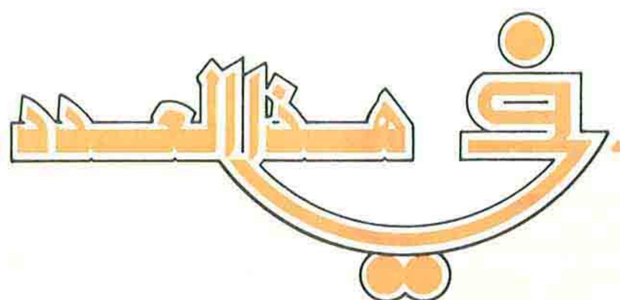
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج.ع. اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠٠ مليم	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

● أسعار الاشتراكات السنوية :

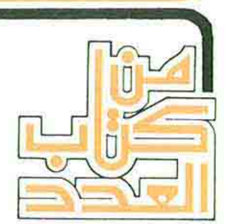
للأفراد ١٥٠ ريالا سعودياً لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

طبع في: شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)
ص.ب ٦٤٦٣ ـ الرياض، هاتف ٤٦٣٣٤٥٢، العمارية ٤٦٥٨٩٩٠



في هذا العدد



من كتاب العدد



د. الشيخ الأمين عوض الله

★ من مواليد مدينة أم درمان ــ السودان، عام ١٩٤٥م.

★ دكتوراه في الآداب (تاريخ إسلامي).

★ عمل مدرساً بوزارة التربية والتعليم بالسودان، ثم مفتشاً بوزارة الثقافة والإعلام السودانية، ثم مساعداً لمدير إدارة النشر الثقافي بمصلحة الثقافة، فمديراً لمجمع جوبا الثقافي.

★ يعمل حالياً أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بالكلية المتوسطة في مكة المكرمة ــ السعودية.

★ له بحوث ودراسات ومقالات نشرتها المجلات المتخصصة.



د. قسطندي الشوملي

★ من مواليد بيت ساحور ــ الأردن، عام ١٩٤٦م.

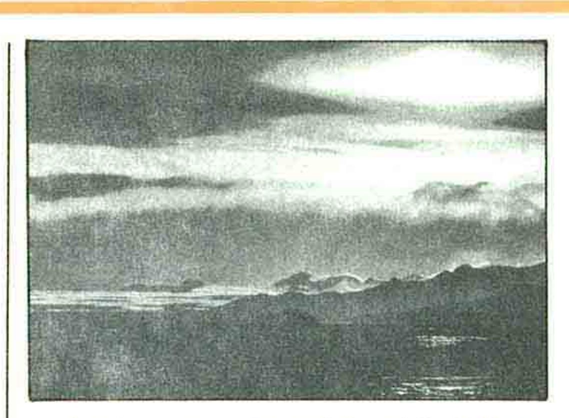
★ دكتوراه في علم اللغة .. ودبلوم دراسات عليا في الإعلام والاتصال.

★ يجيد الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية.

★ عمل مديراً لمدرسة فنية في وهران بالجزائر .. كما عمل محرراً في جريدة «العالم العربي» في كندا، فأستاذاً مساعداً في جامعة بيت لحم.

★ يعمل حالياً رئيساً لقسم اللغة العربية في جامعة بيت لحم ــ فلسطين.

★ له كتاب مطبوع وآخر تحت الطبع بعنوان «مدخل إلى علم



●● كثر الحديث في يومنا هذا عن القطب الجنوبي .. أو بالأحرى القارة القطبية الجنوبية .

تعددت الأسئلة والآراء ، حول حقيقتها وحقيقة أرضها وطبيعتها .

يقول الكثير إنها قارة سادسة ! .. ويقول آخرون .. إنها جبال من الجليد ، اجتمعت مع بعضها في هذه المنطقة ، على شكل عدة جزر جليدية . طالع ص (٢٠) .

●● في هذا اللقاء .. نسافر مع أحد مفكرينا البارزين الذين استقطبوا عناية الباحثين والأدباء ، وساهم بطاقاته في خدمة أمته وتراثها وحضارتها . إنه الدكتور ناصر الدين الأسد ، مدير جامعة عمّان في الأردن ، الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب لعام ١٤٠٣هـ . طالع ص (٥١) .



●● لقد اقترن ، بارتفاع مردود الثروة النفطية في المملكة العربية السعودية ، سرعة وسائل التحضر . وتنعكس نتائج ذلك على زيادة الطلب على المياه .. حتى أصبح موضوع توفير المياه الصالحة للشرب لسكان المدن من الموضوعات الهامة أمام سياسة الدولة وبرامجها التنموية . طالع ص (١٠٨) .

●● متحف الآثار التركية الإسلامية .. يضاهي في تطور «متحف طوب قابي سراي» .. حيث وفرت فيه الحكومة التركية كل الإمكانات لمسايرة التطور العالمي والنشر والعرض الحديث ، واكتسب المتحف شخصيته الاعتبارية المستقلة بفضل جهود العالم الإسلامي الكبير ، والفنان المبدع «أليف ناجي» منذ عام ١٩٦٤م . طالع ص (٣٠) .

حجاب يحيى الحازمي



★ من مواليد «ضمد» منطقة جازان ، عام ١٣٦٤هـ .

★ ليسانس لغة عربية .

★ عمل مدرساً للغة العربية في نجران ، ثم في ثانوية ضمد .

★ يعمل حالياً مديراً لمدرسة ضمد الثانوية .

★ له كتاب ، ومجموعة قصصية (مطبوعان) ، وله تحت الطبع كتاب بعنوان «أبجديات في الأدب والنقد» ، وكتاب «الحسن بن أحمد عاكش شاعراً» .

اللغة الحديث» .. وله مجموعة من المقالات في اللغة والأدب والنقد والإعلام والاتصال نشرت في عدد من المجلات .. وله بحثان أحدهما بالإنجليزية ، وآخر بالفرنسية .

مهندس حسن الشامي



★ من مواليد الجيزة ـ مصر ، عام ١٩٥٥م .

★ بكالوريوس هندسة ـ قسم كهرباء (اتصالات) .

★ عضو نقابة المهندسين .

★ عمل باتحاد الإذاعة والتليفزيون مشاركاً في تقديم بعض البرامج .

★ نشرت له مقالات ودراسات في مجلة «الفن الإذاعي» .

★ دورة تدريبية فنية عامة للإعلام الإذاعي ، وأخرى تخصصية في اللغة العربية والإلقاء .



جائزة الملك فيصل العالمية

في عصر الجحود والنكران .. في عصر اليأس والتشاؤم .. يبقى الفكر هو المتحرك الوحيد .. يبقى في مواجهة كل حالات الإحباطات والتردد واليأس القائم في حياة الشعوب .. فالفكر هو الرائد .. والرائد لا يكذب أهله.

وقد جاءت جائزة الملك فيصل العالمية بريادتها لتتجاوز حالات الشعور بالغبن والجحود والنكران التي يعانيها مفكرو وعلماء العرب والمسلمين ليس من أمتهم الضعيفة المهزومة فحسب ، بل من العالم الآخر المتحكم في كل شيء ، والمسيطر على كل شيء.

لقد كانوا ينظرون إلى الجوائز العالمية التي تتخطاهم لتمنح إلى من تريد ، وتحجب عن من تريد في جميع المناطق باستثناء المناطق العربية والإسلامية .. ينظرون إليها نظرة الإنسان إلى سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء .. وما هو بماء.

وكان المفكر العربي المسلم يحس أنه في آخر قائمة التركيبة الاجتماعية مع ريادة الدور الذي ينهض به في قيادة أمته .. وأصبح للمنتفعين والوصوليين والمرتزقة «مكاناً» كبيراً وسط الجوقة المطبلة ، و«مكانة» في الفتوى السياسية واتخاذ القرارات.

وكان المفكر العربي المسلم يدرك أن الحالة التي تعيشها أمته تساعد في تعطيل دوره ، وتحويله إلى فعل هامشي ، وتفريغه من محتواه وجوهره الفاعل والمؤثر.

في هذا الجو القاتم تبرز جائزة الملك فيصل العالمية قبساً صادقاً ينير صُوى الطريق ، تبرز هذه الجائزة لتؤكد أن الأمة لم تعقم ، وأنها ما زالت تلك الأرض الولود الواعدة بالثمار والعطاء .. لقد جاءت هذه الجائزة لتعيد للمفكر والعالم دوره الرائد في العطاء والقيادة .. دوره الذي أثرى بعطاءاته حضارة أمتنا التي ما زال الغرب والشرق يقتات على مائدتها.

لقد وضع العقل العربي المسلم بدايات الفكر والعلم والأدب .. وكانت بدايات رائدة ما زالت ترفد حضارة العصر بكثير من المساهمات في عدد من المجالات المختلفة .. وما زالت معطيات حضارتنا محوراً لجدل ونقاش واقتباس علماء ومفكري العصر.

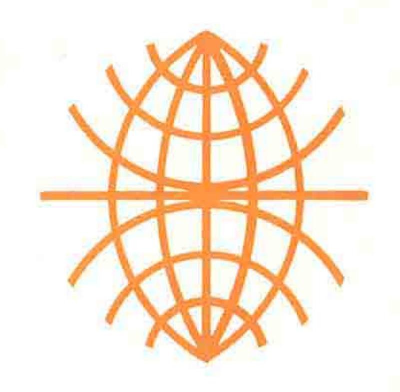
من هذه المنطلقات تجيء جائزة الملك فيصل العالمية لتنير الطريق لعلمائنا ، ولتبعث في نفوسهم تلك الروح المشتعلة بالعطاء .. وقد استطاعت رغم عمرها القصير أن تثبت وجودها في تكريم عدد من علماء العروبة والإسلام الذين أفنوا حياتهم في خدمة الفكر والعلم ، وهي لم تتوقف عند هذا الحد ، بل تجاوزته إلى عالم الإنسانية الرحب متجاوزة النعرات العنصرية ، والمذاهب السياسية ، والأيديولوجيات الاقتصادية ، تجاوزته لتكريم نفر من علماء الإنسانية في العلم والطب .. وهي بهذا التجاوز تحقق عالمية الفكر والعلم الإنساني ، وأن معطيات هذا الفكر وهذا العلم هو تراث الإنسانية كلها ، وتؤكد بعملها المتجاوز الرائد دورنا الحقيق في العطاء ، وتقديرنا لكل من يسهم في هذا العطاء إسهامات رائدة يعود نفعها على البشرية كلها دون النظر إلى الجوانب العنصرية والسياسية والدينية المتعصبة التي تحكم الجوائز العالمية.

ويلاحظ القارئ عند مطالعته خبر الفائزين بفروع الجائزة الخمسة (خدمة الإسلام ، الدراسات الإسلامية ، الأدب العربي ، الطب ، العلوم) اتساع رقعة التكريم .. حيث نجد أن الفائزين كانوا يمثلون دولا عربية إسلامية ، وأخرى غير عربية وغير إسلامية ، وهذا تأكيد للمنهاج السليم الذي سارت عليه الجائزة منذ نشأتها الأولى.

وقد شهد لهذه الجائزة كل العالم ، وتوقعوا أن تكون البديل في تصحيح مسار كثير من الجوائز العالمية التي انحرفت برسالتها النبيلة لتوظيفها وتوجيهها توجيهاً يتناسب والنزعات التي تفرزها مشاكل السياسة الدولية ، وأيديولوجياتها العنصرية.

ورغم التعتيم الإعلامي الذي تواجهه جائزة الملك فيصل العالمية من قبل الدول المعادية والصهيونية إلا أنها شقت طريقها في ثبات ، وأثبتت وجودها على صفحات التاريخ الناصعة .. وسوف يأتي يوم تكون فيه هذه الجائزة مثلاً أعلى يحتذى به ، وقدوة صالحة لغيرها من الجوائز الموجودة ، والجوائز التي ستظهر في المستقبل .. لأنه لا يبقى إلا ما ينفع الناس ، أما الزبد فيذهب جفاء.





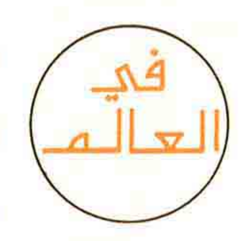


* * من خلال هذا « الملف » سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في « الوطن العربي » فحسب ، بل في « العالم » الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **



- أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية .
- أخبار عن المخطوطات وتحقيقها .
- عقد عدة ندوات في الوطن العربي .
- معجم لفهارس المخطوطات العربية في العالم .
- كشف أثري في العراق .
- مؤسسة للترجمة والتحقيق والدراسات في تونس .



- ندوة عن الحضارة الإسلامية في لندن .
- الفائزون بجائزة بغداد للثقافة العربية .
- كشف أثري في الصين .
- معرض دولي للصور الفوتوغرافية .
- مخطوطات عربية في مكتبة المعهد الهندي للدراسات الإسلامية .



السعودية:

أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية



★ الملك فيصل بن عبد العزيز يرحمه الله ★

● الملك فهد بن عبد العزيز جائزة خدمة الإسلام

في يوم الخميس ١٤٠٤/٣/٤ هـ ، الموافق ١٩٨٣/١٢/٨ م ، أعلنت الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية بفروعها الخمسة (خدمة الإسلام ، الدراسات الإسلامية ، الأدب العربي ، الطب ، العلوم) أسماء الفائزين بالجائزة لهذا العام برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل رئيس مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية ، وصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس الجائزة ، ومدير عام مؤسسة الملك فيصل الخيرية التي تنبثق عنها الجائزة .. وقد ألقى قرار الأمانة الدكتور أحمد الضبيب أمين عام الجائزة .. وذلك على النحو التالي :

●● حصل على **جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام** جلالة الملك **فهد بن عبد العزيز** خادم الحرمين الشريفين .. وذلك لما عرف به شرقاً وغرباً قبل تولي قيادة مملكة النور والإيمان وبعدها من عزيمة ثابتة ، وجهد صادق ، وعمل دائم في خدمة الإسلام والمسلمين في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها .. وعلى الأخص فيما يلي :

١ ــ جهود جلالته الخيرة في **جمع الشمل ورأب الصدع للأمة العربية والإسلامية** ، ومسعى المملكة العربية السعودية بقيادته لتحقيق **التضامن الإسلامي** ، وما بذله ويبذله من جهود جادة ومستمرة من أجل إنهاء **مشكلة لبنان** ، وتخفيف آلامها ، ودعم **القضية الفلسطينية** ، والحفاظ على **الوجود الفلسطيني** .

٢ ــ إسهامات جلالته الخاصة والرسمية باسم المملكة في كل ما يضمد جراح المسلمين من آثار المحن والكوارث ، ومد يد العون **لجميع الأقليات الإسلامية** في بلاد العالم والوقوف بجانبها .

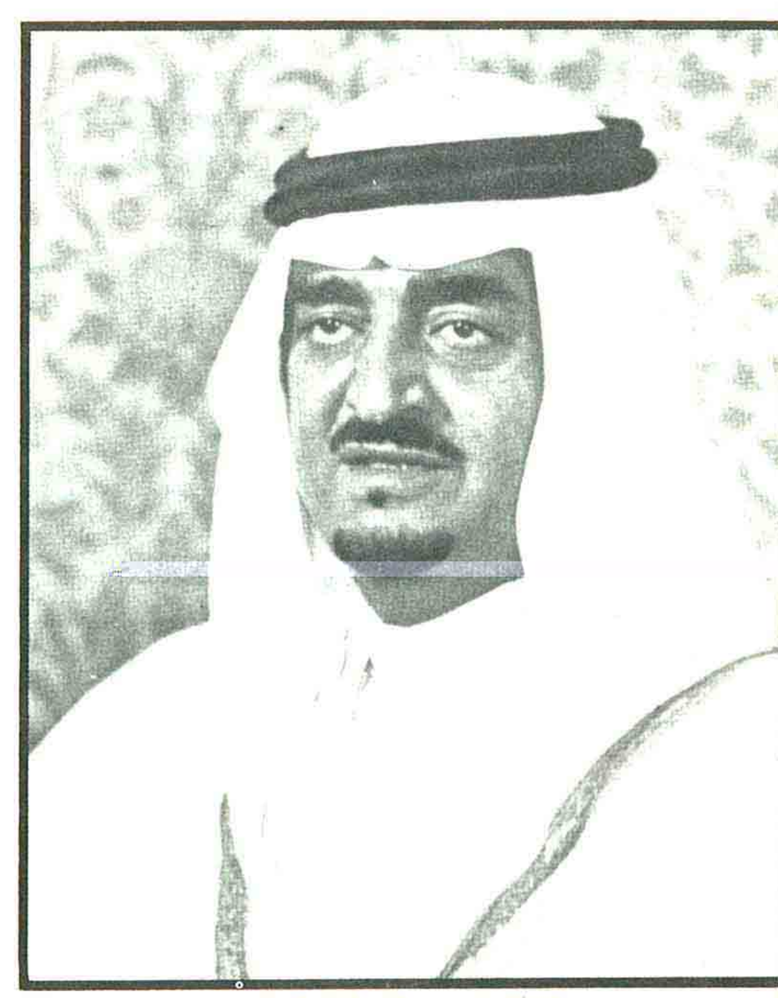
٣ ــ تركيز **الدعوة إلى الله** ونشرها وحمايتها ومساندتها بما يرسل من دعاة يتحملون أعباء هذه الأمانة في مختلف البلاد الإسلامية وغيرها .

٤ ــ العمل المستمر في سبيل **نهضة البلاد** ، وعمله المتميز المتواصل في سبيل **خدمة الحرمين الشريفين ، ورعاية وفود الرحمن ، وتيسير أداء مناسك الحج والعمرة لهم .**

●● حصل على **جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية** فضيلة **الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء (من سورية)** عن كتابه القيم **«المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي»** (طالع ترجمة حياته في مكان آخر من هذه الصفحات) .

●● حصل على **جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي** الأستاذ **محمود محمد شاكر (من مصر)** عن كتابه **«المتنبي في صورته الأولى»** (طالع ترجمة حياته في مكان آخر من هذه الصفحات) .

●● حصل على **جائزة الملك فيصل العالمية للطب** كل من :



★ الملك فهد بن عبد العزيز يحفظه الله ★

∞ مصطفى الزرقاء جائزة الدراسات الإسلامية

∞ محمود شاكر جائزة الأدب العربي

∞ جون فورتران، وليام جرينوف، مايكل فيلد جائزة الطب

∞ جيرد بينج، وهاينريخ روهر جائزة العلوم

١ ـ **الأستاذ جون . س . فورتران (من أميريكا)** .

٢ ـ **المجموعة المكونة من الدكتور ويليام جرينوف الثالث ، والأستاذ مايكل فيلد (من أميريكا)** . (طالع ترجمة حياتهم في مكان آخر من هذه الصفحات) .

●● حصل على **جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم** كل من :

١ ـ **الدكتور جيرد بينج (من ألمانيا)** .

٢ ـ **الدكتور هاينريخ روهر (من سويسرا)** ؛

وذلك لإنجازهما الرائع في علم « **المجهر الماسح النفقي** » . . حيث توصلا إلى بناء جهاز بارع في سطوح المواد ، واستخدما في ذلك طريقة المعية عمادها قيام نفق عبر الفراغ بين رأس مدبب وذرة قد امتصها سطح بلورة فتمكنا بذلك من التعرف على **مجالات أبعاد الذرة** . (طالع ترجمة حياتهما في مكان آخر من هذه الصفحات) .

هذا ، وقد قررت لجان الجائزة بفروعها الخمسة أن تكون موضوعات الجائزة للعام القادم على النحو التالي :

★ موضوع جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية هو « **البحوث التي تناولت العقيدة الإسلامية دراسة وتحقيقاً** » .

★ موضوع جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي هو « **الدراسات التي تناولت النقد القديم عند العرب من تاريخه أو رجاله أو قضاياه أو كتبه** » .

★ موضوع جائزة الملك فيصل العالمية للطب هو « **التهاب الكبد الفيروسي** » .

★ موضوع جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم هو « **الكيمياء الحيوية** » .

ولم تحدد هيئة الجائزة موعد الاحتفال السنوي لتسليم الجوائز للفائزين الذي يشرفه عادة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله . . وتتوقع المجلة أن يكون هذا الحفل في نهاية هذا الشهر إن شاء الله .

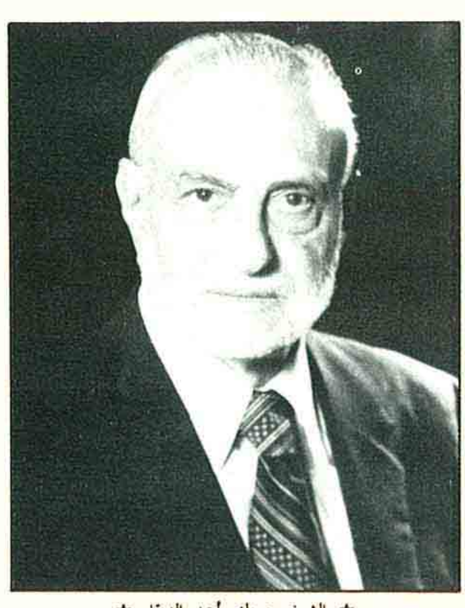


ندوتان عن المجلات والكتاب

عقدت ندوتان ، إحداهما بنادي جدة الثقافي الأدبي تتعلق «بالكتاب السعودي» شارك فيها كل من :

★ محمد سعيد طيب .
★ محسن باروم .
★ عبد العزيز الرفاعي .
★ الدكتور عبد العزيز الزيد .
★ الدكتور صالح شعيب .
★ الدكتور عبد الجليل طاشكندي .

الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء


★ الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء ★

● من مواليد حلب في سورية عام ١٩٠٣م .

● درس العلوم الشرعية على شيوخ العلم في حلب ، وتخرج في الفقه الحنفي على والده ، ثم اتجه إلى دراسة العلوم الكونية .

● التحق بالجامعة السورية ، عُيِّن أستاذاً للحقوق المدنية والشريعة في كلية الحقوق عام ١٩٤٣م ، وظل أستاذاً للقانون المدني ورئيساً لقسمه ، وأستاذاً للشريعة الإسلامية إلى حين بلوغه سن التقاعد .

● تولى وزارة العدل والأوقاف في سورية مرتين . . وعمل خبيراً في الموسوعة الفقهية بالكويت .

● اختارته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عضواً في المجمع الفقهي منذ إنشائه عام ١٣٩٨هـ ، حيث قدَّم للمجمع عدة دراسات فقهية لموضوعات معاصرة .

● اختارته إدارة التشريع والبحوث في الأمانة العامة بجامعة الدول العربية عضواً خبيراً بين لجنة الخبراء لوضع مشروع قانون مدني موحد للبلاد العربية مستمد من الفقه الإسلامي .

● اختير عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة . . وكان عضواً في اللجنة التي وضعت مناهج كلية الشريعة في مكة المكرمة عام ١٩٦٣م .

● عرف بعنايته وإنتاجه في ميدان الفقه . . وقدَّم للمكتبة الإسلامية في مجال الفقه الإسلامي عدداً من الأعمال ، بالإضافة إلى ما قام به من أعمال في موسوعة الفقه الإسلامي ، وتأسيس وتطوير مناهج عدد من الجامعات العربية والإسلامية ، إلى جانب مشاركاته في المؤتمرات الفقهية والإسلامية .

محمود محمد شاكر


★ محمود محمد شاكر ★

● من مواليد الإسكندرية ـ مصر عام ١٩٠٩م .

● قرأ على الشيخ سيد بن علي المرصفي . . ثم التحق بكلية الآداب وتركها في السنة الثانية بعد خلافه مع الدكتور طه حسين في موضوع الشعر الجاهلي .

● عضو مراسل في مجمع اللغة العربية بدمشق . . وعضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

● حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٨١م .

● من أعلام الحركة الفكرية والأدبية في العالم العربي .

● له في مجال التحقيق أعمال جيدة منها : كتاب الإمتاع والمؤانسة ، كتاب طبقات فحول الشعراء ، وتفسير الطبري في ١٦ جزء ، وشارك في نشر نصوص أخرى مثل وفيات أبي تمام وشرح أشعار الهذليين .

● له ديوان شعر منشور . . وله عشرات البحوث والدراسات نشرتها أمهات المجلات العربية كالزهراء ، والفتح ، والمقتطف ، والرسالة . . وغيرها .

● حصل على جائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام عن كتابه المتنبي الذي نشر عام ١٩٣٦م ، هدية من مجلة «المقتطف» ثم أعيد طبعه في سفرين بعد إضافة بعض المقدمات والمساجلات التي دارت بينه وبين بعض الباحثين . . وتتمثل في هذا الكتاب بعض القيم العلمية والأدبية .

نوقشت فيها عدة أمور تتعلق بالكتاب السعودي وانتشاره والسبل المساعدة في هذا الانتشار وغير ذلك في الأمور .

والندوة الأخرى بنادي مكة الثقافي وتتعلق **« بالمجلات وأثرها في إثراء الحركة الفكرية »** شارك فيها كل من :

★ الدكتور عبد الله مناع رئيس تحرير مجلة **« اقرأ »** .

★ الدكتور فهد العرابي الحارثي المشرف على مجلة **« اليمامة »** .

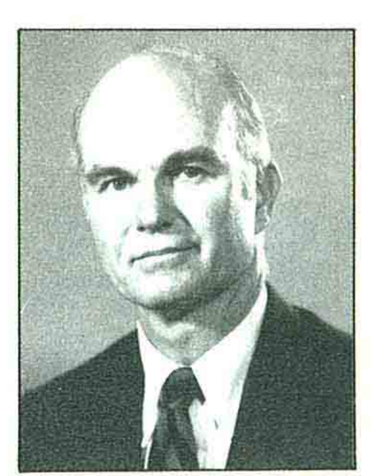
★ علوي طه الصافي رئيس تحرير مجلة **« الفيصل »** .

★ حمد القاضي رئيس تحرير **« المجلة العربية »** .

ومما يذكر أن الندوتين قد عقدتا خلال شهر ربيع الأول عام ١٤٠٤ هـ .



د . جون . س . فورتران



★ د . جون . س . فورتران ★

● يبلغ من العمر ٥٢ عاماً .

● هو رئيس قسم الأمراض الباطنية بكلية الطب بجامعة « بيلر » في دالاس تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية .

● أدت بحوثه الرائدة المتتابعة على مدى عشرين عاماً إلى اكتشاف الحقائق الكية لنقل السوائل والأملاح عبر الغشاء المخاطي للأمعاء ، وتوضيح الكيفية التي تتم بها عملية النقل .

● استطاع على ضوء أبحاثه تصنيف أمراض الإسهال حسب أعراضها ومسبباتها بالطريقة المتبعة حالياً ، ووضع الأسس المنطقية لعلاج هذه الأمراض . . وكانت منجزاته منطلقاً للآخرين لتحقيق المزيد من البحوث في هذا المجال .

● أكسبته أبحاثه الدقيقة ، وطريقته المتميزة لدراسة وظائف الأمعاء في الإنسان مكانة عالمية .

● نشر بالمشاركة مع بقية أعضاء فريقه أكثر من مائة بحث علمي ، ويعتبر كتابه مع مؤلف آخر في أمراض الجهاز الهضمي من أبرز المراجع العالمية في هذا التخصص ، وقد تم نشره عام ١٩٧٣ م ، وقد طبع ثلاث مرات .

د . وليام جرينوف الثالث



★ د . وليام جرينوف ★

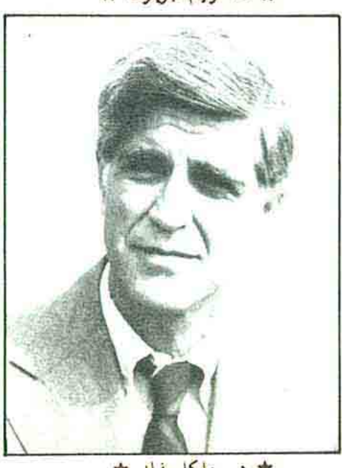
● يبلغ من العمر ٥١ عاماً .

● هو مدير مركز أمراض الإسهال العالمي في دكا ـ بنجلاديش .

● أدت بحوثه مع زميله مايكل فيلد لفهم أثر السموم التي تفرزها جرثومة الكوليرا وباكتيريا القولون (مسببة الإسهال) على خلايا الغشاء المخاطي بالأمعاء ، ومن خلال أبحاثهما في جامعة (جون هوبكنز) إلى إفراز انزيم أدنوزين وحيد الفوسفات الدوري الذي يسبب فقدان أيونات الكلورايد من خلايا الغشاء المخاطي للأمعاء الدقيقة . . وقد أدى هذا الاكتشاف الهام إلى محاولات متعددة لإيجاد كيماويات وعقاقير مضادة لأثر هذه السموم . . كما أدت هذه الملاحظات الأخيرة إلى المزيد من الدراسات عن وسائل وطرق إفرازات الأمعاء .

● أوضح في دراسات له فعاليات المضاد الحيوي (تتراسايكلين) في تقصير فترة الإصابة بمرض الكوليرا .

د . مايكل فيلد



★ د . مايكل فيلد ★

● يبلغ من العمر ٥٠ عاماً .

● هو أستاذ بقسم العقاقير ووظائف الأعضاء بجامعة شيكاغو ـ الولايات المتحدة الأمريكية .

● يعمل مع زميله د . وليام جرينوف الثالث في مركز البحوث العالمي في دكا ـ بنجلاديش ، وقد اكتسبا سمعة عالمية لأعمالهما الرائدة في استعمال سكر الغلوكوز مع المحلول الملحي للإرواء بالفم في علاج المصابين بأمراض الإسهال على نطاق واسع مما أنقذ حياة الآلاف المؤلفة منهم وخاصة الأطفال .



مسابقة في التأليف

أعلنت اللجنة الثقافية بعمادة شؤون الطلاب بجامعة أم القرى عن مسابقة للناشئة في مجال «التأليف المسرحي، والقصة القصيرة، والمقال الأدبي، ونظم الشعر»، وقد حددت لكل مجال من هذه المجالات موضوعات معينة :

★ بالنسبة للتأليف المسرحي يكون موضوعه في إطار التاريخ الإسلامي وباللغة العربية الفصحى .

★ وبالنسبة للشعر، فتكون القصيدة فيه

★ د. عز الدين إسماعيل ★

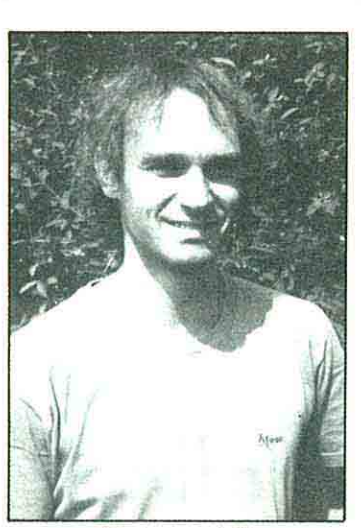


★ د. يوسف عز الدين ★



★ محمد المزالي ★ ★ د. عبد الله باسلامة ★





★ د. جيرد بينج ★

● ولد في فرانكفورت بألمانيا الغربية عام ١٩٤٧م .

● حصل على شهادة الدبلوم في الفيزياء من جامعة جوته في فرانكفورت عام ١٩٧٣م .. كما حصل على شهادة الدكتوراه في الفيزياء من هذه الجامعة في مجال الناقلية العليا عام ١٩٧٨م .

● منذ عام ١٩٧٨م، يعمل باحثاً في معمل بحوث IBM في زيورخ بسويسرا .

● يعمل حالياً في مجالين :

★ الأول : هو موضوع الناقلية العليا لأشباه الموصلات .

★ الثاني : هو الذي أهله للحصول على جائزة الملك فيصل العالمية وهو «علم المجهر الماسح النفقي» .

● حصل على جائزة الفيزياء التي تقدمها سنوياً الجمعية الفيزيائية الألمانية عام ١٩٨٢م .

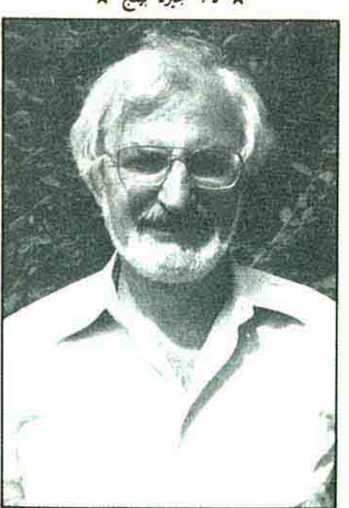
● نشر ٣٣ بحثاً أصيلاً في كبرى المجلات المتخصصة العالمية .

● منح جائزة الملك فيصل العالمية في العلوم (مشاركة) للبحثين الآتيين :

١ ـ علم المجهر الماسح النفقي .. ونشر في مجلة علم السطح، المجلد ١٢٦ (ص ص ٢٣٦ ـ ٢٤٤) عام ١٩٨٣م .

٢ ـ إعادة بناء ٧×٧ في سيليسيوم ٣ بتحليل في الفضاء الحقيقي .. ونشر في مجلة رسائل المراجعة الفيزيائية، المجلد ٥٠ من عام ١٩٨٣م، في الصفحات من ١٢٠ ـ ١٢٣ .





★ د. هاينريخ روهر ★

● من مواليد بكس ـ سويسرا عام ١٩٣٣م .

● حصل على شهادة الدبلوم في الفيزياء عام ١٩٥٥م، من المعهد الاتحادي في زيورخ .. كما حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٠م، من المعهد نفسه في مجال الناقلية العليا .

● عمل باحثاً مساعداً في نفس المعهد عامي ١٩٦٠ و ١٩٦١م .. ثم التحق بجامعة ولاية نيوجرسي منذ عام ١٩٦١ ـ ١٩٦٣م .

● منذ عام ١٩٦٣م، يعمل باحثاً في معامل بحوث الـ IBM في زيورخ في مجالات عديدة من بينها علم المجهر الماسح النفقي .

● في عام ١٩٧٤م، أصبح رئيس فريق البحث .

● اشترك في نشر ٤٣ بحثاً بالإضافة إلى ١٩ بحثاً عرضت في مؤتمرات ونشرت وقائعها .

مستوحاة من الفكر الإسلامي أو الأمور الاجتماعية .

★ وبالنسبة للقصة القصيرة فيشترط فيها أن تعالج إحدى المشاكل الاجتماعية في المجتمع السعودي .

★ أما المقال الأدبي فيناقش مشكلة من مشاكل المجتمع السعودي ، وعرض الحلول المناسبة .

هذا وقد تحدد اليوم الخامس عشر من شهر جمادى الأولى عام ١٤٠٤ هـ ، ليكون آخر موعد لتقديم الإنتاج .

معرض للكتاب في أبها

أقيم بمدينة أبها تحت إشراف **وتنظيم النادي الأدبي** بالتعاون مع كلية التربية معرض للكتاب وذلك خلال شهر ربيع الأول ، اشترك فيه العديد من دور النشر المحلية وكذا فرع جامعة الملك سعود وفرع **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** ، والجدير بالذكر أن هذا هو أول معرض يقام في المنطقة تحت إشراف النادي الأدبي الأمر الذي جعله مناسبة طيبة اطلع الشباب من خلالها على أحدث الكتب المؤلفة .

مجلة جديدة

صدرت عن قسم اللغة العربية بكلية التربية بالمدينة المنورة مجلة جديدة تحمل اسم **« مجلة اللغة العربية والدراسات الإسلامية »** ، تعنى هذه المجلة بمقالات الطلاب العلمية والثقافية والاجتماعية ، وتصدر كل ثلاثة أسابيع ، وتوزع داخل الكلية وعلى المؤسسات التعليمية .

كتب جديدة

● **« حكاية جيلين »** ، تأليف **الدكتور عبد الله باسلامة** ، صدر عن **تهامة** ضمن سلسلة **« الكتاب العربي السعودي »** .

● **« آراء في السُحر »** ، إعداد **أحمد ثابت عسيري** ، صدر عن **نادي أبها الأدبي** ضمن سلسلة **« ألوان ثقافية »** .

● **« شعر أبي تمام بين النقد القديم ورؤية النقد الجديد »** ، تأليف **سعيد مصلح السريحي** ، صدر عن **نادي جدة الثقافي** .

● **« معجم مدينة الرياض »** ، تأليف **خالد أحمد السليمان** ، صدر عن **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون** .

● **« مواكب العلماء »** ، تأليف **أحمد المناني** ، صدر في جدة .



هل تصبح العادة السيئة طبيعة ثانية ؟

تعودنا أن نقول إن العادة التي ينشأ عليها الإنسان تصبح جزءاً من تكوينه النفسي ، ومزاجه الشخصي ، بحيث إنها تكون مميزة لذلك الفرد من الناس . ويقول علماء النفس **إن العادة عندما تتكون فإنه لا يمكن التخلص منها إلا بعد جهد فكري كبير ، وبعد معاناة نفسية شديدة .**

والعادة قد تكون **آلية** صرفة كما في المشي والأكل وطريقة ارتداء الملابس . فنحن نقوم بهذه الأعمال بطريقة آلية دون الرجوع إلى معلوماتنا السابقة ، بل هي عادات تكونت منذ الطفولة . أما **العادة الإرادية** فهي العادة التي تتكون بإرادة الإنسان وحسب رغبته ، وتتكون تبعاً لنظرة الإنسان إلى الحياة ، وتأثير البيئة المحيطة وتفاعله معها . ويبدو أن العادة التي نكتسبها بطريقة إرادية تكون ذات فعالية في صياغة طريقة معاملتنا للأشياء . وهناك بعض العادات السيئة التي نكتسبها من البيئة والتي تعرقل طريق تقدمنا في الحياة مثل الكسل ، أو التأخر في الاستيقاظ صباحاً ، أو التدخين ، أو السهر وغيرها من عادات . وينبغي في هذه الحالة أن يحاول المرء أن يعرف متى تكونت هذه العادات وكيف ولماذا تكونت ؟ !

ولكن كيف يمكن القضاء على العادات السيئة ؟ !

إن العادات تتكون نتيجة لرغبة في سلوك أيسر الطرق المحتملة في الحياة . وتتكون العادات السيئة في الغالب نتيجة للتربية السيئة ، أو عدم الدراسة والوعي ، أو للاتجاه المعكوس في الحياة مثل الاتجاه التشاؤمي ، والنظرة الضيقة للحياة التي تتبلور إلى سلوك ، ثم إلى عادة متأصلة في النفس . ومن الصعب القضاء على العادات السيئة السلبية بإبدالها بعادات إيجابية ، على أن يتم هذا بطريقة **الإحلال التدريجي** .

وعندما سأل الكاتب الأمريكي **مارك توين** عن كيفية القضاء على العادة السيئة أجاب : « لا يمكننا القضاء على عادة بأن نلقيها من النافذة بل أن نحملها خطوة خطوة وننزل معها درجة واحدة ثم نضعها على السلم لتتدحرج » .

ويمكن التخلص من العادات السيئة في بعض الخطوات العملية التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

★ **أولا** : أن نعرف متى وكيف نشأت هذه العادة ؟ !

★ **ثانياً** : أن نقتنع بأن العادات السيئة هي عقبات في طريق تقدمنا ، فالاقتناع هو العامل النفسي الإيجابي لتبني أو للتخلص من بعض التصرفات السلبية .

★ **ثالثاً** : أن نحاول بقوة استبدال العادات السيئة بأخرى حسنة ، وأن نتصور بقدر الإمكان مفعول العادات الحسنة وفوائدها في إثراء حياتنا من الناحية المعنوية والمادية .

إن العادة السيئة قد تصبح طبيعة ثانية للإنسان ، ولا يمكن التخلص منها إلا بعد معالجة منطقية ، وينبغي أن ننظر إلى العادة السيئة التي يتعودها الإنسان على أنها سلوك يتكون نتيجة لعدم الاقتناع بجدوى التغيير أو اللامبالاة بتحسين مستوى الأداء الشخصي .

إن العادة السيئة هي صورة سلبية سهلة التنفيذ ، ميسورة الأداء ، ولذلك لا تكلف الإنسان أي مقدار من الإرادة أو التفكير . ولا يمكن أن تكون العادة السيئة طبيعة ثانية للإنسان إلا إذا حرص الإنسان على ذلك ، أو فقد الإرادة على تغيير تصرفاته وسلوكه إلى الأفضل . ولقد أعطانا ديننا الحنيف أمثلة لقوة الإرادة ورفع مستوى الإنسان بمخالفة المرء هواه ، والعمل على تطوير نفسه وعقله وجسمه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

د . أحمد عبد القادر المهندس
الرياض



الكويت :

معجم لفهارس المخطوطات العربية

بناء على طلب من «معهد المخطوطات العربية» الذي يتخذ من الكويت مقراً له ، أنهى الأستاذ كوركيس عوّاد عضو المجمع العلمي العراقي وضع معجم يضم ذكر فهارس المخطوطات العربية الصادرة من أنحاء شتى في العالم وبمختلف اللغات . ومما يذكر أن هذا المعجم هو جزء من مشروع كبير يضطلع به المعهد بالتعاون مع المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) في عمّان لإصدار فهرس شامل ومتجدد للمخطوطات العربية الموجودة في العالم ، ويعد معجم الفهارس لكوركيس عواد مادة أساسية لمشروع فهرس المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات العالم .

كتب جديدة

● «حكمة الغرب ـ الفلسفة الحديثة والمعاصرة» ، للفيلسوف برتراند راسل ، صدر الجزء الثاني ضمن سلسلة «عالم المعرفة» التي تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا .

● «دراسات في كتاب سيبويه» ، تأليف خديجة الحديثي ، صدر عن وكالة المطبوعات بالكويت .

● «رسائل ابن سينا» ، تحقيق الدكتور أحمد سليم سعيدان ، صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ضمن سلسلة «قسم التراث العربي ـ السلسلة التراثية» .

مصر :

ندوة للأدباء الشبان

قرر اتحاد الكتّاب في مصر إقامة ندوة تجريبية للأدباء الجدد على غرار «ورشة» الشعر التي أقامها الشاعر الأمريكي (الدكتور بول إنجل) بالاشتراك مع جامعة «إيوا» والتي تستضيف سنوياً أدباء من العالم للتعارف ومناقشة طبيعة الشعر والفن ودورهما في العصر الحديث .

الجدير بالذكر أن هذه الندوة تقدم بها للاتحاد كمشروع الأديب عبد التواب يوسف الفائز بجائزة الدولة لأدب الأطفال ، ووافق عليه نائب رئيس الاتحاد ثروت أباظه .



★ هلال ناجي ★ ★ د. فؤاد زكريا ★

أسبوع ثقافي باكستاني

أقيم في القاهرة أسبوع ثقافي باكستاني وذلك خلال الفترة من ١٠ ـ ١٢ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨٣م ، بالتعاون بين الملحقية الثقافية الباكستانية ومركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس ، تضمن الأسبوع



● «حركات الأرض وكسوف الشمس بين العلم والقرآن» ، محاضرة ألقاها الدكتور منصور محمد حسب النبي بفرع جمعية الثقافة بالطائف .

● «دور المرأة العربية في الدفاع عن الحضارة الإسلامية ضد الحضارة المادية» ، محاضرة ألقتها السيدة عفاف حسين بمقر الجمعية الفيصلية الخيرية النسائية بجدة .

● «شؤون وشجون التعليم بالمنطقة الشرقية» ، محاضرة ألقاها الدكتور سعيد عطية أبو عالي بالدمام .

● «تغذية الأطفال» ، محاضرة ألقتها الدكتورة إقبال سعيد بكلية التربية للبنات .

● «جماليات القصيدة الجديدة في الشعر العربي المعاصر» ، محاضرة ألقاها الدكتور عز الدين إسماعيل في نادي جدة الثقافي .

● «أزمة الفكر في العالم الإسلامي» ، محاضرة ألقاها الأستاذ محمد قطب في نادي جدة الثقافي .

● «الحلقة المفقودة في التصنيع العربي» ، محاضرة ألقاها الدكتور بهاء عزي في نادي جدة الثقافي .

● «المهن بين أصالتها في الإسلام ومعاصرتها في علم النفس» ، محاضرة ألقاها الدكتور عزت عبد العظيم الطويل بمركز الإعداد المهني بالرياض .

● «دور النفط والمال في الثمانينات» ، محاضرة ألقاها وزير الطاقة الأمريكي دونالد هوديل في لندن ضمن إطار مؤتمر خاص أعدته صحيفة «انترناشونال هيرالد ـ تريبيون» .

● «دور الخدمة المدنية في المجتمع» ، محاضرة ألقاها تركي خالد السديري بمعهد العاصمة النموذجي بالرياض .

معرضاً للكتب والدراسات الصادرة في باكستان باللغات الأردية والفارسية والإنجليزية والعربية، ومعرضاً للوحات تمثل البيئة الباكستانية، وعرضاً لبعض الأفلام التسجيلية التي تعرف بالمدن هناك، بالإضافة إلى بعض المحاضرات التي ألقاها أساتذة من مصر وباكستان.

كتب جديدة

● «القرآن ... دواء فيه وقاية وشفاء»، تأليف عبد الرزاق نوفل، صدر في القاهرة ضمن سلسلة «كتاب اليوم».

● «مسند الإمام أبي حنيفة برواية الإمام الحصكفي»، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● «الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ»، لابن الجوزي، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، صدر عن دار الدعوة بالإسكندرية.

● «تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد»، للإمام السيوطي، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، صدر عن دار الدعوة بالإسكندرية.

الحراك :

يوسف عز الدين عضو في مؤسسة

اختير الدكتور يوسف عز الدين [illegible] عضو المجمع العلمي العراقي الذي يعمل حالياً أستاذاً بكلية الآداب ـ جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، ليكون عضواً بالمجلس العلمي للمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات التي أنشئت بتونس أخيراً، ومن مهامها:

★ تنظيم حركة التعريب من العربية وإليها وتنميتها.

★ تنشيط الدراسات والبحوث والتحقيق العلمي للنصوص.

★ الحث على الابتكار والإبداع في الميدان الفكري.

رسائل جامعية

●● «التحليل الطارئ لحالات الاستقرار المستخدمة في تخطيط الشبكات الكهربائية الضخمة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الهندسة التابعة لجامعة البترول والمعادن بالظهران، تقدم بها السيد حمزة السيد المغربي.

●● «مقاطع الخرسانة الصندوقية المشبعة بالكبريت ويقلب من البوليستيرين لوحدات ألواح»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الهندسة التابعة لجامعة البترول والمعادن بالظهران، تقدم بها السيد عبد العزيز سعود العتيبي.

●● «تأثير فعالية الأوزون الفقاعي والتفاعل الحركي على جهاز تطهير المياه المبتذلة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الهندسة التابعة لجامعة البترول والمعادن بالظهران، تقدم بها السيد منصور أحمد.

●● «شرح أبيات سيبويه والمفصل لمؤلفه عفيف الدين ربيع بن محمد منصور الكوفي (تحقيق ودراسة)»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة القاهرة، تقدم بها السيد إبراهيم علي ركة.

●● «دراسات تطبيقية لبعض الخامات الطبيعية في المملكة...»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية للبنات بجدة، تقدمت بها السيدة بلقيس عبد الرحمن حجار.

●● «العمالة غير السعودية وآثارها الاجتماعية في المملكة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية العلوم الاجتماعية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامي بالرياض، تقدم بها السيد عبد الرحمن بن محمد العسيري.

●● «التسويق في الدول النامية مع التطبيق على السياحة في مصر»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة ويلز ببريطانيا، تقدم بها السيد عزت فرج أحمد.

●● «العشق الصوفي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بآداب عين شمس، تقدمت بها السيدة منى فراج محمد فراج.

●● «إسماعيل [illegible] الشاعر [illegible]»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر، تقدم بها السيد طه أبو زيد.

●● «العلاقة بين السمات الشخصية ومكونات الأداء البدني لدى طلبة الكليات العسكرية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة حلوان، تقدم بها السيد سعيد منصور بهلول.

●● «الإعلام في إفريقيا .. بالتطبيق على أثيوبيا»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة الأزهر، تقدم بها السيد مرعي مدكور.

●● «التنظيم الدولي للسلوك الرياضي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بمصر، تقدم بها السيد حسين أحمد الشافعي.

●● «تطوير التربية العسكرية في المدارس الثانوية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية ـ جامعة عين شمس، تقدم بها السيد محمد فكري الهلاوي.



★ تنمية نشر الأعمال الأدبية والفنية .

★ استقطاب الكفاءات العلمية التونسية وغير التونسية .

★ إيجاد الظروف لهذه الكفاءات لكي تسهم في تنمية الإنتاج الثقافي بتونس قديمه وحديثه وتجعله يتفاعل مع الإنتاج الفكري الإنساني .

وتشمل هذه المؤسسة التونسية الحديثة الإنشاء الأقسام التالية :

● المعهد الوطني للترجمة الأدبية والعلمية .

● معهد تاريخ النصوص ودراستها .

● مخبر التجديد والإبداع .

● فريق العمل والدراسات من أجل الإشعاع الثقافي .

● المكتب المركزي للمنشورات .

هذا وتضم هذه المؤسسة أعضاء من أبرز المفكرين والعلماء من تونس ومن مختلف بلدان العالم ممن لهم باع في مجال الاهتمام بالتراث والحضارة العربية .

اللغة العربية والوعي القومي

عقدت في بغداد خلال شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣ م ، **ندوة كان موضوعها عن « اللغة العربية والوعي القومي »** وذلك بدعوة **من معهد البحوث والدراسات العربية** التابع **للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمجمع العلمي العراقي .** اشترك في هذه الندوة التي شارك فيها مركز دراسات الوحدة العربية عدد من الأساتذة المختصين ، ونوقشت فيها عدة موضوعات منها :

★ « العربية الفصيحة لغة التعليم » .

★ « اللغة ووسائل الإعلام الجماهيرية » .

★ « من خصائص اللغة العربية » .

★ « الأسس النفسية والاجتماعية للغة العربية » .

★ « العامية والفصيحة » .

كشف أثري

في سبيل اكتشاف آثار جديدة عن العهود البائدة فقد عثرت بعثة الآثار في **منطقة سد حديثة** على آثار جديدة تعود للعهد البابلي القديم والأشوري الوسيط والحديث تتمثل في قبور دائرية وبأعداد كبيرة تتجاوز المئات .

كتب جديدة

● **« هجرة الألوان » ، مجموعة شعرية** للشاعر **رشدي العامل** ، صدرت في **بغداد** .

● **« علماؤنا في خدمة العلم والدين »** ، تأليف **عبد الكريم المدرس** ، صدر في **بغداد** .

● **« أبو حنيفة النعمان ـ حياته وعصره وفقهه وتلاميذه »** ، تأليف **عبد الغفار العباسي** ، صدر عن **وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ببغداد** .

● **« ديوان ـ رسائل ابن الأثير ـ » ، الجزء الثاني ، إعداد هلال ناجي ، صدر في بغداد** .

● **« بيان أول للطفولة » ، رواية** تأليف **حميد قاسم** ، صدرت في **بغداد** .

سورية

كتب جديدة

● **« الروضة الغناء في دمشق الفيحاء »** ، تأليف نعمان القسطلي ، **تحقيق عيسى فتوح** ، صدر في **دمشق** .

● **« تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء » ، لابن عساكر ، تحقيق سكينة الشهابي** ، صدر عن **مجمع اللغة العربية** .

● **« تناسق الدرر في تناسب السور »** ، تأليف **جلال الدين السيوطي ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش** ، صدر في **دمشق** .

● **« رسالة أسباب حدوث الحروق »** ، تأليف **ابن سينا ، تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى ميرعالم** ، صدر عن **مجمع اللغة العربية بدمشق** .

الأردن

كتب جديدة

● **« ملامح الحياة الشعبية في ميادين عمّان من عام ١٩٧٨ م ، إلى عام ١٩٨٤ م »** ، تأليف **عبد الله رشيد** ، صدر في **عمّان** .

● **« كلمات في المأثورات الشعبية »** ، تأليف **الدكتور عمر الصيرفي** ، صدر عن **رابطة الكتّاب الأردنيين بعمّان** .

● **« الدوافع السياسية في السينما الصهيونية »** ، تأليف **جودت السعد** ، صدر **في عمّان عن دار المهد** .

تونس

كتب جديدة

● **« في سبيل وحدة المغرب العربي الكبير »** ، تأليف **الأستاذ محمد مزالي** ، صدر **في تونس** .

● **« الإعلام في خدمة الشعب »** ، تأليف **الأستاذ محمد مزالي** ، صدر **في تونس** .

● **« التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامعة الزيتونة »** ، تأليف **الطاهر الحداد ، تحقيق وتقديم محمد أنور بوسنينه** ، صدر عن **الدار التونسية للنشر** .

الجزائر

كتب جديدة

● **« هموم مواطن يدعى عبد العالي » ، مجموعة شعرية للشاعر عبد العالي رزاقي** ، صدرت في **الجزائر** .

المغرب

كتب جديدة

● «**الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ**»، تأليف **الدكتور عبد الهادي التازي**، صدر عن **مطبعة المعارف الجديدة**.



كتب جديدة

● «**يوميات المنفى الأخير**»، تأليف **سعدي يوسف**، صدر عن **دار الهمذاني للطباعة والنشر بعدن**.



كتب جديدة

● «**المحاولة والشكل**»، **مجموعة قصص قصيرة للقاص محمود علي السعيد**، صدرت في **فلسطين**.

● «**المعطف القديم**»، **مجموعة قصصية للقاص صبحي شحروري**، صدرت ضمن **منشورات البيادر بمدينة القدس**.

السودان

كتب جديدة

● «**قضايا السكان والتنمية في السودان والعالم الثالث**»، صدر عن **جامعة الخرطوم**.



كتب جديدة

● «**الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**»، تأليف **الدكتور محمود حمدي زقزوق**، صدر **ضمن سلسلة «كتاب الأمة»**.



أخبار الغد

الموسوعة الفلسطينية

ستصدر خلال هذه الشهور الأولى من العام الميلادي الجديد ١٩٨٤م، الموسوعة الفلسطينية كأول موسوعة فلسطينية ألفت وصممت بالتعاون بين **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة التحرير الفلسطينية**، وستضم هذه الموسوعة كل المعطيات والحقائق الحضارية والتاريخية والتراثية ـ الفلسطينية. ومما يذكر أنه قد عكف على إعداد موادها لعدة سنوات مجلس استشاري يتألف من خمسة وعشرين عضواً بإشراف الدكتور محيي الدين صابر مدير المنظمة، وستترجم إلى إحدى اللغات الأوروبية. هذا وقد رصدت المملكة العربية السعودية مبلغ (خمسة ملايين دولار) رغبة منها في تحقيق ولادة هذا المشروع ليكون نبراساً هادياً لكل من يتعامى عن حقيقة وجود التراث العربي الفلسطيني، أو يتجاهل حقوق الشعب في أرضه ووطنه.

مجمع اللغة العربية.. وخمسون عاماً

سيحتفل مجمع اللغة العربية في مصر بعيده الخمسيني وذلك في شهر فبراير (شباط) ١٩٨٤م، حيث يوافق مرور خمسين عاماً على انعقاد **أول جلسة لمجلس المجمع ومؤتمره التي تمت في شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٣٤م**، وسيستمر الاحتفال لمدة خمسة أيام تسبق المؤتمر السنوي العادي.

هذا وقد وجه المجمع الدعوات للمجامع اللغوية العربية وللمستشرقين في العالم لحضور هذا المهرجان العلمي الكبير. وبمناسبة هذا المهرجان ستقدم عدة بحوث تتناول إنجازات المجمع خلال نصف قرن من الزمان. ومما يذكر أن إنجازات المجمع كبيرة ومتعددة خدمت اللغة العربية وطلابها والمهتمين بها، كما تناولت مختلف العلوم والفنون، ولا سيما المعاجم المتخصصة التي أخرجها المجمع وهي مهمة لطلبة وأساتذة الجامعات.

هذا الاحتفال سيبدأ يوم الاثنين ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٨٤م، القادم وينتهي في ٢٥ منه.

مهرجان للإبداع العربي

سيعقد في القاهرة خلال شهر آذار (مارس) المقبل ١٩٨٤م، **مهرجان الإبداع العربي** الذي سيلتقي فيه الأدباء والشعراء والنقاد والفنانون التشكيليون والمسرحيون والموسيقيون على مدى ١٠ أيام في ندوات وأمسيات فنية في القاهرة، والإسكندرية وأسوان لمناقشة الإبداع العربي في كافة مجالات الفنون. هذا وقد تشكلت لجنة برئاسة **الدكتور عز الدين إسماعيل** رئيس الهيئة العامة للكتاب وأمين عام المجلس الأعلى للثقافة في مصر وذلك بهدف الإعداد لهذا المهرجان.

ومما يذكر أن وزارة الثقافة المصرية قد وجهت الدعوة للدول العربية وكذا المستشرقين في العالم لحضور المهرجان الذي ستعرض فيه دراسات وأبحاث حول فنون الحفر والرسم والنحت والتصوير في العالم العربي.

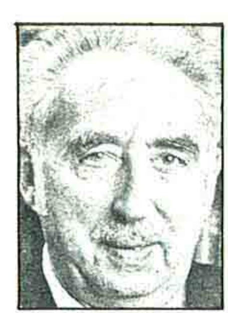
كتب جديدة

الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تأليف **تقي الدين بن عبد القادر التميمي**، تحقيق وتعليق **الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو**، سيصدر عن **دار الرفاعي بالرياض**.





★ د. عبد الهادي التازي ★ ★ ميخائيل نعيمة ★



★ جاك بيرك ★

بريطانيا :

ندوة عن الحضارة الإسلامية

عقدت في لندن خلال شهر ربيع الأول ١٤٠٤ هـ، **ندوة دار موضوعها حول «الحضارة الإسلامية في المجال العلمي»، ألقيت فيها عدة محاضرات حول :**

★ قيمة الحضارة الإسلامية .

★ تأثيرها على الغرب بصفة خاصة وعلى الحضارة في العالم بصفة عامة .

ألقاها عدد من العلماء والأساتذة العرب والبريطانيين .

أحدث الكتب

● **«الكويت ... إقامة مدينة»**، تأليف **ستيفن غاردنر**، صدر ضمن **منشورات لونغمانز بلندن** .

الصين :

معرض دولي للصور الفوتوغرافية

أقيم في مدينة «تايبيه» معرض دولي للصور الفوتوغرافية وذلك بدءً من الخامس والعشرين من شهر ديسمبر (كانون الأول) ويستمر لمدة ثلاثة أشهر . اشترك في المعرض حوالي (١٠٠٠) فنان من (٤٨) دولة، وقد تضمنت الأعمال المعروضة الأعمال الأصلية في النقش والطباعة وتكنيك عملية طباعة الصور . هذا وسوف توزع في نهاية المعرض ومدته جوائز للفائزين عبارة عن شهادات تقدير وأخرى مادية .

كشف أثري

عثر علماء الآثار في الصين على قرية تعود **للعصر الحجري** وذلك في **جزيرة «داهيشيان قبالة - التابعة لمقاطعة شاندونج»** بشمال الصين ، حيث وجدوا فيها ما يزيد على (٤٠) منزلا وضريحين يضم كل منها ما يتراوح بين ٣٠ ، و ٤٠ شخصاً ، بالإضافة إلى كرات وإطارات غزل وسكاكين ، وصنانير للسمك . هذا وقد ذكر أن الموقع في هذه الجزيرة كان مأهولا حتى العصر البرونزي ، لكنه استخدم كمقبرة خلال فترة الدول المتحاربة .

الهند :

مكتبة المعهد الهندي والمخطوطات

في إحصائية للمخطوطات التي تضمها مكتبة «المعهد الهندي للدراسات الإسلامية» بمدينة دلهي، ظهر أن عددها يبلغ **نحو أربعة آلاف مخطوطة** معظمها عربية أصيلة ، أقدمها كتاب **«ألفية ابن معطي»** المتوفي سنة ٦٢٨ من الهجرة . هذا وقد سعت هذه المكتبة لضم هذه المخطوطات إلى جنباتها ، ولا تزال ساعية لجمع المزيد من المكتبات الخاصة المنتشرة في المدن الهندية ، كما أن المكتبة ساعية في إعداد فهرس شامل لهذه المخطوطات .

فرنسا :

توزيع جائزة بغداد

تم في مقر «اليونسكو» بباريس **توزيع جائزة بغداد للثقافة العربية** حيث فاز بها :

★ **«المفكر اللبناني ميخائيل نعيمة»** .

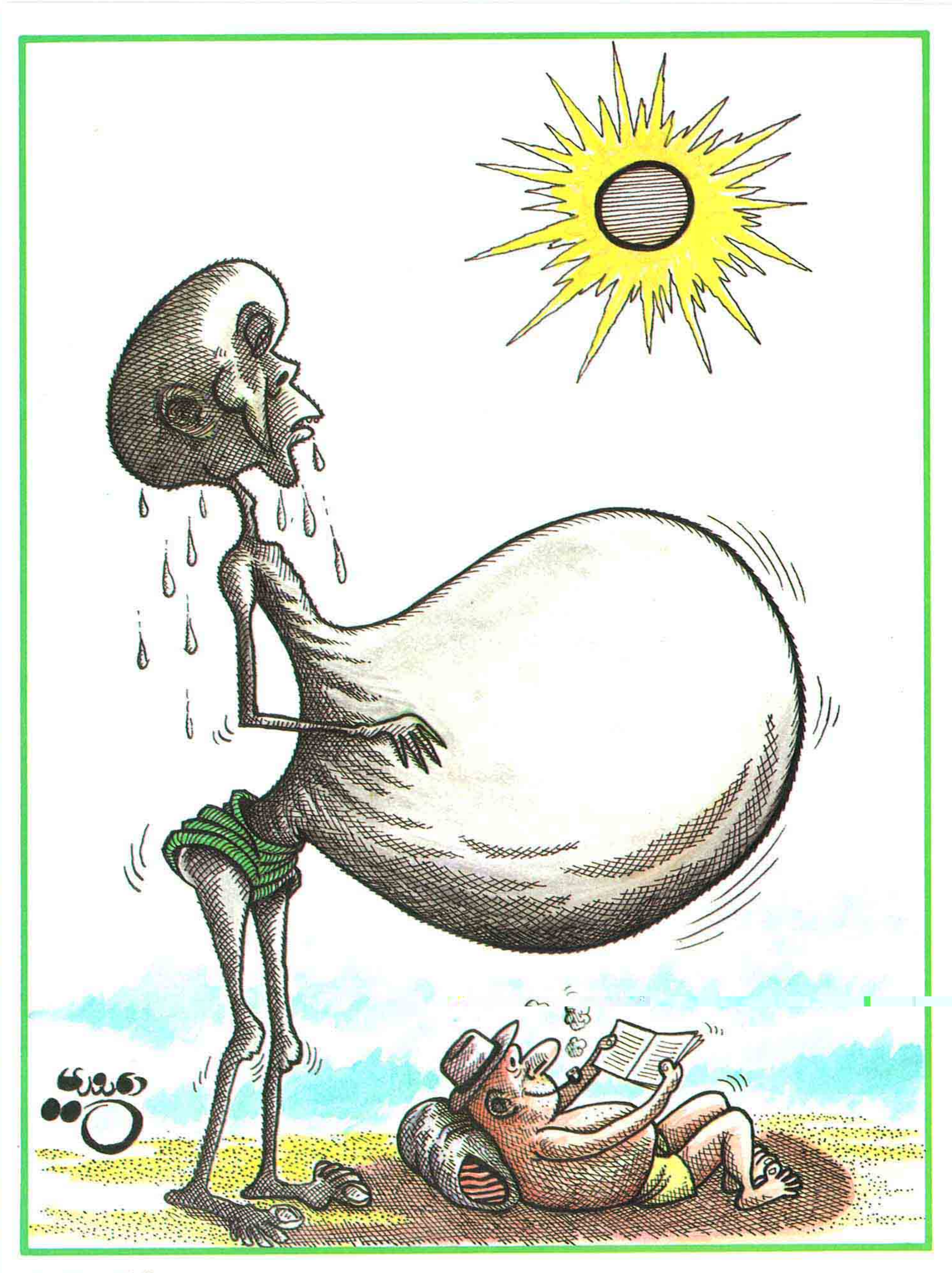
★ **«جاك بيرك .. المستشرق الفرنسي المعروف»** .

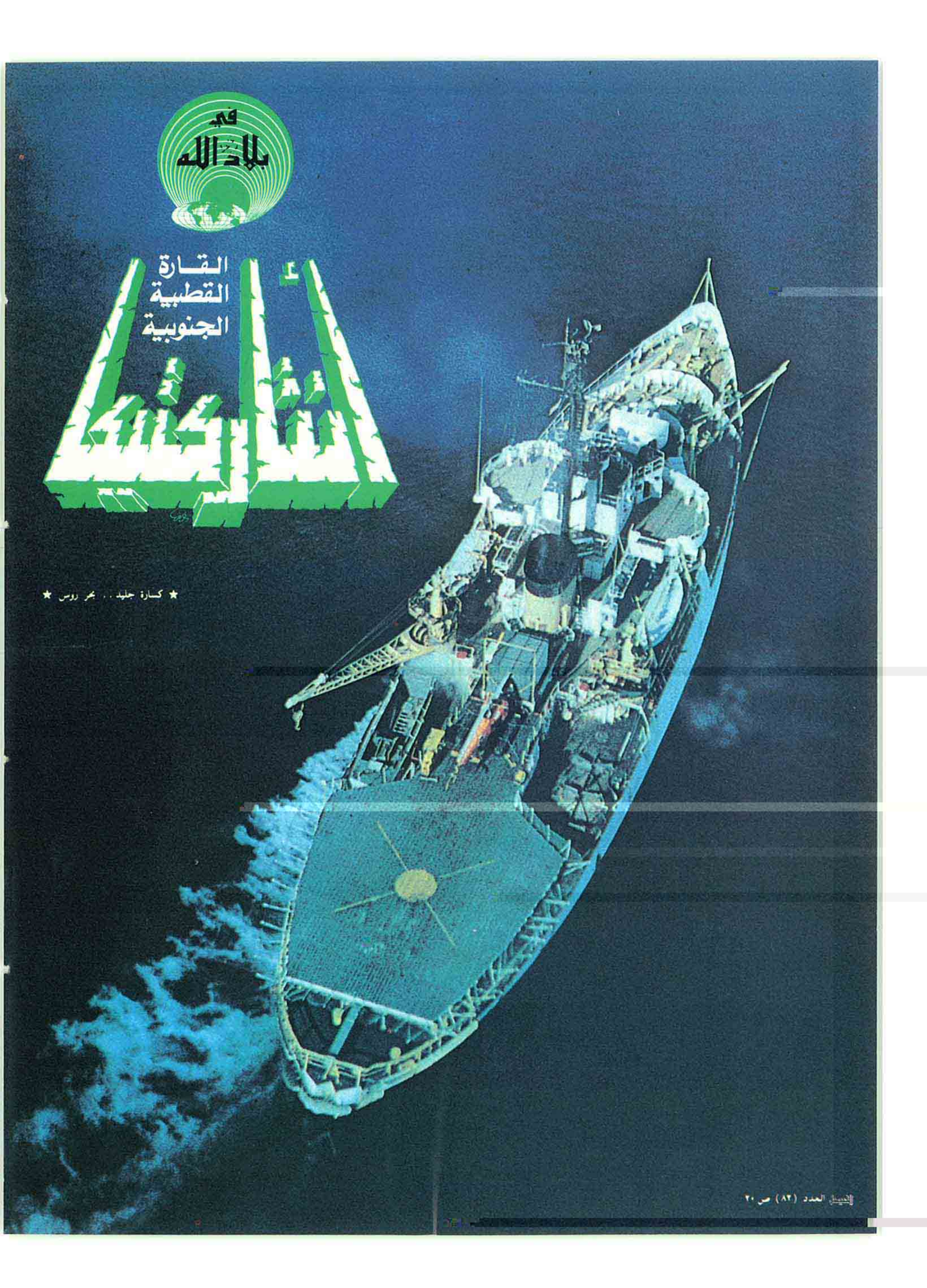
وذلك تقديراً لإسهامها الفني والفكري في تنمية الثقافة العربية ونشرها في العالم . وتجدر الإشارة إلى أن هذه الجائزة تقدر بحوالي ١٠,٠٠٠ دولار هي قيمة فائدة استثمار مبلغ ١٠٠,٠٠٠ دولار وضعتها الحكومة العراقية تحت تصرف اليونسكو لهذا الغرض ، ويمكن للمرشح لنيل هذه الجائزة أن يكون كاتباً أو باحثاً أو موسيقياً أو فناناً أسهم على نحو بارز في نشر الثقافة العربية .

أحدث الكتب

● **«المغرب والأندلس في القرن الرابع عشر الميلادي»، تحقيق وترجمة ووبريمار**، صدر عن **جامعة ليون الفرنسية** .







★ كسارة جليد .. بحر روس ★

★ جبال فيكتوريا .. والبحر .. في الخريف ★

بقلم: محمد أدهم السيد

كثر الحديث في يومنا هذا حول القطب الجنوبي .. أو بالأحرى القارة القطبية الجنوبية .. وتعددت الأسئلة والآراء حول حقيقتها .. وحقيقة أرضها وطبيعتها ، فالكثيرون يقولون إنها قارة كغيرها من القارات الأرضية الخمس .. والكثيرون أيضاً يقولون إنها ليست قارة .. وإنما هي عبارة عن جبال من الجليد اجتمعت مع بعضها في هذه المنطقة على شكل عدة جزر جليدية .. فشكلت بهذا ما نسميه نحن الآن القارة القطبية الجنوبية .

★ نهر جليدي .. طبيعة صمنت ★



وما زال العلم حتى الآن في موقف محايد من هذه الاعتقادات والآراء العلمية .. ومن هذه القضية بشكل عام .. ولكن يعتقد غالبية العلماء أن القارة القطبية الجنوبية هي قارة .. قارة حقيقية وليست أرضاً جليدية عادية . لذا سنعتبر القارة القطبية الجنوبية في هذا البحث **قارة سادسة** حقيقية .

القارة السادسة

تبلغ مساحة القارة القطبية الجنوبية حوالي



★ مطار هرقل .. خليج هاليت ★

(٥,٠٠٠,٠٠٠) ميل مربع .. أي إنها أكبر من قارة أوروبا التي لا تتجاوز مساحتها الـ(٤,٠٠٠,٠٠٠) ميل مربع .. وكذلك أكبر من قارة أستراليا التي تبلغ مساحتها حوالي (٣,٠٠٠,٠٠٠) ميل مربع .

وهي تتألف من عدد من الجزر .. بعضها وجد العلماء فيها بعض اليابسة .. وبعضها الآخر لم يجد فيها أحد يابسة بعد .

ويسيطر الجليد على معظم مساحة القارة القطبية .. بل على القارة كلها تقريباً ، ويصل ارتفاعه في بعض الأحيان إلى أكثر من (٢٠٠٠) متر .. فوق سطح البحر .

ولتسهيل عملية دراسة أنتاركتيكا **قسمها العلماء إلى أربعة أقسام أساسية هي : (فكتوريا ، روس ، ريديل ، أندرس) .**

والبرودة هناك هي المسيطرة تماماً على الجو .. إذ إن درجة الحرارة في أشد الأيام حرارة في الصيف لا ترتفع عن الصفر .. بينما تنخفض إلى أكثر من هذه الدرجة في أيام الربيع الدافئة .. وفي أيام الشتاء العادية تنخفض الحرارة إلى أكثر من (- ٥٠°م) .. وهي تنخفض إلى أكثر من هذه الدرجة بكثير في بعض الأحيان ـ أحياناً تصل درجة الحرارة في هذه المنطقة (في أيام الشتاء القارسة) ، إلى أكثر من (- ٧٠°م) .. وتصبح الحياة شبه مستحيلة .

ومن أهم جزر هذه القارة .. جزر باليني ، وجزر شاتلاند ، وجزر أوركيني ، وجزيرة روبرت سكوت ، وجزيرة روس .. وهناك عدة جزر أخرى صغيرة لا تكاد تذكر .

أول رحلة إلى أنتاركتيكا

ويعود تاريخ الرحلات الاستكشافية التي قامت باستكشاف هذه المنطقة إلى منتصف القرن الثامن عشر .. أو بعده بقليل .. وقد كانت أولى هذه الرحلات الهامة في عام ١٧٧٣م ، وكانت بقيادة الكابتن جيمس كوك .. غير أن هذه الرحلة لم تعد بأية فائدة كبيرة تذكر في هذا المجال .. فلما إن وصل كوك ورفاقه القارة القطبية حتى واجهتهم كتل الجليد الهائمة على سطح الماء .. وكاد أن يموت وأصحابه أكثر من مرة (تحت وطأة هذه الكتل .. التي كانت بين الحين والحين ينهار بعضها محدثاً دوياً هائلاً يصم الآذان تاركة وراءها ستاراً من الضباب) .

وعندما أحس كوك أن الخطر جسيم ، وأنه معرض وأصدقائه إلى الهلاك .. ارتد عائداً إلى وطنه حيث أخبر الناس بأنه لم ير أية يابسة تذكر في تلك المنطقة المثيرة .. اللهم إلا تلك الكتل الجليدية الكثيرة الهائمة .. لكنه صرح بأنه يؤمن

★ رحلة على مركبة التزلج ★

★ جليد ناعم .. محاولة لانتشال جرار ★

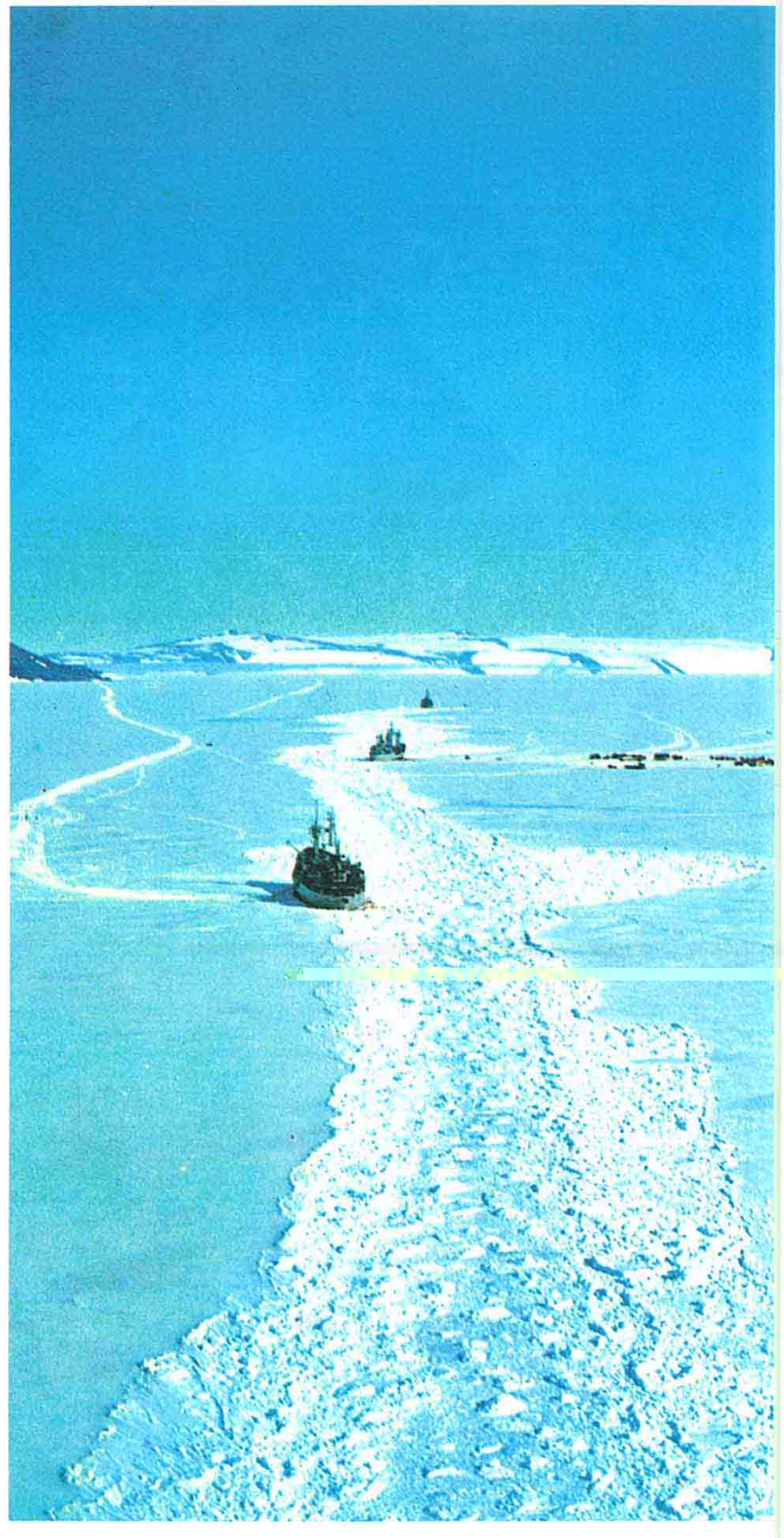


بوجود يابسة ما تحت هذا الجليد الكثيف .. وإن كانت اليوم مختفية .

الرحلات الاستكشافية

وبعد أن قام كوك برحلته هذه عام ١٧٧٣ م .. هدأ البحث نوعاً ما .. ولم تقم أية رحلة أخرى هامة تذكر في ذلك القرن .. ولكن .. مع مطلع القرن التاسع عشر ، بدأ بعض الصيادين والرحالة يطوفون بقواربهم وسفنهم حول بعض جزر القارة القطبية .. بغية التعرف على أسرارها ــ والفضول دائماً يدفع الإنسان إلى البحث والاستقصاء ــ .

وفي عام ١٨٢٣ م ، أرسلت الحكومة البريطانية بعثة علمية تتألف من عدد من العلماء والربابنة إلى منطقة القطب الجنوبي .. وكانت بقيادة **جيمس ويديل** .. لكنها لم تعد بأية فائدة تذكر .



★ طريق بحري إلى هات بوينت ★

وفي عـام ١٨٤١م، استطاع **القبـطان جيمس روس** أن يبلغ الخليج الذي يطلق عليه اليوم اسم «**خليج الحيتان**».. والـذي يعتقد البعض بأنه مدخل القارة القطبية.. وقد أطلق العلماء على إحدى الجزر الواقعة في هذا الخليج اسم «**جزيرة روس**».. نسبة إلى هذا القبطان المستكشف.. ولم تتوقف الرحلات التي قامت لاستكشاف القارة القطبية الجنوبية بعد هـذا الزمن.. بل على العكس.

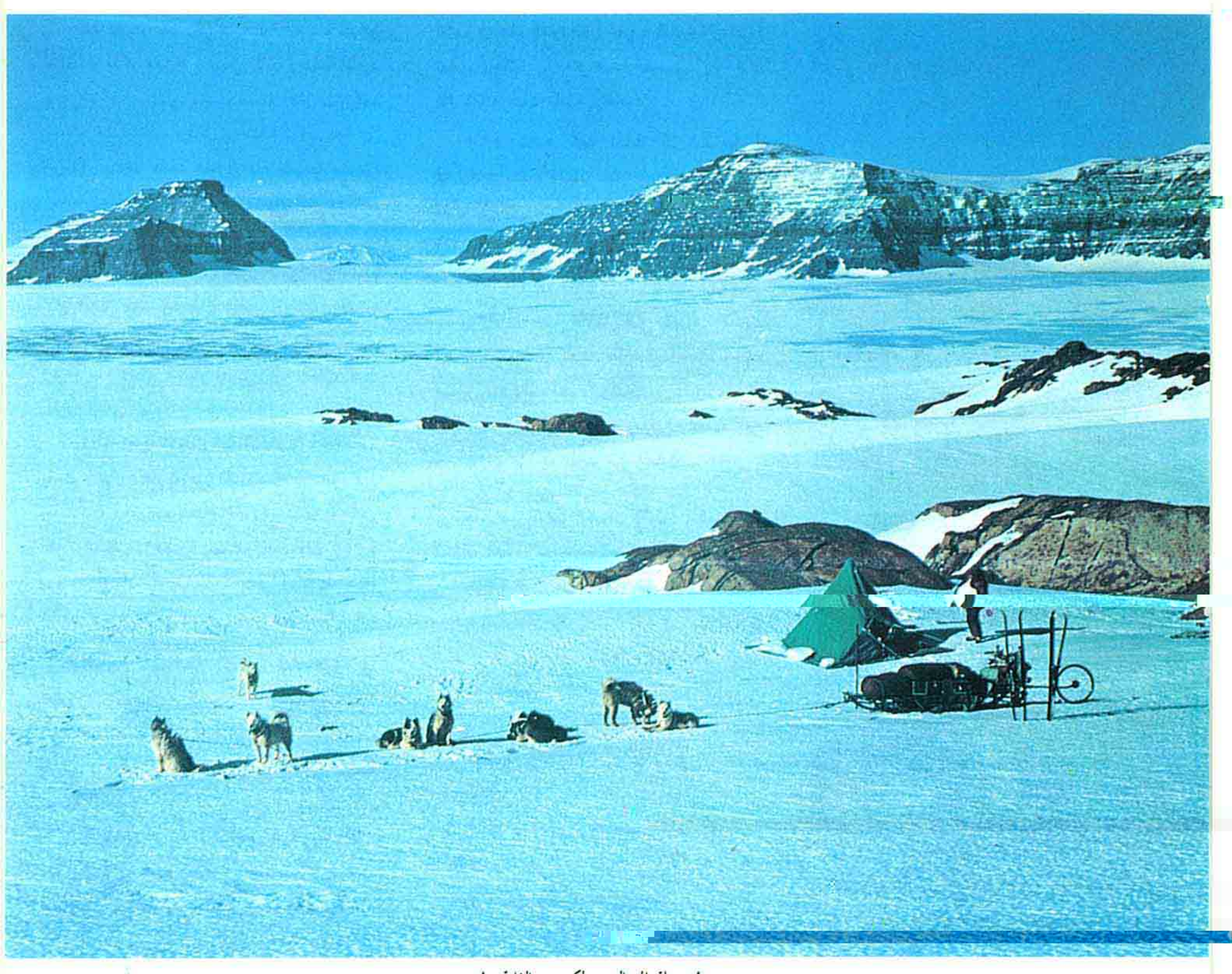
ومع مطلع القرن العشرين تحولت أحـوال الكشف كثيراً.. واستطاع عـدد مـن الـرحالة المستكشفين بلوغ قلب القارة القطبية الجنوبية.. محققين بهذا أعظم انتصار علمي يذكر في هـذا المجال.

رحلة سكوت الأولى (سنة ١٩٠١ ـ ١٩٠٤م)

وتعتبر **رحلة سكوت الأولى** سنة ١٩٠١م، أولى الرحلات الاستكشافية التي قامت إلى القارة القطبية الجنوبية ـ في القرن العشرين ـ وكانت بقيادة **روبرت فالكون سكوت**. وقد كانت هذه الرحلة بحق أفضل الرحلات الاستكشافية التي قامت منذ عـام ١٧٧٣م. فقد استطاع سكوت ورفاقه اقتحام القارة القطبية الجنوبية، والـوصول إلى الهضبة الجليدية في أرض فكتوريا، وهـذا الإنجاز كما أسلفنا يعتبر أكبر إنجاز حققه الـرحالة والمستكشفون في مجال استكشاف القارة القطبية الجنوبية.

وتبدأ القصة عندما كلف سكوت في سنة ١٩٠١م، ـ وكان آنذاك برتبة كوماندور ـ بمهمة كشف النقاب عن أسرار القارة القطبية الجنوبية ـ بصحبة عدد من العلماء والمستكشفين.. مثل **أرنست شاكلتون، وإدوارد ولسون** ـ.

وقد وصل سكوت إلى روس سنة ١٩٠٢م، واستقر به المقام في خليج كوماندور حيث أمضى فيه الشتاء الذي دام وقتاً طـويلاً.. وعنـدما حـل الصيف في أواخر عـام ١٩٠٣م، على القـارة



★ رحلة إلى البر، ولكن مع الفارق ★

القطبية.. واصل سكوت وأصحابه رحلتهم.. حيث وصلوا في أواخر عام ١٩٠٣م، ومطلع عام ١٩٠٤م، أرض فكتوريا. وقد حصل روبرت فالكون سكوت في طريقه على الكثير والكثير من المعلومات الهامة حول طبيعة المنطقة القطبية وطبيعة الحياة فيها.

وفي فبراير (شباط) عام ١٩٠٤م، اضطر سكوت إلى الرجوع إلى إنجلترا محملاً بتلك المعلومات الهامة.

ولم يفكر سكوت بالعودة إلى ذلك المكان بعد ذلك ـ حتى عام ١٩١١م ـ، في حين أن صديقه شاكلتون عاد مرة أخرى إلى القارة سنة ١٩٠٧م، لكنه لم يصل إلى شيء يذكر.. فقد اضطر إلى العودة إلى بريطانيا سنة ١٩٠٩م، وهو على بعد ١١٣ ميلاً فقط من القارة القطبية.

رحلة سكوت الثانية
(سنة ١٩١١ ـ ١٩١٢م)

وقد كان عام ١٩١١م، وافر الأخبار غنياً بالرحلات.. ففي ذاك العام غادر كل من **المستكشف النرويجي روالد أميندسن** ـ الميناء النرويجي ـ والقبطان فالكون روبرت سكوت ـ الميناء البريطاني ـ في طريقهما إلى القارة القطبية الجنوبية.. وكانا كأنهما في سباق للخيل.. أو الدراجات.. أو السيارات.. إلخ. فكل واحد منهما يريد الوصول إلى القارة قبل الآخر.

ولكن كان الحظ حليف أميندسن.. فقد وصل قبل سكوت بشهر وأربعة أيام. ففي اليوم الرابع عشر من شهر كانون الأول (ديسمبر) وصل أميندسن وأصدقاؤه القارة القطبية الجنوبية فحط رحاله ونصب خيامه.

وفي ١٨ كانون الثاني (يناير)، وصلت سفينة سكوت القارة القطبية ليجد أميندسن قد سبقه ووصل إلى القطب قبله.. فقفل راجعاً.. حيث تحولت رحلته بعد ذلك إلى رحلة عذاب مأساوية حقيقية.. فقد توفي إيفانز صديقه الأول.. وأصيب أوتس بمرض الأسقربوط.. ولقي الكثير من ربابنة السفينة حتفهم إثر إصابتهم بمرض الأسقربوط.

وفي ٢٩ آذار (مارس) سنة ١٩١٢م، توفي القبطان روبرت فالكون سكوت بعد حياة مليئة بالمغامرات والرحلات والاكتشافات.. وبعد مضي وقت طويل تمكن ربان السفينة والمستكشفين الباقين على قيد الحياة من الوصول إلى معسكرهم وهم في يأس كبير.. أما أميندسن فقد واصل رحلته إلى قلب القارة، ولم تتوقف الرحلات بعد ذلك.

فقد قامت عدة رحلات هامة انتهت بنتائج طيبة .. نذكر منها على سبيل المثال **رحلة بيرد** سنة ١٩٤٧ م، التي كانت تضم أكثر من ألف وستمائة مستكشف وعالم ورحالة، إضافة إلى الربابنة .. وقد عادت هذه الرحلة بخريطة ممتازة لمساحة وصلت ٥٠٠,٠٠٠ ميل مربع من مساحة القارة القطبية .

وكذلك **رحلة الدكتور فوكس** سنة ١٩٥٧ م، حيث استطاع هذا أن يقطع القارة القطبية الجنوبية كلها مروراً بالقطب الجنوبي[1] ، محققاً بهذا أعظم انتصار وصل إليه العلماء منذ القرن الثامن عشر .

وفي ١ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٥٩ م، وقعت الدول المتنافسة على القارة معاهدة تنص على وقف كافة الحقوق والأطماع الدولية الشخصية حول القارة القطبية الجنوبية – مدة المعاهدة (٣٠) سنة .. أي أن مفعولها سوف ينتهي في شتاء عام ١٩٨٩ م – .

واليوم تستخدم القارة القطبية في الشؤون العلمية البريئة، بعيداً عن النشاط العسكري الذي من شأنه أن ينتهي بدمار القارة .. ومن يدري ربما دمار العالم .

وهناك عدة قواعد علمية الآن متمركزة في هذه القارة البيضاء .. مثل قاعدة بلنفشا نوزين السوفييتية، وقاعدة مكميوردو الأمريكية، وقاعدة ديمونت ديورفيل الفرنسية .

بين الحياة والموت

قد يكون من أهم الأسئلة التي يطرحها العلماء على أنفسهم حول حقيقة القارة القطبية الجنوبية السؤال القائل : **هل كانت اليابسة هي المسيطرة على طبيعة القارة الجنوبية في قديم الزمان؟**. وكذلك السؤال القائل : **هل قامت حضارات راقية في هذه المنطقة الغامضة في القديم؟**

أما عن جواب السؤال الأول فإن معظم العلماء يؤكدون أنه في قديم الزمان كانت في هذه الأرض يابسة صالحة للحياة .. ويستشهدون بذلك بعدة أدلة هامة منها :

(١) يقول العلماء : إنهم قد وجدوا خلال بحثهم في هذه القارة فحماً خفيف الدرجة ينتشر في بعض أرجائها .. ومثل هذا الفحم لا يوجد إلا إذا كانت هناك يابسة وشجر .

(٢) هناك في بعض المناطق آثار تدل على أن ثمة نباتات مختلفة كانت تعيش في تلك المناطق في قديم الزمان .. وأن هذه النباتات قد ماتت واندثرت بسبب عامل ما (وهو طبعاً درجة الحرارة المنخفضة وتشكل الجليد) .

(٣) في بعض المناطق التي ظهرت اليابسة فيها بشكل واضح وجد العلماء فيها عدة معادن هامة .. كالذهب، والنحاس، والفضة، والحديد، والنيكل .. إلخ . ومازال العلماء يوماً بعد يوم يكتشفون المزيد من المعادن .

هذا عن جواب السؤال الأول .. فماذا عن السؤال الثاني ؟

يقول بعض العلماء : إن إمكانية وجود حضارة مزدهرة – أو غير مزدهرة – عاشت في أنتاركتيكا في قديم الزمان أمر غير مستبعد .. ومازال العلماء يحاولون جاهدين اكتشاف بقايا هذه الحضارة إن وجدت . ويؤمن بعض العلماء والمتابعين أن هناك فعلاً حضارة مزدهرة عاشت في قديم الزمان في أنتاركتيكا .

ويقول بعضهم : إن هذه الحضارة – أو بالأحرى الحضارات – كانت لا تختلف عن أية حضارة أخرى – كانت موجودة على سطح الأرض – .. وإن أنتاركتيكا كانت في أول الأمر من أجمل المصايف والمتنزهات .. لكنها تعرضت – كما تعرضت غيرها من المدن – لعامل من عوامل الدمار الطبيعي .. هذا العامل تمثل في **مدينة بومبي الإيطالية** ببركان[2] .. وفي **قارة أطلانطس**[3] ، بزلزال وطوفان .. وفي **مدينة أغادير بزلزال** .. أما في أنتاركتيكا فكان العامل هو تجمد هذه الأرض التي كانت تنبض بالحياة .. واندثار هذه الحضارة العريقة بسبب طغيان الجليد .

الحياة .. اليوم

لعل من أهم الكائنات القليلة التي تقطن القارة القطبية الجنوبية اليوم **طائر البطريق ..** ويعد هذا الطائر الجميل من أغرب وأعجب وأطرف الطيور الأرضية، فهي طيور أليفة لا تطير لسببين : أولا لتحول أجنحتها إلى مجاذيف قوية



★ عملية مساحة ★

تساعدها في السباحة في الماء .. وثانياً لثقل وزنها وضخامة جسمها .

ويعيش البطريق على أكل الأسماك .. وهو يقتنصها بكل هدوء ودقة دون أن يصدر أي صوت .. ويصل طول البطريق وهو في منتصف عمره (٢٠ سنة) الذي يبلغ أحياناً أربعين سنة إلى (١٣٠) سم .. وهو سبّاح ماهر حيث تزيد سرعته في بعض الأحيان عن (٣٠)كم في الساعة . ويتكاثر البطريق بالبيوض .. وتتناوب الذكور والإناث الرقاد على البيض حتى يأتي موعد الفقس وخروج الفراخ .

ومن الطيور الهامة التي تعيش في أنتاركتيكا أيضاً طائر القطرس . وهو طائر كبير الحجم طوله – وأجنحته مفتوحة – يزيد على المترين . ويعتقد بعض البحارة أن هذا الطائر يجلب السعد لسفنهم .. ويعيش القطرس على اقتناص وأكل السمك .. أما الحيوانات فهي شبه معدومة .

وفي المياه تعيش آلاف وآلاف الكائنات

المائية .. نذكر منها : الأخطبوط، أم الحبر، الحيتان الضخمة، السمك الطيار، الخنازير البحرية، الكرل، الدرافيل، عنكبوت البحر .. وما إلى ذلك .

وكذلك من أهم حيوانات القارة القطبية عجل البحر .. وهو من أضخم المخلوقات التي تعيش في هذه القارة .. حيث يصل طوله في بعض الأحيان إلى أكثر من ستة أمتار .. ويزن حوالي ٢,٥ طن .. أما عجل البحر البالغ فيبلغ وزنه حوالي (٧٠٠ ـ ٧٥٠) كغ .. ويعيش عجل البحر على أكل السمك .

الأورورا أسترالس

تعتبر الأورورا أسترالس من أجمل المناظر الطبيعية التي يتمتع برؤيتها الإنسان في القارة القطبية الجنوبية .. فهي تظهر تقريباً في معظم ليالي فصلي الربيع والخريف .. وقد تظهر أحياناً في الصيف أو الشتاء .

والأورورا أسترالس بتعريفها هي عبارة عن ظاهرة طبيعية جميلة تتشكل بسبب العواصف الجزيئية الذرية الكهربائية التي تطلقها الشمس خلال العام، والتي تجتمع عند القطبين بسبب المجال المغناطيسي الكبير لهذين القطبين .. فتشكل بهذا أيضاً مايعرف في القارة القطبية الشمالية بالأورورا بوريالس .

وتتألف الأورورا أسترالس الجنوبية والأورورا بوريالس الشمالية من رقائق ملونة ذات بريق لامع تظهر في السماء وكأنها شلالات من الأضواء اللامعة (التي تبدو خضراء في الجنوب وصفراء ذات صبغة وردية في الشمال)، وفوق هذه الشلالات تظهر النجوم بشكل واضح وجليّ .

ولو قمنا بدراسة دقيقة حول هذه الحادثة، لوجدنا أن السبب المباشر في حدوث هذه العملية، هو دخول الجزيئات الذرية المذكورة سابقاً مجال ذرات الهواء الأرضي، مما يؤدي إلى حدوث تصادم رهيب بين هذه الجزيئات وذرات الهواء .. ينتج عنه طاقة شديدة لامعة تترك خلفها بريقاً متموجاً في السماء (كموج البحر) يظل ظاهراً حتى حلول الصباح .

نهاية العالم

ونأتي الآن إلى موضوع هام يتعلق كثيراً بالقارة القطبية الجنوبية . هذا الموضوع هو نهاية العالم وكيف ستكون .

الكثير من العلماء والمنجمين توقعوا للأرض عدة نهايات موضوعية .. القليل منها علمي يقترب إلى الصحة .. والكثير منها خاطئٌ لا يتصل لا من قريب ولا من بعيد بالحقيقة التي قد تتحقق بالمستقبل .

فمن النظريات العلمية القليلة التي قد تكون إحداها صحيحة يقول العلماء : إن نهاية العالم سوف تكون باصطدام نجم أو كوكب بالشمس أو الأرض .. أو بنيزك ضخم يستطيع أن يخترق الغلاف الجوي الأرضي ويصل إلى الأرض فيدمرها ويقضي عليها وعلى سكانها وحضاراتها .. (كما حدث في سيبيريا سنة ١٩٠٨م)، وكذلك من النظريات الكثيرة الخاطئة نظرية تقول : إن نهاية العالم سوف تكون على يد سكان الفضاء، وهذا ما يتوقعه المنجمون إذ يعتقدون أن جميع الكائنات الفضائية لها عقول شريرة كعقل الإنسان الذي اخترع القنبلة الذرية والنووية ليرميها فوق هيروشيما وناغازاكي .

ولن نطيل كثيراً في الحديث عن نهاية العالم .. فما يهمنا في هذه الفقرة ليست نهاية العالم بل أنتاركتيكا وعلاقتها بهذه النهاية . إذ يقول العلماء ـ وهذه من النظريات القريبة إلى الصحة التي قد تحدث في المستقبل ـ : إن أنتاركتيكا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنهاية التي ستحل بالكرة الأرضية، وهم يعتقدون أن نهاية الأرض سوف تكون .. إما أن تتعرض الأرض إلى تجمد هائل يسيطر الجليد فيه على كل شيء فيقضي على حضاراتها كما قضى الجليد على حضارة القارة القطبية الجنوبية في الأزمنة السابقة وهي نظرية في الأكثر غير صحيحة .. أو أن يذوب هذا الجليد الكثير الموجود في أنتاركتيكا مما يؤدي إلى ارتفاع منسوب مياه البحر والمحيطات إلى أكثر من ٧٥ متراً مما هو عليه .. مما يؤدي أيضاً إلى غرق المدن والجزر التي يقل ارتفاعها عن سطح البحر بـ(+ ٧٥) متراً ـ وأهمها المدن الساحلية ـ وهي نظرية أكثر قرابة إلى الصحة من تلك الأولى .. وما يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

وبعد ...

فإن أنتاركتيكا تظل من أغرب القارات الأرضية الست .. القديمة والحديثة .. وتظل القارة القطبية الجنوبية من أجمل الصحارى البيضاء المعروفة حتى الآن .

وتظل أنتاركتيكا على الرغم من الاكتشافات الكثيرة التي حققها العلماء طوال مدة ٤٠٠ سنة غامضة غريبة يكتنفها الغموض وتلفها الأسرار والعجائب .. خاصة فيما يتعلق بالحياة عليها قديماً وحديثاً .

* * *



أهم مراجع الموضوع

(١) موسوعة المعرفة .
(٢) موسوعة الهدف ٢٠٠٠ .
(٣) الذين هبطوا من السماء .
(٤) مجلة الصين المصورة، العدد (١٠)، عام ١٩٨٢م .
(٥) المنطقتان المتجمدتان .
(٦) الكشف عن المجهول .
. the national Geographic m[illegible]

الهوامش

(١) القطب الجنوبي : قسم من أقسام القارة القطبية الجنوبية الداخلية .. ويعتبر قلب القارة القطبية .. لذلك يطلق الكثيرين من الناس والعلماء على أنتاركتيكا اختصاراً اسم القطب الجنوبي . وهو لا يختلف عن أية منطقة من المناطق الأخرى (فكتوريا، روس، ويدل، أندرس)، سوى باتساع مساحته .

(٢) بومبي : مدينة إيطالية تقع على سفوح جبل فيزوف الذي يحتوي على أشهر وأخطر بركان في العالم .. هو بركان فيزوف . دمرت هذه المدينة تماماً في عام ٧٩ ميلادية، ثم أعيد كشف النقاب عنها في القرن التاسع عشر .. لمزيد من التفاصيل طالع مجلة «**الفيصل**»، العدد (٦٣) .

(٣) أطلانطس : قارة كبيرة كانت تصل قارة إفريقيا بقارة أمريكا الجنوبية .. وقد دمرها زلزال وجرفها طوفان في عام (١٤٧٠ ق . م)، ويقول بعض العلماء : إن أصل شعب قارة أطلانطس ليس من الأرض، وإنما من الفضاء .

لوحة وفنان

لوحة : تكوين

● يصور الفنان في لوحته «تكوين» المعروضة، مجموعة من المباني.. البيوت التي تتميز بطرز معمارية تختص بها بيئة المملكة العربية السعودية.. والمساجد.. أي أن الفنان يصور مشهداً من الواقع.. لذا نجد الفنان قد استخدم في لوحته أقصى التضاد بين الضوء والظل، فخرجت الألوان على شكل نغمات متباينة.

● من اللوحة يتضح مفهوم نواوي للفن كنشاط تركيبي إبداعي، فأسلوبه ينتمي إلى المدرسة الشكلية، أي أن محور الفنان هو الشكل.. والمضمون هنا هو العلاقات الجمالية التي يحدثها الشكل.. لذا نجد الفنان يحيل البيوت والمساجد إلى علاقات هندسية، مختلفة الأشكال والأحجام، والفنان هنا يعيد صياغة الواقع عن طريق التحليل ثم التركيب.

● أسلوب الفنان في اللوحة أقرب إلى الأسلوب التكعيبي، فأسلوبه هندسي، بنائي، رياضي، يتجه إلى تسطيح الأشكال، ثم تلوينها وفق منطق رياضي يعتمد على الاتزان في توزيع عناصره اللونية.. كما أن الألوان متوافقة رغم أنها متباينة الدرجات.

● يعتمد الفنان في بنائية هذه اللوحة على الهارموني الخطي، وما يحدثه عنصر الخط من تأثير درامي، ومن اتزان عن طريق اتجاهات مساره في الحركة.. كما يعتمد على الهارموني اللوني الذي يبرز اللوحة كأنها نسيج عضوي واحد مؤلف من نغمات لونية ذات الشقين الدافئ والبارد.

● وباستخدام عنصر الخط كإطار خارجي للأشكال والمساحات اللونية خرجت اللوحة وكأنها قطعة من الزجاج المعشق.



● ولد عام ١٣٧٠هـ. بمكة المكرمة

● حصل على دبلوم التربية الفنية من معهد التربية الفنية للمعلمين بالرياض.

● حصل على شهادة الماجستير من جامعة ولاية «إنديانا» بأمريكا.

● اشترك في الكثير من المعارض والمسابقات التي أقيمت داخل المملكة، منها:

★ معارض ومسابقات مكتب رعاية الشباب بجدة.

★ معارض المقتنيات التي تقام بالرياض في الفترة من ١٣٩٧ ـ ١٤٠٣هـ.

★ معارض الفن السعودي المعاصر التي تقام بالرياض في الفترة من ١٣٩٧ ـ ١٤٠٣هـ.

★ معارض مناطق المملكة التي أقيمت بالرياض وجدة في الفترة من ١٣٩٧ ـ ١٤٠٣هـ.

● أقام معارض شخصية، واشترك في معارض ومسابقات خارج المملكة، منها:

★ معرض شخصي بولاية «إنديانا» عام ١٣٩٦هـ.

★ معرض شخصي بأمريكا «كولورادو» عامي ١٣٩٨، ١٣٩٩هـ.

★ معرض شخصي بولاية هيوستن بأمريكا عام ١٤٠٠هـ.

● اشترك بلوحات في معارض المملكة التي أقيمت بكل من المغرب، السويد، الأردن.. كما اشترك في معارض الكويت السادس والسابع والثامن للفنانين التشكيليين العرب.

● حصل على العديد من الجوائز الأولى وجوائز الاقتناء والميداليات والشهادات التقديرية في المعارض التي شارك فيها.



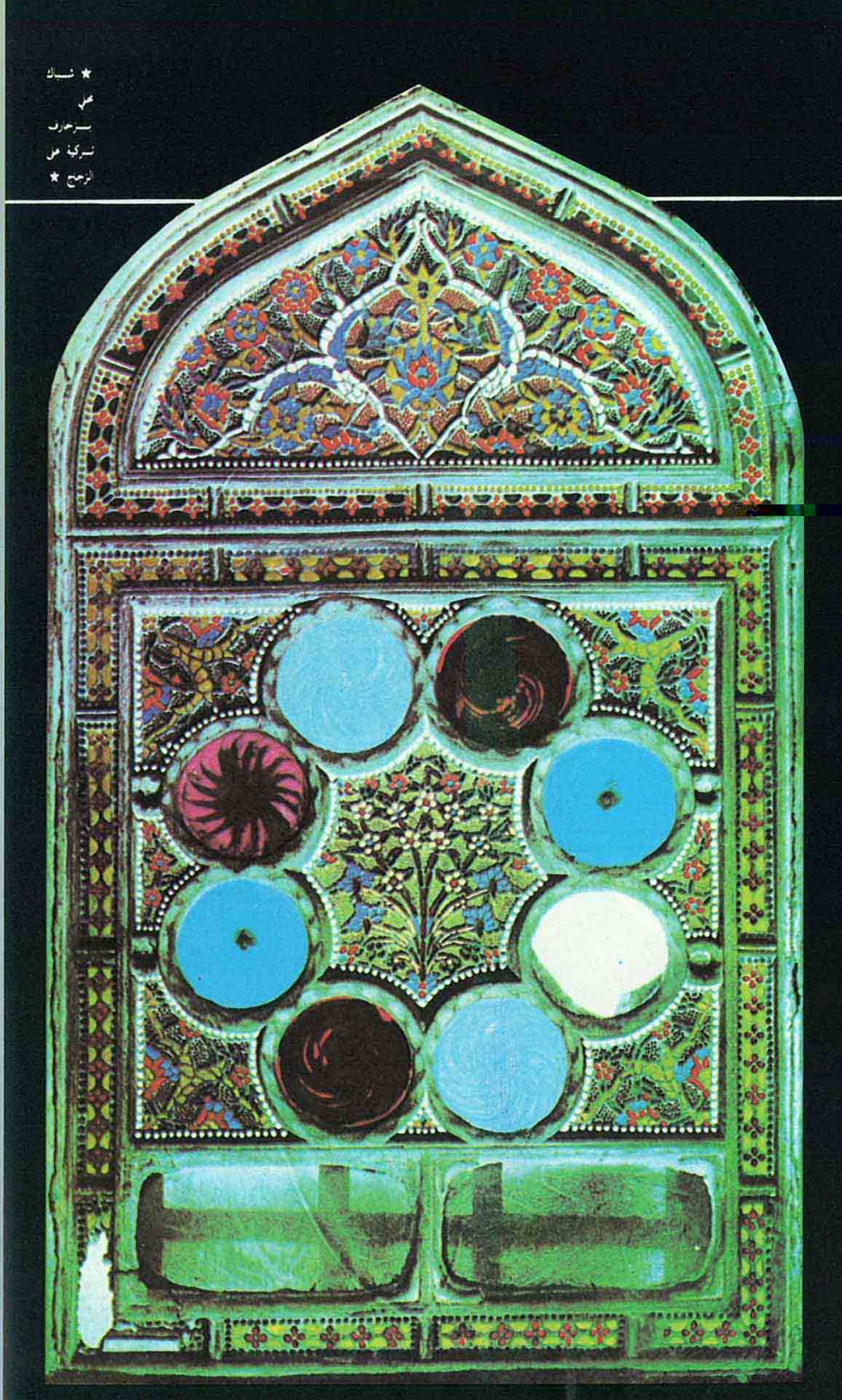




في استانبول

إعداد: د. الصفصافي أحمد المرسي

★ استغل الفنان فن الخط العربي في لوحته ★



★ شباك محلى بزخارف تركية على الزجاج ★

صادف القرن التاسع عشر، نشاطاً، أثرياً، ومتحفياً واضحاً، في العالم الغربي، وقد سارت تركيا، في هذا الميدان في خط متواز لهذا التيار.

وقد صادفت هذه الفترة، يقظة تركية، وثقافية، رداً على الهجمات الأوروبية الصليبية، كان من نتيجتها، جمع كل المخلفات الأثرية الإسلامية التركية في منطقة الأناضول.

تمثلت هذه المجهودات في المرحلة الأولى في جمع هذه القطع الأثرية وترميمها، ثم تصنيفها بالشكل الذي يتلاءم مع التطور العلمي العالمي. وكانت البداية سنة ١٨٤٥م، حيث تمكن **المشير فتحي أحمد باشا** من جمع سبع وخمسين قطعة وصلت سنة ١٩٧٢م، إلى ٣٨,٠٨٦ قطعة نادرة غير مكررة.

وكان مكان العرض الأول هو: **قصر الخزف**، الواقع غرب سور «**قصر طوپ قاپي**». ثم انتقلت تلك الآثار إلى قصر «طوب قاپي» نفسه. وفي سنة ١٩١١م، شكِّلت لجنة لاختيار مكان لائق ومناسب، وأعطيت صلاحيات

متحف الآثار الإسلامية التركية

★ من الخزف التركي ـ مدينة أزنيك حوالي عام ١٥٤٠ ـ ١٥٥٠م ★

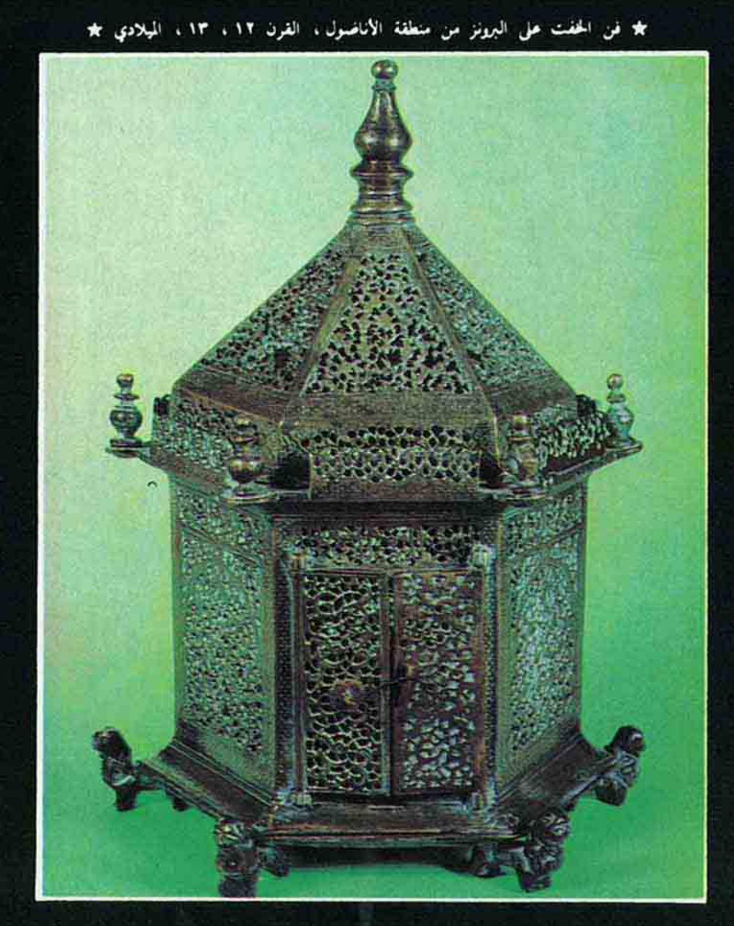
واسعة . وتم عرض القطع لأول مرة بشكل مكثف سنة ١٩١٤م، في «متحف الأوقاف الإسلامية»، أمام جمع حاشد من الشخصيات السياسية والعلمية والأدبية والإسلامية، وكان من بينهم ولي العهد آنذاك **يوسف عز الدين، وسعيد حليم باشا، وشيخ الإسلام خيري أفندي، والمؤرخ المشهور أحمد راسم بك**.

ومن الجدير بالذكر أن كل الهيئات الإسلامية كإدارات الأوقاف والمعاهد الدينية والمدارس والجامعات والمساجد والتكايا قد ساهمت وشاركت في هذه الحملة ـ وما أحرانا في جميع البلدان العربية بمثل هذه المساهمات والحملات ـ لجمع التراث الأثري.

متحف الآثار التركية الإسلامية

وبعد إعلان الجمهورية وفي سنة ١٩٢٦م، انتقلت مسؤولية المتحف من وزارة الأوقاف إلى وزارة التعليم القومي، وتمت تسميته **«متحف الآثار التركية الإسلامية»**، وكان يساير في تطوره «متحف طوب قابي سراي» ووفرت له الدولة كل الإمكانات لمسايرة التطور العالمي والنشر والعرض الحديث، واكتسب المتحف شخصيته الاعتبارية المستقلة بفضل جهود العالم الإسلامي الكبير والفنان المبدع **أليف ناجي** منذ سنة ١٩٦٤م، ووصل عدد القطع في عهده إلى ٢٥,٤٩٦ قطعة أثرية. وألحقت به أقسام الخزف والمعدن والسراميك والكليم. وأعيدت إليه أقسام السجاد والمعادن والسراميك وأعمال الخشب وقسم المخطوطات التي كانت قد ألحقت بمتحف «طوب قابي سراي».

★ فن الحفت على البرونز من منطقة الأناضول، القرن ١٢، ١٣، الميلادي ★



أقسام المتحف

وقسم **السراميك** يحتوي على قطع من (**سامرا**) منذ القرن ١٣ و (الرقّة) من القرنين ١٣ و ١٤ والسراميك الفشاني المزخرف، والخزف الذي صُنع في الأناضول بالموازييق والمينا، وقطع خزفية من العصر العثماني الأول وخاصة خزف إزنيق في القرن الخامس عشر.

وهناك صالونان قد أفردا **للسجاد التركي** الذي ما زال محك دراسة العلماء والباحثين لجودته ونقوشه وزخارفه وألوانه الزاهية. **وقد ثبت علمياً أن الأتراك هم أول مَن عرفوا السجاد في أواسط آسيا، ثم نقله السلاجقة إلى إيران منذ القرن الحادي عشر**، وقد نشر السلاجقة صناعة السجاد معهم عند انتشارهم في الأناضول والعالم الإسلامي.



★ الخط العربي .. أحد عناصر الزخرفة الإسلامية ★



★ صناعة السجاد من الفنون التي برع فيها الفنان المسلم ★

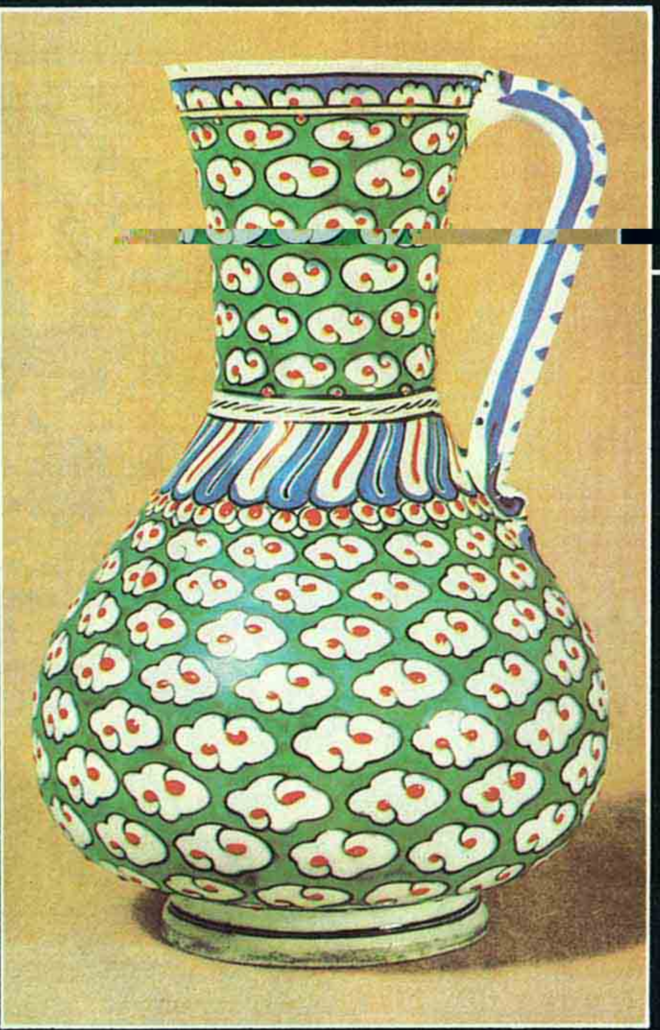
★ خزف تركي من مدينة أزنيك عام ١٥٥٠م ★

وتمثل **سجادة الصلاة** جزءاً غنياً بين صناعة السجاد التركية. وبالمتحف ثلاث قطع تعود إلى القرن الخامس عشر. هذا خلاف **سجادة قونيا وقيرشهر وبرجاما** التي تعود إلى القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، كما يحتل **سجاد القصور الهمايونية** = «**السلطانية**» حيزاً كبيراً في قسم السجاد الذي يحتوي على ما يزيد عن ألف وخمسمائة قطعة؛ يعود حوالي مائتين منها إلى **منطقة قفقاسيا** (القرن ١٧)، ومثلها من **إيران**.

ومعظم هذه القطع النادرة مزدانة برسوم ونقوش وتذهيب وخطوط إسلامية رائعة.

أما قسم **المخطوطات**، فله روعته، فقد احتل مكانته





★ حرف تركي من مدينة ازنيك ــ حوالي عام ١٥٧٠ ــ ١٥٨٠ م ★

المرموقة ، منذ افتتاح المتحف ، وهذا القسم قياساً إلى ما تحتويه متاحف العالم الأخرى يعتبر من أغناها وأعظمها روعة . وتزدان محتويات هذا القسم بنسخة قرآنية على جلد الغزال كتبت بالخط الكوفي منذ السنوات الأولى للهجرة . ومن بين مقتنيات هذا المتحف **نسخة عثمان بن عفان** (رضي الله عنه) . هذا علاوة على مخطوطات على جلد الغزال تعود إلى **العصر الأموي والعصر العباسي** ، ونماذج من تذهيب نسخ القرآن من القرن العاشر في **الأندلس** ، ونسخ أخرى من **العصر المملوكي والإيلخاني والتيموري** .

هذا إلى جانب رسوم **المنمنمات** والصور التعبيرية التي تُعد من أروع نماذج فن التصوير القصصي الذي بلغت مدارسه في العالم الإسلامي مكانة رفيعة .

كما لا يمكن لمشاهد هذا المتحف أن يتغاضى عن **اللوحات الخطية** ، وما أضافه الفنان التركي المسلم من إبداعات وتشكيلات زخرفية للخط والحرف العربي ؛ كخط النسخ والرقعة والثلث والتعليق والتاجي ، ومن مقتنيات المتحف من هذه الروائع لوحات خطية كتبها بعض السلاطين العثمانيين بأنفسهم **كالسلطان محمود** الذي أهدى بعض لوحاته إلى **المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة ، ومسجد السيدة زينب والسيدة سكينة في القاهرة** وما زالت هذه اللوحات معلقة في تلك المساجد وقد رآها كاتب هذه السطور بنفسه في المساجد الثلاثة .

وقد احتوى المتحف على « طغراءات » السلاطين ونماذج من فرماناتهم والأدوات التي كانوا يستخدمونها في هواياتهم كالمعازف والأقلام والأختام وصناديق الكتب ومحافظها ومجلداتها ومحابرهم ومحافظ أقلامهم .

وقسم **التجليد والتذهيب** يشتمل على نماذج من **إيران وأفغانستان والتركستان** ومعظمها يعود إلى القرن الخامس عشر والسادس عشر . وبه عدد كبير من النسخ الخطية المصورة والمذهبة لذبدة التواريخ ، وسير النبي ، وديوان **سعدي الشيرازي ، وخسرو شيرين ، وقيس وليلى** .

وتحتل **المشغولات الخشبية** الإسلامية مكاناً فسيحاً أيضاً في متحف الآثار الإسلامية التركية باستانبول ، وبه نماذج عباسية للحضر من سامراء ، ونماذج سلجوقية وعثمانية من القطع الخشبية المطعمة بالصدف كالراحلات وصناديق حفظ نسخ القرآن الكريم والجكمجيات .

أما قسم **المعادن** فله رونقه الخاص ، وتحتل نماذج الشمعدانات والمباخر والأباريق والصواني الفضية والنحاسية والبرونزية ، وكذا الخوذات السلجوقية والعثمانية والمملوكية مكانها البارز بين معروضات المتحف التركي الإسلامي .

والجدير بالذكر أن في متحف النوادر الإسلامية هذا حوالي ثمانون خبيراً من كبار العلماء المسلمين يحاولون حفظ هذا التراث والحفاظ عليه والعناية به ، ليكون شاهداً ــ أمام ناظري الشباب التركي المسلم المعاصر والسائح الغربي الحاقد ــ على عظمة الإنسان والفنان التركي المسلم الذي انصهر في بوتقة الحضارة الإسلامية وأنتج تلك الروائع ، والذي لا بد وأن يعود ذات يوم فيحتل مكانه اللائق به بين الأشقاء المسلمين .

التنمية الاقتصادية في الإسلام

بقلم: د. محمد شوقي الفنجري

عالج الفقهاء القدامى قضايا التنمية الاقتصادية، مبينين بجلاء أنها ليست عملية إنتاج فحسب، وإنما هي عملية كفاية في الإنتاج مصحوبة بعدالة في التوزيع. وإنها ليست عملية اقتصادية بحتة، وإنما هي عملية إنسانية تستهدف تنمية الإنسان وتقدمه بشقيه المادي والروحي.

ولسنا هنا بصدد دراسة لقضايا التنمية الاقتصادية في الإسلام، أو بصدد تتبع أفكار الفقهاء القدامى واجتهاداتهم في قضايا التنمية وغاياتها، وما هي في نظرهم أولويات التنمية الإسلامية. وما ضماناتها، وما طرق تمويلها... إلخ، مما لا يتسع له هذا المقال. وإنما الذي يهمنا هنا إبرازه هو أن مختلف قضايا التنمية الاقتصادية قد شغلت المقام الأول من فكر علماء المسلمين القدامى.

عمارة الأرض

بحث الفقهاء القدامى مختلف قضايا التنمية الاقتصادية تحت لفظ «عمارة الأرض» بقوله تعالى ﴿**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها**﴾[1]، أي كلفكم بعمارتها.

واصطلاح عمارة الأرض يشمل مضمون التنمية الاقتصادية وزيادة العمران، إذ يقول سيدنا **علي بن أبي طالب** في كتابة إلى واليه بمصر: «**وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج من غير عمارة أخرب البلاد**»[2].

بل يلخص سيدنا **عمر بن الخطاب** مهمة القادة وأساس الحكم في عبارة جامعة مانعة بقوله رضي الله عنه: «**إن الله استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم... ونوفر لهم حرفتهم، فإن لم نفعل، فلا طاعة لنا عليهم**»[3].

فتأمين الناس في معاشهم وفي حياتهم هو قوام المجتمع وأساس الحكم، وهو ما اصطلح عليه في الإسلام **بضمان حد الكفاية وضمان الشورى**. وما مشكلة الدول النامية بل وتخلف شعوبها، إلا لافتقادها هذين العنصرين الأساسيين، وذلك لضعف أو انحراف قادتها، الذين أغرقوها بالشعارات والمظاهر بدلا من العمل والتنمية، وبالوصاية والتسلط بدلا من التفاهم والشورى.

لذلك لا نعجب إن كانت أولى المؤلفات الاقتصادية العالمية في مجال التنمية الاقتصادية هي لِكُتَّاب مسلمين سبقوا الكتاب الأجانب بعدة قرون. ونخص بالذكر الرائد الاقتصادي **ابن خلدون**، الذي عالج مختلف قضايا التنمية الاقتصادية في مقدمته سنة ٧٨٤ هـ، الشهيرة باسمه تحت عنوان «**الحضارة وكيفية تحقيقها**». وإن «**كتاب الخراج**» للإمام **أبي يوسف** المتوفي سنة ١٨٢ هـ/ ٧٦٢ م، يعتبر قمة في بحوث التنمية الاقتصادية رغم أنه وضع أصلاً للخليفة **هارون الرشيد** لتنظيم الخراج. وإننا نجد الفقيه الاقتصادي **أحمد بن الدلجي** في كتابه «**الفلاكة والمفلوكون**»، أي الفقر والفقراء، يتعرض في القرن الخامس عشر الميلادي لقضية الفقر، أي بتعبير آخر لقضية التنمية الاقتصادية، وذلك بتفصيل وإحاطة وعمق نادر بحسب زمانه[4].

غاية التنمية الاقتصادية في الإسلام

ولقد حرص الفقهاء القدامى أن يظهروا بجلاء أن **غاية التنمية في الإسلام هو الإنسان نفسه ليكون بحق خليفة الله في أرضه**. ولعل ذلك ما يحدد بواعث أو غاية التنمية الاقتصادية الإسلامية ووسائلها وآثارها، وما يميز الاقتصاد الإسلامي عن سائر الاقتصاديات الوضعية السائدة في مجال التنمية كما هو شأنه في سائر المجالات الأخرى.

فالتنمية الإسلامية باعثها ليس الربح، وإنما هو توفير حد الكفاية لا الكفاف أي المستوى اللائق للمعيشة لكل مواطن ليتحرر من أية عبودية أو حاكمية إلا عبودية وحاكمية الله وحده.

فغاية التنمية الإسلامية هو الإنسان نفسه لا تستعبده المادة، ولا يستذله الغير، وإنما أن يكون محرراً مكرماً يعمر الدنيا ويحييها بالعمل الصالح، ليكون بحق خليفة الله تعالى في أرضه.



طبيعة التنمية الاقتصادية في الإسلام

وتحديد غاية وأهداف التنمية الاقتصادية في الإسلام على الوجه المتقدم ، فرض عليها أن تكون **تنمية شاملة ومتوازنة** .

فأما كونها **تنمية شاملة** ، فذلك لأنها لا تستهدف رقي الإنسان مادياً فحسب ، وإنما روحياً بصفة أساسية . والروحانية في الإسلام ، ليست كما يتصور البعض مسألة ميتافيزيقية أو غيبية ، وإنما هي العمل الصالح إيماناً بالله واعتباراً ومراعاة له تعالى ، سواء أكان ذلك الإيمان أو تلك المراعاة والاعتبار المتأصلة في العقل والنفس والمتمثلة في النشاط والسلوك ، مردها خشيته تعالى والخوف من عقابه ، أم كان مردها ابتغاء مرضاته والفوز بجنته . فالإسلام ـ كما سبق أن أوضحنا تفصيلاً بكتابنا (ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية) ـ لا يعرف الفصل بين ما هو مادي وما هو روحي ، ولا يفرق بين ما هو دنيوي وما هو أخروي ، فكل نشاط مادي أو دنيوي يباشره الإنسان هو في نظر الإسلام عمل روحي أو أخروي ، طالما كان مشروعاً وكان يتجه به إلى الله تعالى . فالله تعالى ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدون ، أي ليعملوا عملاً صالحاً ، **والتقوى** التي هي سمة المسلم الحق ، ليست إلا ثمرة مباشرته العمل النافع له ولمجتمعه . **فالإيمان في الإسلام ليس إيماناً مجرداً ABSTRAIT ، ولكنه إيمان محدد CONCERT مرتبط بالعمل الصالح ، حتى إنه ما من آية قرآنية تتكلم عن الإيمان إلا وتقرنه بالعمل الصالح**[٥] .

وإن **مبدأ الشمول في التنمية الاقتصادية الإسلامية** ، يقتضي أن تضمن التنمية كافة الاحتياجات البشرية من مأكل وملبس ومسكن وتعليم وتطبب وترفيه ، وحق العمل وحرية التعبير وممارسة الشعائر الدينية . . . إلخ ، بحيث لا تقتصر التنمية على إشباع بعض الضروريات أو الحاجيات دون الأخرى . ومن هنا **لا يقبل الإسلام تنمية تضمن حرية التعبير ولا تضمن لقمة الخبز ، كما لا يقبل تنمية تضمن لقمة الخبز وتقتل حرية التعبير** .

وأما كونها **تنمية متوازنة** فذلك لأنها لا تستهدف الكفاية فحسب ، أي زيادة الإنتاج بقوله تعالى **﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾**[٦] ، وإنما تستهدف أساساً العدل ، أي **عدالة التوزيع** بقوله تعالى **﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾**[٧] ، بحيث يعم الخير جميع البشر أياً كان موقعهم وأياً كان مكانهم في الكون . ذلك أن **هدف الإسلام من التنمية الاقتصادية حسبما توضح ، هو أن يتوافر لكل فرد ، أياً كانت جنسيته أو ديانته أي بصفته إنساناً حد الكفاية M. D'AISANCE لا حد الكفاف M. VITAL أي المستوى اللائق للمعيشة بحسب زمانه ومكانه لا مجرد المستوى الأدنى اللازم للمعيشة ، بحيث يستشعر نعم الله وفضله ، فيتجه تلقائياً إلى حمده وشكره تعالى وعبادته** . ذلك الحمد والشكر الذي لا يعبَّر عنه في الإسلام بالقول والامتنان فحسب وإنما أساساً بالعمل والإخلاص فيه لقوله تعالى **﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾**[٨] ، وتلك العبادة التي لا تتمثل في الإسلام بالصلاة والتوجه إلى الله فحسب وإنما أساساً بخدمة المجتمع وتنميته لقوله تعالى **﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾**[٩] .

فالإسلام كما سبق أن أوضحنا تفصيلاً بكتابنا (**الإسلام والمشكلة الاقتصادية**) ، إذ يتطلب زيادة الإنتاج يستلزم في نفس الوقت عدالة التوزيع ، بحيث لا يغني أحدهما عن الآخر . فوفرة الإنتاج مع سوء التوزيع هو احتكار واستغلال لا يسلم به الإسلام ، كما أن عدالة التوزيع دون إنتاج كاف هو توزيع للفقر والبؤس مما يرفضه الإسلام[١٠] .

ومن ثم لا يقبل الإسلام تنمية تستهدف تنمية ثروة المجتمع ، دون نظر إلى توزيع هذه الثروة ، في حين يرفض الإسلام تبعية التوزيع أياً كانت هذه التبعية لأشكال الإنتاج السائدة لأنه يضمن أولا حد الكفاية لكل فرد وذلك كحق إلهي مقدس يعلو فوق كل الحقوق ، ثم بعد ذلك يكون لكل تبعاً لعمله وجهده ، بحيث إذا لم يتوافر حد الكفاية لكل مواطن وهو ما لا يكون إلا في ظروف استثنائية كمجاعة أو حرب تأسى الجميع في حد الكفاف[١١] .

الإسلام والفائض الاقتصادي

وإذا كنا اليوم ندرك أن التنمية الاقتصادية تعني توفير ما اصطلح عليه « **بالفائض الاقتصادي** » ، واستخدامه في زيادة قدرات المجتمع الإنتاجية ، بحيث لا ينتج التخلف إلا

المفكرون المسلمون أول من عالج قضايا التنمية الاقتصادية

عن فقدان المجتمع لفائضه الاقتصادي ، أو تبديده في مصارف غير إنتاجية ، أو في استهلاك بذخي أو ترفي .

فلقد نبه إلى ذلك القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً معبراً عن الفائض الاقتصادي باصطلاح العفو أو الفضل بقوله تعالى ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾[12] **، والعفو هنا هو الفضل أي ما زاد عن الحاجة ، وقوله تعالى ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾**[13] **،** وقوله عليه الصلاة والسلام : « يا بن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك »[14] .

ولتحقيق هذا الفائض الاقتصادي ، الذي عبّر عنه القرآن الكريم باصطلاح العفو أو الفضل ، وعبّر عنه الاقتصاد الوضعي باصطلاح التكوين أو التراكم الرأسمالي ، كانت دعوة الإسلام منذ البدء **بترشيد الاستهلاك** بقوله تعالى **﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾**[15] ، إذ التنمية الاقتصادية تفرض أن يقتطع المجتمع من استهلاكه الحالي ليستثمر الفائض في زيادة طاقته الإنتاجية بحيث يعم الخير الجميع .

وإذا كان المسلم بنص القرآن لا يملك أن يصرف ماله على غير مقتضى العقل وإلا عد سفيهاً وجاز الحجر عليه بقوله تعالى **﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ﴾**[16] . كما أنه لا يملك أن يعيش عيشة مترفة أي الغلو في معيشته ، وإلا عد بنص القرآن مجرماً ، لقوله تعالى **﴿ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾**[17] . فإنه حتماً سيكون لدى البعض فائض اقتصادي ، وهو فائض لا يملك أن يكنزه ، أي يحبسه عن التداول والإنتاج لقوله تعالى **﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾**[18] ، لذلك فإنه لا سبيل ولا خيار له إلا صرفه كله في سبيل الله ، أي سبيل المجتمع ، سواء أكان إنفاقاً مباشراً على المحتاجين أم استثماراً في مشروعات إنتاجية يعود نفعها على المجتمع ، وغير ذلك يعتبر في نظر الإسلام تهلكة حقيقية وانتحار بطيء ، لقوله تعالى **﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾**[19] .

ومن هنا يتضح كيف وضع القرآن الكريم منذ البدء الأمة الإسلامية ، بكافة حكامها وعلمائها وشعوبها ، عند مسؤولياتها الاقتصادية كخير أمة أخرجت للناس ، وكيف مهد لها طريقها الاقتصادي لتحقيق ذاتها وتنميتها ليكون المسلمون كما أراد لهم الله تعالى خلفاءه في أرضه .

ولقد حقق المسلمون الأوائل تقدمهم وتفوقهم الاقتصادي والحضاري يوم التزموا بذلك الهدي القرآني ، وانتكسوا يوم حادوا عنه . وما سر ما تتمتع به اليوم الدول المتقدمة من نعم وتقدم اقتصادي وحضاري إلا لاهتدائها من عهد ليس ببعيد إلى هذه السبل ، وستنتكس بدورها يوم تحيد عنه **﴿ سنّة الله ﴾ .... ﴿ ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ﴾** ... نسأله تعالى التوفيق والسداد .

هوامش

(١) سورة هود ، الآية ٦١ .
(٢) انظر نهج البلاغة ، للشريف الرضي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت .
(٣) انظر سيرة عمر بن الخطاب ، لابن الجوزي ، المطبعة التجارية الكبرى بالقاهرة .
(٤) انظر كتابنا الخامس من سلسلة الاقتصاد الإسلامي ، المذهب الاقتصادي في الإسلام ، طبعة ١٩٨١ م ، لناشره دار عكاظ بجدة والرياض .
(٥) انظر كتابنا الأول من سلسلة الاقتصاد الإسلامي ، ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية ، طبعة سنة ١٩٧٨ م ، لناشره مكتبة الأنجلو بالقاهرة ، ص ٥٤ وما بعدها .
(٦) سورة التوبة ، الآية ١٠٥ .
(٧) سورة المائدة ، الآية ٨ .
(٨) سورة سبأ ، الآية ١٣ .
(٩) سورة النساء ، الآية ١١٤ .
(١٠) انظر كتابنا الثاني من سلسلة الاقتصاد الإسلامي ، الإسلام والمشكلة الاقتصادية ، طبعة سنة ١٩٧٨ م ، لناشره مكتبة الأنجلو بالقاهرة ، ص ٥٨ .
(١١) انظر المرجع السابق ، ص ٧٥ وما بعدها .
(١٢) سورة البقرة ، الآية ٢١٩ .
(١٣) سورة البقرة ، الآية ٢٣٧ .
(١٤) أخرجه مسلم والترمذي .
(١٥) سورة الفرقان ، الآية ٦٧ .
(١٦) سورة النساء ، الآية ٥ .
(١٧) سورة هود ، الآية ١١٦ .
(١٨) سورة التوبة ، الآية ٣٤ .
(١٩) سورة البقرة ، الآية ١٩٥ .
(٢٠) سورة الأحزاب ، الآية ٦٢ .





خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعد أن عرضت في كلمتي الماضية لدروس النظام المحكم الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاستعداد لغزوة أُحد وجدت أن العظة والعبرة من الكلمة لا تستتم إلا إذا عرضت في كلمة تالية جوامع الكلم التي تضمنها خطابه صلى الله عليه وسلم في المسلمين قبل نشوب القتال.

وقد جرت عادة رسول الله في معظم مغازيه أنه بعد أن يتم استعداد المسلمين للمعركة على أحسن هيأة يلقي فيهم خطاباً هو بمثابة «أمر المعركة» أو «أمر بدء القتال» الذي يحسب الناس أننا تعلمناه من الغرب، وما هو إلا درس من الدروس الكبرى التي علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم إياها، ونسينا الكثير منها ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولم يُلْقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الخطاب إلا بعد أن أتم صف رجاله وإعدادهم للمعركة. قال الواقدي (٢٢١/١): وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي على رجليه يسوي تلك الصفوف ويبدئ أصحابه للقتال (أي يهيئهم له ويمكنهم منه)، يقول: تقدم يا فلان! وتأخر يا فلان! حتى أنه ليرى مَنْكِبَ الرجلِ خارجاً فيؤخره، فهو يقوِّمهم كأنما يقوِّم بهم القداح، حتى إذا استوت قال: من يحمل لواء المشركين؟ قيل: بنو عبد الدار! قال: نحن أحق بالوفاء منهم، أين مصعب بن عمير! قال: ها أنا ذا! قال: خذ اللواء. فأخذه مصعب بن عمير فتقدم به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهنا وقد تم إعداد المسلمين ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم خطابه الجامع، وهو أمر ببدء القتال غاية في الدقة والإحكام، وسأورد هنا نصه نقلاً عن الواقدي مقسماً إلى فقرات حتى تستبين لنا المعاني العظيمة التي أرادها رسول الله صلى الله عليه وسلم:

١ ـ «أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن مَحارمِهِ (وذلك هو المبدأ الديني الخلقي العام الذي يتعين على المسلمين اتباعه في حياتهم كلها حرباً وسلماً).

٢ ـ ثم إنكم اليومَ بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه (أي لمن ذكر واجبه نحو دينه وأمته) ثم وطَّن له نفسه على الصَّبر واليقين والجِد والنشاط.

٣ ـ فإن جهادَ العدو شديد، شديدٌ كربه، قليلٌ من يصبر عليه إلا من عَزم الله رُشْده، فإن الله مع من أطاعه وإن الشيطان مع من عصاه، فافتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد والتمسوا بذلك ما وعدكم الله.

(والذي أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا هو أن الله سبحانه لا يؤتي أحداً النصر إلا إذا كان مستعداً لتلقي النصر، أي إذا كان قلبه صافياً خالصاً لله مستعداً لتلقي نصر الله. وما لقي المسلمون عدواً لهم وقد أعدوا أنفسهم روحياً لتلقي النصر إلا نالوه. وقد نزلت بنا الهزائم في المواقف التي كانت قلوبنا فيها مضطربة وجلة غير عامرة بالإيمان، فهي بذلك غير مؤهلة لتلقي النصر مثلها في ذلك مثل الأرض القاحلة الصلبة التي لا تنبت، فمهما نزل عليها القطر فهي لا تستجيب. أما الأرض العامرة الخصبة فإنها تتلقى البذور وعندما ينزل عليها المطر تستجيب له وتهتز وتربو كما قال الله في كتابه العزيز).

٤ ـ وعليكم بالذي أمركم به، فإني حريص على رُشدكم، فإن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف مما لا يحب الله، ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر. أيها الناس! جُدِدَ في صدري (أي ألقى الله في صدري مرة أخرى) أن من [illegible] (أي أن من رغب عن الحرام حباً في الله غفر له ذنبه).

(وهذه كانت حالتنا في كل حرب خسرناها، والمسألة هنا ليست مسألة عدد وعدة فقط بل مسألة استعداد معنوي وخلوص نية وطهارة نفس، وبدون ذلك لا يستحق المسلمون النصر ويغلبهم عدوهم، فإن المسلم المؤمن الصادق الصافي النفس لله، الموطن العزم على الشهادة في سبيل الله لا يغلب أبداً).

٥ ـ ومَن صلَّى عليَّ صلَّى الله عليه وملائكته عشراً.

قبل بدء القتال في أُحُد

(لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رمز النصر وعَلَم الظفر ، وإذا نحن ذكرناه في معاركنا وصلينا عليه أي طلبنا له الرحمة صلى الله علينا وملائكته عشراً) .

٦ ــ ومن أحسنَ وقع أجره على الله في عاجل دنياه أو آجل آخرته (أي أن من أحسن منكم اليوم وقع أجره على الله في الدنيا والآخرة) .

٧ ــ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا صَبِيًا أو امرأة أو مريضاً أو عبداً أو مملوكاً ، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه ، والله غني حميد .

(لأن صلاة الجمعة رمز على اجتماع قلوب المسلمين على الإيمان ، وشهودها دليل على تمسك المسلم بجماعته ، فمن استغنى عن شهود الجمعة أي عن وحدة الأمة استغنى الله عنه ولا حاجة للأمة به . هذا ولنذكر هنا أن يوم المعركة كان يوم سبت ، وأمس كان الجمعة ، فشهودها قبل يوم المعركة جزء من الاستعداد للنصر) .

٨ ــ وما أعلم من عمل يقربكُم إلى الله إلا وقد أمرتكم به . ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا نهيتكم عنه . وإنه قد نفث في روعي الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها ، ولا ينقُص منه شيء وإن أبطأ عنها .

(ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب هنا المثل لكل قائد عسكري ، فإنه لا بد أن يدخل المعركة وقد عول على الموت ، وجعل الموت في حسابه ، فإذا فعل هو ذلك كان جنوده على مثاله وتأكد النصر ، لأن من يطلب الموت توهب له الحياة . والأعمار بيد الله ، فرب داخل معركة يخرج سليماً ونائم في فراشه يدركه الموت . ولا تموت نفس حتى تستوفي رزقها كله : أيامها كلها ، وحظها كله . ولنذكر هنا قول الله تعالى في سورة آل عمران بمناسبة غزوة أحد أيضاً (آية ١٥٤) ، ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم (أي مصارعهم) وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ . وقوله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران في نفس مناسبة غزوة أُحُد (آية ١٤٣ ــ ١٤٥) ﴿ ولقد كنتم تَمَنَّوْن الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون . وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين . وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين ﴾) .

١٠ ــ فاتقوا الله ربكم ، واجملوا في طلب الرزق ، ولا يحملنكم إبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله ربكم ، فإنه لا يُقْدَر على ما عنده إلا بطاعته . قد بيَّن لكم الحلال والحرام . غير أن بينهما شُبَهاً من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلا من عصم ، فمن تركها حَفظ عِرضَه ودينه ، ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه . وليس حِمًى إلا وله حِمًى ، ألا وإن حِمَى الله محارمُه . والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد ، إذا اشتكى تداعى عليه سائر الجسد . والسلام عليكم » .

(وهذا كله تنبيه إلى ما سيقع فيه بعض المسلمين من التعجل في طلب المغانم بمعصية الله ورسوله . لأن الرزق من عند الله لا يصل إليه إنسان إلا بطاعة الله ، وقد بيَّن الله لنا حدود الحلال والحرام ، والمسؤولية بعد ذلك علينا . ومن الخطر على المؤمن أن يقارب المعصية فيكون كالراعي الذي يرعى غنمه إلى جانب أرض هي ملك لآخرين ، فهو يوشك أن يدخلها بغنمه ، وحمى الله سبحانه وتعالى محارمه) .

فهل سمعتم أبلغ من هذا المقال في ذلك المقام ؟ .

وأقسم لكم بالله يا قوم ، لو أننا اتبعنا كتاب الله وسنَّة رسوله على هدى وبصيرة ما خسرنا معركة أبداً .

د. حسين مؤنس

البعد الرابع للأدب..

اعتاد النقّاد أن يوزعوا عناصر الأدب بين أجنحة كبيرة ثلاثة : التفكير والتعبير والتصوير . وقد ترجح قيمة أحد هذه الأجنحة على الجناحين الآخرين في فن قولي دون آخر ، كرجحان التصوير في الشعر ، والتعبير في الخطبة والمقامة ، والتفكير في الرسالة والقصة والمقالة . ولكن جانباً آخر هاماً من جوانب الإبداع الأدبي ما يزال النقّاد يغفلون أهميته ولا يضعونه في الموضع اللائق به ، ذلك هو جانب « الإلقاء » .

كان للخطابة والشعر منذ وجودهما إلى الآن صفة إلقائية بارزة ، قد ترتفع مرتبتها في الأهمية على مرتبة العناصر الثلاثة الأولى التي يقوم عليها العمل الأدبي ، فكم من خطيب مصْقَع لم يحتل هذه المرتبة إلا بحسن إلقائه ، وكم أودى سوء الإلقاء بكثير ممن كانت همتهم الفكرية واللغوية والخيالية تحفزهم لأن يكونوا في علية الخطباء .

أما الشعر فالتفاعل بين الجانب الإلقائي فيه والجوانب الإبداعية الثلاثة الأخرى أكثر حميمية وأشد تداخلاً والتحاماً . فالعناصر اللغوية للشعر ، منسجمة مع العناصر الفكرية والخيالية ، أُعدّت للإلقاء بالدرجة الأولى ، بل لنقل : **الإنشاد** ، ولم يكن العرب الأوائل يتصورون الشعر من غير إنشاد . وإذن لم يكن بدٌ للشاعر من أن يمتلك ناصية الإلقاء أو الإنشاد ، من ناحية ، وأن يروض لهذا الجانب الهام من الشعر الجوانب الثلاثة الأخرى : التفكير والتعبير والتصوير ، أثناء عملية الإبداع الأدبي ، من ناحية أخرى ، وأن يضع نفسه ، قبل أن تبدأ عملية الولادة الشعرية لديه ، داخل الإطار النفسي للإلقاء ، حتى ينجح منذ البداية في تحقيق الانسجام بين الطرف الأول : الإلقاء ، والطرف الثاني : العناصر الأدبية الثلاثة مجتمعة .

دور الناقد

وفي الوقت نفسه كان على الناقد أن ينصرف ، وهو يغوص في أعماق القصيدة ليستكشف أسرارها ، إلى وضع نفسه هو أيضاً في الإطار النفسي الإلقائي أو الإنشادي للشاعر ، حتى يتبصر الصورة الحقيقية ذات الأبعاد التجسيمية الكاملة للقصيدة . إنه حين يكتفي بالنظر إلى الجوانب الأدبية الثلاثة فيها كمن يرى الحقيقة من وجه واحد ، وفقدانه للجانب الإلقائي ، أو للقدرة على تصوّر هذا الجانب عند الشاعر على الأقل ، سوف يحجب عنه جزءاً كبيراً من حقيقة القصيدة . إن نماذج كثيرة من الشعر العربي ، قديمه وحديثه ، حرمت وتحرم من النقد الواعي الذي يعطيها حقّها من التأويل والكشف ، ويضعها في إطارها الإلقائي أو الإنشادي . وإن وقفة قصيرة متأنية عند مطلع **المتنبي** المشهور :

عيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى ، أم بأمر فيك تجديد

ستقدّم لنا صورة مصغّرة وواضحة من هذا الحرمان الأدبي . فشرّاح الديوان جميعاً يصرّون على أن المتنبي يخاطب العيد في الموضعين (عيدُ) و (يا عيدُ) ، أي إن التقدير في الأولى (يا عيدُ) أو (أنت عيدٌ) على أن الجملة في الحالين ابتدائية لا محلّ لها من الإعراب .

إن روح الإعراب تنبئنا بالفاصل المعنوي الكبير بين الجملة ذات المحل عامة والجملة غير ذات المحل . فالأولى حركة وحياة وتوثب وعطاء ، والثانية توقف وترصد وانتظار وإعداد ، ولا سيما إذا كانت إخبارية غير طلبية . الجملة الابتدائية الإخبارية مثلاً تهيّئنا للمعنى القادم الذي به تتحقق الحركة ، فإن قدّمت لنا هي بنفسها المعنى كاملاً ، دون انتظار الجملة ذات المحل لتقوم بذلك الدور ، كانت جملة جامدة حجرية على الأغلب ، تتوقف عند اللحظة التي عبّرت عنها فلا تتجاوزها إلى المستقبل أو حتى إلى الماضي .

هذا الجمود القاتل يسربل مطلع قصيدة المتنبي المشهورة ، ترى أيليق هذا العيب البياني الظاهر في مطلع القصيدة بمكانتها الرفيعة في ديوان الشعر العربي؟ إننا لا نتبيّن هذا الإخفاق إلا حين نعدّ جملة (أنت عيدٌ) إخبارية

بقلم : د. أحمد بسام ساعي

بين المبدع والناقد

ابتدائية لا محل لها من الإعراب . فلو تخيّلنا المتنبي ينشد مطلعه هذا ، أتراه يسمّر رأسه وجسده باتجاه واحد وكأنما صُبّا في قالب من قطعة واحدة ، وهو يردّد بصوت رتيب ذي نغمة ممتدة متصلة سقيمة تذكّرنا باللهجة الإنشادية الجماعيّة [illegible] بأيّة حالٍ عُدْتَ يا عيدُ ؟ لا يمكن لناقد وَعَى الأبعاد الأربعة للشعر أن يتصوّر المتنبي بهذه الصورة المزرية وهو ينشد البيت . إنني أتخيّله وقد وقف يسائل نفسه بداية ، وهو يهز برأسه ساخراً متألّماً : أهذا عيد؟ أيقولون إنّه العيد؟ ثمّ يحوّل حركة رأسه المتألمة من الاتجاه الرأسي إلى الاتجاه الأفقي ، مع تحوّله من التساؤل المتألّم إلى الإجابة الساخرة المتألمة أيضاً : يا للسخرية . . أيّ عيد هذا الذي يأتي والمصائب ما تزال تنهال على رأسي لم تتراجع ولم تخف؟ ترى أيعقل أن يحمل هذا العيد إليّ جديداً ينسيني الماضي؟ ما أبعد هذا عن التحقيق .

إن (عيد) في بداية المطلع ليست مجرّد جملة خبرية ابتدائية صلدة تقوم على مجرّد مبتدأ محذوف وخبر مذكور ، إنها أولا ــ في **علم المعاني** ــ جملة إنشائية استفهامية تبعث الحركة التساؤلية الفاعلة في بداية القصيدة ، وهو أمر لا يمكن أن توفّره لنا الجملة الخبرية ، وهي بعد ذلك جملة لها كيانها المعنوي إعرابياً ، لأنها في تقديرنا مقول لقول محذوف : أيقولون : هذا عيدٌ . . وهذا يمنح المطلع ، أو مطلع المطلع ، اتجاهاً آخر قادراً على أن يحركنا منذ البداية ، فلا يدعنا نستسلم لكل الأسلوب الإخباري وجفاف الجمل الجوفاء التي لا تسد أيّ مسد معنوي أو إعرابي .

الإلقاء . . والتخيل

إن عملية «التخيّل» ــ وهي ليست سهلة وليست أمينة تماماً ــ ضرورية جداً لاكتشاف البعد الرابع للأدب ، وهو البعد الوحيد القادر على إلقاء أضواء كاشفة ملونة على الأبعاد الثلاثة الأخرى ، بحيث يستطيع تغيير طبيعتها الظاهرة للعيان ليكشف لنا عن كثير من خفاياها الباطنة العصية على إدراكاتنا الحسية العادية .

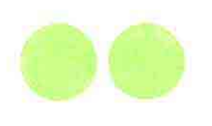
ولو قرأنا هذا الجزء من الشطر (غَزِلٌ أنا ، غَزِلٌ) بتلك الإدراكات العادية السطحية لما اكتشفنا فيه إلا خبراً مقدماً لمبتدأ مؤخر (أنا غَزِلٌ) ثم توكيداً للخبر (غَزِلٌ) ضمن جملة ابتدائية خبرية واحدة لا محل لها من الإعراب .

ولكننا لو سمعنا هذا الجزء من مبدعه الأصلي (**الشاعر اللبناني نجيب جمال الدين**) لاختلف الأمر كثيراً معنا . إنه ، وهو ينشده ، يوجّه أصابع كفّه اليمنى بداية نحو صدره ، موحياً لنا باتهام يوجّهُ إليه ، وقد بدت على وجهه وعينيه آثار ذلك التساؤل المطروح عليه من الطرف الآخر : غَزِلٌ أنا . . ؟ ويتوقف برهة ، ثم ما يلبث أن يطلق أصابعه في الهواء بالاتجاه الآخر معبّراً عن عدم مبالاته بإزاء هذه التهمة الموجّهة إليه ، وقد تلاشت من وجهه علائم التساؤل المستعار ، لترتسم مكانها علائم التحدي والإصرار النابعين من نفس الشاعر ، ليقول مؤكّداً مخاوف الحبيبة ومتحدياً مشاعرها : . . غَزِلٌ .

إن أساس العبارة الباطن الخفي يصبح على ضوء البعد الرابع ، الإلقاء ، بهذا الحجم وبهذا الشكل : أتقولين إنني غَزِلٌ؟ فليكن ، وهانا أقول معك : أنا غَزِلٌ ، لماذا بإمكانك أن تفعلي؟ . .

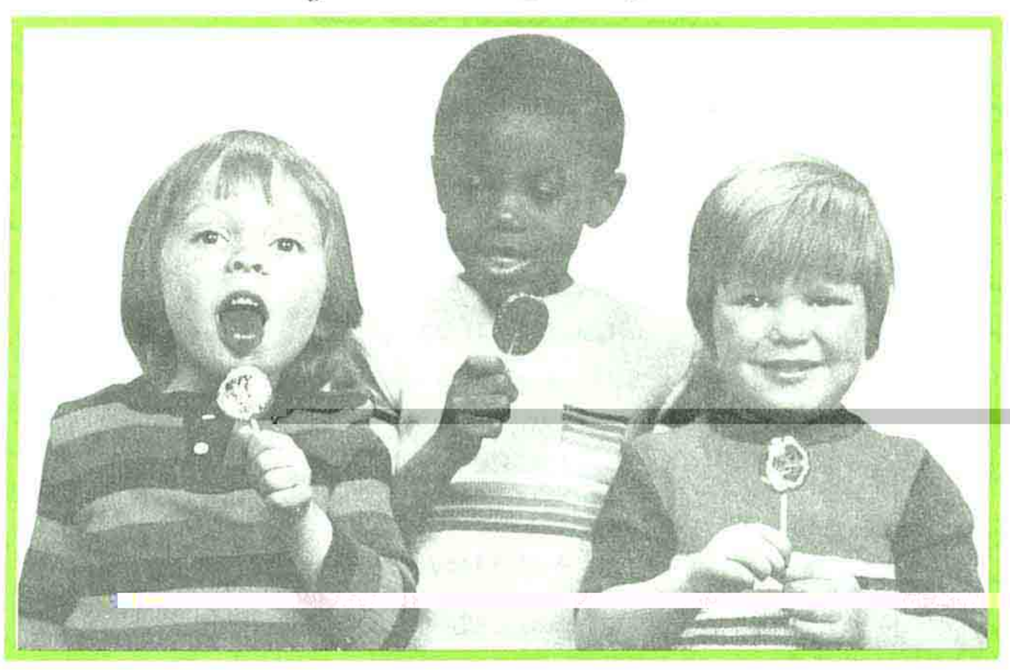
وهكذا تصبح (غَزِلٌ أنا) جملة إنشائية استفهامية هي مقول لقول محذوف ، وتصبح (غَزِلٌ) الثانية جملة خبرية كاملة هي أيضاً مقولٌ لقول محذوف آخر ، وصاحب القول الأول هو الفتاة ، وصاحب القول الثاني هو الشاعر . وهكذا وجدنا في الكلمات الصغيرة الثلاث حركية «درامية» أكبر من حجمهن بكثير ، إنّه مشهدٌ تمثيلي كامل بين متحاورين أساسيين هما طرفا المرتكز العاطفي في القصيدة .

إن البعد الرابع للأدب هو «الروح» التي فقدها ، بمرور عنصر الزمن ، كل من فنّي القصيدة والخطبة في تراثنا ، مع تحوّلهما من فنين منبريين ملقيين إلى فنين موروثين مكتوبين . لقد اندثرت الروح مع صاحبها ، وبقيت الصورة الجاهزة التي نقرأها اليوم بأبصارنا ويحاول الناقد الحصيف أن يقرأها ببصيرته النافذة ، متداركاً بذلك بعض ما سقط منها على دربها الطويلة .



قياس العلاقات الاجتماعية والتميز العنصري

بقلم: د. زيدان عبد الباقي



علم قياس العلاقات الاجتماعية Sociometry هو أحدث فروع علم الاجتماع ، وهو علم يعتمد على قاعدتين أساسيتين هما التلقائية Spontaneous والابتكار Creativity بمعنى أن الجماعة الإنسانية إذا ما عاشت حياتها بأسلوب تلقائي ، أي إذا ما كان تجمعها عن طواعية واختيار ، فإنها ـ والحالة هذه ـ سوف تتقدم ، لا لكي تعيش حياتها بأسلوب ملائم ، وإنما سوف تبتكر لعدم وجود القيود التي تعوق استعدادات الأفراد ، وتحول بينها وبين الابتكار ، ومن ثم يصبح المجتمع ديناميكياً في حركته ، بدلا من أن يكون استاتيكيا في تلك الحركة .

وعلم تلك أسسه لا بد أن يقوم على أساس التعايش العنصري ، وليس على أساس التمييز العنصري ، ولذلك فإن هذا العلم يحقق ذاته بقياس العلاقات الاجتماعية بين أفراد الجماعات التي يتناولها بالدراسة ، بهدف تطوير أساليب إطلاق حرية تلقائية الناس عن طريق السماح لهم بالانقسام إلى جماعات طبقاً لاختياراتهم . وبحيث يتاح لكل فرد من أفراد الجماعة مهما كان : ذكاؤه ، جنسه ، أصله ، ولونه ، أن يعطى فرصة متساوية في الحياة ، وفي استخدام تلقائيته وابتكاريته في هذا العالم . . . ذلك أن مستقبل الحضارة البشرية قد بات رهناً بفهم تلك العلاقات الاجتماعية فهماً علمياً ديناميا ، وليس فهماً علمياً وصفياً ، كما هو الحال فيما يسمى بعلم الاجتماع الوصفي .

ولقد كان عدم اهتمام **علم قياس العلاقات الاجتماعية** وإهماله لفكرة التمييز العنصري ، بل وتوجيه أدواته ـ كما سنعرف بعد قليل ـ لتبصير المستفيدين بالتمييز العنصري ، وكذلك الذين يتأثرون بالتمييز العنصري ، حتى يكون إدراك مآسيه إحساساً متبادلا بين الفريقين ، وسبباً من أسباب عدم انتشاره على نطاق واسع في مختلف أنحاء العالم .

ويلاحظ أن علم قياس العلاقات الاجتماعية اتخذ من « الجماعات » مجالا لتطبيقاته الميدانية ، وذلك نتيجة للإدراك المتزايد في السنوات الحالية

بالنفوذ الواضح للجماعات على سلوك الكائنات البشرية ، وما ينبغي أن يسير فيه هذا السلوك . فالفرد العادي في المجتمع عضو في جماعات صغيرة ومتنوعة في الغالب . والجماعة الصغيرة (الأسرة) هي الوحدة الأساسية في المجتمع ، وبجوار هذا الفرد العادي ، قليل من الأفراد يعيشون في عزلة تامة بعيداً عن أترابهم .

ولما كانت حياة الأطفال شديدة الارتباط بالأسرة ، فإنه كلما تقدمت أعمارهم ، وزاد اتصالهم بالمجتمع المحيط بهم ، يزداد إدراكهم بعضويتهم في المجتمع الكبير الذي يتكون من القرويين والحضريين من أبناء الوطن الذين ينتمون إلى الجنس البشري بكامله . ومع ذلك فإن غالبية الناس يواصلون وظائفهم في الحياة كأعضاء في الجماعات الصغيرة أكثر من عضويتهم في المجتمع الكبير . فالطفل عضو في فصله الدراسي بالمدرسة ، قبل أن يدرك ذاته كعضو في تلك المدرسة ، كما أن حياته المدرسية يمارسها بصفة أساسية في فصله الدراسي ، بالإضافة إلى تنزهات قصيرة جداً مع المدرسة ككل . وهو كيافع بعد ذلك يمكنه أن يصبح مستخدماً في مصنع أو مؤسسة ، بحيث يمارس حياته العملية في داخل إحدى ورش هذا المصنع ، أو بين أفراد إحدى جماعات العاملين في تلك المؤسسة . وهو في ساعات فراغه يمكن أن يكون عضواً في فريق الألعاب الرياضية أو عضواً في جماعة اجتماعية أو ثقافية ، وإذا سقط مريضاً فإنه يجد نفسه ضمن جماعة من المرضى في حجرة كبيرة من حجرات إحدى المستشفيات ، أو في أحد أجنحتها ، أو بين نوع آخر من **الجماعات العلاجية** Therapeutic groups وفي سن الشيخوخة ، فإنه يصبح في حاجة إلى حماية جماعته الأسرية ، أو أن ينتمي إلى إحدى جماعات كبار السن في منازل تشرف عليها الحكومة . وبصفة عامة « فإننا من المهد إلى اللحد نعيش في جماعات » .

وإيماناً من علم قياس العلاقات الاجتماعية بأهمية الجماعات هذه ، فقد راح يبحث عن كل ألوان التمييز التي تعوق تلك الجماعات أو بعض أفرادها عن الارتقاء الاجتماعي السليم . وإذا كان هناك أي نوع من التمييز ، فإن علم قياس العلاقات الاجتماعية لا ينظر إليه نظرة المتفرج ، أو نظرة الذي يعترف بالأمر الواقع ، أو نظرة الذي يصف ولا شأن له بنجاح أو فشل تلك الجماعة ، وإنما يلجأ علم قياس العلاقات الاجتماعية إلى **مسرحة** Dramatizing هذا التمييز في شكل **دراما اجتماعية** Sociod-rama ويتيح الفرصة لجماعة من المستفيدين من التمييز العنصري ، ومن الذين يعانون منه ، أو لجماعة من هؤلاء أو من أولئك للعب أدوار تلك الدراما الاجتماعية بحيث يتاح للنظارة أن يتعرفوا على كيفية تغلب الجماعة على المعوقات التي تحول بينها وبين الارتقاء الاجتماعي السليم .

ومن هذا العرض الدرامي ، فإن المستفيدين من التمييز العنصري يدركون أن تلك الاستفادة التي وجدوا أنفسهم بحكم ـ مولدهم ـ يرثونها . . . يدركون أن ذلك الميراث غير شرعي وأن فيه افتئات على حقوق الآخرين ممن يعانون من التمييز العنصري . . . كما أن الذين يعانون من التمييز العنصري يدركون من العرض الدرامي الاجتماعي أن التمييز العنصري فرض عليهم ، سواء بالقهر أو بالوراثة ، وأن فيه تجميداً لارتقائهم الاجتماعي . ومن ثم فإن الحيل الاجتماعية التي يلجأ إليها لاعبو الأدوار في الدراما الاجتماعية ، يمكن أن تتخذ كوسائل إيجابية للتخلص من براثن التمييز العنصري . . . **ويمكن إعطاء بعض الأمثلة لآثار التمييز العنصري السيئة على ارتقاء الجماعات على النحو التالي :**

التمييز العنصري في دور التعليم

ففي المجال التعليمي أثبت علم قياس العلاقات الاجتماعية أن المشاركة في أعمال تجعل الارتقاء الفردي فيها مساوياً لحياة الجماعة زيادة أو نقصاً طبقاً للجو الانفعالي ، أو جو الجماعة . كما أن حياة الجماعة غير المناسبة ـ كما يقول **ووترز** ـ Waters في كتابه Techniques of Counseling تؤدي إلى نقص في ارتقاء الشخصية الفردية ، بينما حياة الجماعة المشبعة تؤدي إلى إطلاق قوى وإمكانات الارتقاء الكامنة . وكذلك تحدد كمية ونوعية علاقات الطالب مع الآخرين . وتعتبر مقياساً كبيراً لكمية ونوعية المعارف ، الأكاديميات ، ومختلف الأمور الاجتماعية والشخصية ، التي هي بمثابة المعمل التعليمي . و**جماعة النظراء** Peer group هي الوسط الهام الذي يحدث فيه التعلم . فالطالب يتعلم بشكل أفضل بين جماعة النظراء التي يكون شعوره بالانتماء إليها مريحاً ، ولا سيما تلك التي يكون مقبولاً منها ، ومرغوباً فيه بين أفرادها ، ومقدراً منهم . وعلى العكس من ذلك فإنه يصاب **بالإحباط** Frustration في تعليمه عندما يكون في جماعة يشعر فيها أنه أقل استمتاعاً وأنه غير مقبول ، وخاصة عندما يشعر في بعض الأحيان أنه مرفوض ، أو مبعد لأنه ملون أو زنجي .

نقل « **ووترز** » هذه التجربة إلى أحد الفصول الدراسية في المدارس التي تسمح باختلاط الطلاب البيض والزنوج ، وقام بتطبيق **اختبار سوسيومتري لقياس علاقات أعضاء الفصل الدراسي نحو بعضهم** البعض . وربط بين نتيجة هذا الاختبار وبين نتائج التحصيل المدرسي . . وأثبتت نتيجة التجربة أن ادعاء حراس نقاوة دم ذوي البشرة البيضاء ، بأن الملونين أقل قدرة على التعلم ، وإذا ما قورنت قدراتهم بقدرات ذوي البشرة البيضاء ، لا أساس له من الصحة . حيث **أكدت التجربة أن سوء نتائج تحصيل الملونين لا يرجع إلى سبب فيزيقي ، وإنما يرجع إلى أسباب اجتماعية مثل الشعور بعدم التقبل الاجتماعي ، أو بعدم الاستحسان الاجتماعي** . . . وكانت لنتائج مثل هذه التجارب وخاصة أنه تم إجراؤها في **الولايات المتحدة الأمريكية** ، أبلغ الأثر في تخفيف قيود التمييز العنصري في مجال التعلم .

وقد ابتكر علماء قياس العلاقات الاجتماعية أداة سوسيومترية تستخدم في توضيح العلاقات الاجتماعية بين أفراد أي جماعة من الجماعات التي تسمح قواعد العضوية فيها بقبول ذوي البشرة البيضاء والملونين والزنوج في وقت واحد . وتلك الأداة هي المخططة الاجتماعية وخاصة **مخططة الهدف الاجتماعية** Target Sociograme

قياس العلاقات الاجتماعية والتمييز العنصري

وهي من ابتكار «ماري نورثواي» Northwary ، وتتكون من أربع دوائر متحدة المركز ، يقسمها خط رأسي يطلق عليه اسم **خط الجنس** . ويوضع أعضاء الجماعة من ذوي البشرة البيضاء على أحد جانبي هذا الخط . ويوضع الملونون والزنوج على الجانب الآخر من خط الجنس . وبذلك يمكن إحصاء العلاقات التي تعبر خط الجنس سواء أكانت تلك العلاقات من جانب واحد ، أو متبادلة بالرفض أو بالإيجاب . . . وبناء على نتائج تلك المخططة الاجتماعية يمكن تخطيط العلاج الاجتماعي لمساوئ التمييز العنصري في مجال التعليم[٢] .

التمييز العنصري في المصانع

وفي مجال الصناعة أوضحت الدراسات التجريبية لقياس العلاقات الاجتماعية أن المخططات الاجتماعية ـ كما يقول **ماير** ـ Mair في كتابه «**علم النفس الصناعي**» تستطيع الكشف بأيسر السبل عن وجود **التمييز العنصري** Racia Prejudice ، كما أوضحت أن خط التمييز العنصري لا يتضح أو لا يبرز كلما كانت جماعة الأقلية صغيرة أو في حدود ١٠٪ بيد أنه كلما اقترب عدد الزنوج من عدد البيض ، فإن اختيارات تلك الجماعة في الاختبارات السوسيومترية تتجه نحو خطوط التمييز العنصري بدرجة أكبر فأكبر . وهناك نقاط يحدث عندها التشبع . وللمحافظة على انسجام الجماعة ، فإنه من الضروري المحافظة على نسب مئوية معينة في تشكيل جماعات العاملين طبقاً لدرجة الأخذ بمبادئ التمييز العنصري في كل مجتمع .

ومن رأيه أنه من المحتمل أن تصل المشكلة العنصرية إلى درجة الخطر في المجموعات التي يتزايد فيها عدد الزنوج بدون تدرج في الزيادة ، مع مراعاة أن التفرقة العنصرية لا تحل المشكلة ، وإنما تتجنبها فحسب ، ومراعاة أن نتائج الدراسات الميدانية للقياس الاجتماعي تشير إلى إجراء يسمح بمزج نسب مئوية صغيرة من الزنوج في جماعات العاملين . فني داخل هذه الجماعات وطبقاً للنسب المئوية التي يمكن تحديدها ميدانياً طبقاً لحالة كل مجتمع ، فإن فاصل اللون يمكن أن يختفي . وعلى هذا فإن العمل والتسامح يمكن أن يمضيا جنباً إلى جنب لصالح الكفاية الإنتاجية للجماعة .

ولا يقف علم قياس العلاقات الاجتماعية في المجال الصناعي عند مجرد تحديد النسب المئوية للزنوج والملونين داخل الجماعات التي تحتوي على ذوي البشرة البيضاء والملونين والزنوج فحسب ، وإنما يستخدم أدواته المختلفة للتبصير والتنوير بمساوئ التمييز العنصري . . . ذلك أنه في التدريب الموسمي للملاحظين في الصناعة ، عرضت عليهم حالة عامل زنجي من أمهر الرسامين بالرش في أحد أقسام أحد المصانع ، ضبط وهو يدخن للمرة الثالثة ، وكانت إحدى قواعد التعليمات بالشركة تقضي بفصل من يضبط للمرة الثالثة من العمل في الشركة . وفي نفس الوقت كان الرسام الزنجي يشعر بأن رؤساءه من ذوي البشرة البيضاء يتحيزون ضده لمجرد زنجيته . وفي نفس الوقت ـ أيضاً ـ كان زملاؤه من ذوي البشرة البيضاء يحقدون عليه للترقيات الاستثنائية العديدة التي حصل عليها لمهارته وتفوقه عليهم ، بصرف النظر عن مخالفته لقواعد منع التدخين .

وإزاء كل هذا طلب الأخصائي السوسيومتري الذي استدعي للاشتراك في تدريب الملاحظين تناول هذه المشكلة من خلال التدريب ، مع إتاحة الفرصة للعاملين والملاحظين الزنوج وذوي البشرة البيضاء بمشاهدة العرض الدرامي الاجتماعي . ومن ثم طلب الأخصائي السوسيومتري ـ بعد عرض المشكلة على الملاحظين ـ طلب منهم شخصاً يتطوع بالقيام بدور الرسام الزنجي في التمثيلية الدرامية . فتقدم أحد الملاحظين للعب الدور ، كما تقدم ثلاثة آخرون للقيام بدور الملاحظ . وبعد لعب دور الرسام الزنجي في التمثيلية أتيحت الفرصة للملاحظين الثلاثة لإبداء وجهات نظرهم وكانت على النحو التالي :

اثنان من الملاحظين قدما للرسام الزنجي كل أنواع النصائح الأبوية ، كما حاولا مخاطبة طبيعته الطيبة . . . بينما قام الملاحظ الثالث بتوبيخه ، ثم أضاف أنه كان يجب على ملاحظ الأساس أن يخصم جانب من أجره الإضافي ، وينذره بتخفيض معدلات أدائه إذا عاد إلى التدخين مرة أخرى . . وفي النهاية قرر الملاحظون الثلاثة أن هذا هو العلاج المناسب لمثل هذه المشكلة من وجهة نظرهم .

غير أن عاملاً من بين النظارة وقف ليقول إنه كان يفضل طريقة أخرى لتناول المشهد التمثيلي لهذا المشكل . وعلى الفور طلب منه الأخصائي السوسيومتري التقدم إلى المنصة الرئيسية لعرض الطريقة التي يراها . . . ووقف الرجل في مواجهة النظارة ، ثم توجه إلى الرسام الزنجي ، وأمسك بقميصه قائلاً له : أتدخن مرة أخرى ؟ ثم أمسك بالسيجارة من فمه وحطمها بأصابعه وألقى بها بعيداً ، ثم حذره من انتهاك التعليمات مرة أخرى . . وكانت استجابة الجماعة لهذه الطريقة قوية Vigorously وانشراحية Hilariously وبصفة جماعية .

وبدون محاولة لتفسير ديناميات الموقف ، فإنه يمكن القول بحدوث التحام كامل بين أعضاء جماعة النظارة من ذوي البشرة البيضاء والملونين والزنوج . . . وأثبتت المتابعة السوسيومترية بعد ذلك أن التوترات الاجتماعية التي كان يعاني منها الملونون والزنوج قد خفت حدتها ، كما قلت درجة التمييز العنصري في معاملة الملاحظين من ذوي البشرة البيضاء لمن يعملون تحت إشرافهم من الملونين والزنوج[٣] .

ونتيجة لذلك أصبحت مسرحيات الدراما الاجتماعية تتضمن ـ بصفة تقليدية ـ جانباً رئيسياً عن التمييز العنصري يمارس بصفة دورية لإيجابيته المتبادلة في تخفيف حدة التمييز العنصري ، حيث يقول «**كوفلية**» Cuvillier

في كتابه بعنوان Manuel de Sociologie استناداً إلى «**جيرفيتش**» Gurvitch إن الدراما الاجتماعية تهتم بصفة أساسية بالعلاقات الاجتماعية داخل الجماعات، وخاصة ما يتصل منها بالناحية الأيديولوجية، حيث يلعب الرجل أدواراً متنوعة بصفة عامة، ويتميز كل فرد بسمات ومهارات معينة تتناسب مع أدوار بعينها. وتبرز الحضارة الأدوار التي يمكن أن يوضعوا فيها دون غيرهم بكثير أو بقليل من النجاح من وجهة نظر النظارة. وعلى لاعبي الأدوار أن يتقمصوا شخصيات الأدوار التي تسند إليهم وخاصة أدوار:

(١) صاحب العمل والعامل

Patron et de l'ouvrier

(٢) الزوج والزوجة

Mari et de la femme

(٣) الأبيض والزنجي

Blanc et du Noir

(٤) ... إلخ.

ففي الموقف الدرامي الاجتماعي، يتخذ كل فرد دوراً معيناً. وهذا الدور يرتبط مع مجموعة الأدوار الأخرى في تأليف درامي اجتماعي بحيث يختفي سلوك الفرد الشخصي خلال أدائه لدوره. ويبدو السلوك الظاهر للنظارة، كما لو كان سلوك الجماعة ككل. وبهذا يستطيع الخبراء السوسيومتريون ربط هذه الأدوار بألوان معينة من الثقافة، باعتبار الثقافة مجموعة محددة من الأدوار الاجتماعية ذلك أن نجاح ورسوخ هذه الثقافة في أي مجتمع، يعتمد على مبلغ اهتمام ونجاح أعضاء الجماعة في أداء هذه الأدوار. ومن هنا فإنه عن طريق استخدام الدراما الاجتماعية، يمكن التوصل إلى علاج الصدمات والصراعات التي تنشأ بين نظامين ثقافيين مختلفين. وما التمييز العنصري إلا مظهراً للصراع بين نظامين ثقافيين مختلفين.

في مجال الحياة العامة

من المناطق الشهيرة بالاضطرابات العنصرية Race Riot مدينة «**ديترويت**» **في الولايات المتحدة الأمريكية**، في سنة ١٩٤٣م، تعرضت تلك المدينة لاضطرابات عنصرية خطيرة بين المواطنين الأمريكيين من ذوي البشرة البيضاء والملونين والزنوج. وقد أرجعت أسباب تلك الاضطرابات إلى وجود الحدود التي تفصل بين ذوي البشرة البيضاء والملونين والزنوج.. وقد أثبتت الدراسات الميدانية السوسيومترية أن المناطق التي تسمح بالمزج بين الأجناس لم تتعرض لمثل هذه الاضطرابات العنصرية.

ولذلك فإن «**مورينو**» Moreno أب علم قياس العلاقات الاجتماعية كان ينقل الدراما الاجتماعية إلى مناطق الاضطرابات العنصرية سواء في «ديترويت» أو في **حي «هارلم» بمدينة نيويورك**. كما يقول **ديفرجيه** Deverger في كتابه بعنوان «**مناهج العلوم الاجتماعية**»[٤]: عندما يحدث أي اضراب للزنوج Grève des Noirs لا سيما وأن ممارسة الدراما الاجتماعية لا تحتاج إلى مسرح، كما أن ممارستها في مكان حدوثها On the Spot يجعل آثارها على الجانبين مباشرة وإيجابية، حيث يطلب من ثنائي من السود من النظارة عرض الموقف الذي كان سبباً في الاضطراب، ثم يطلب من ثنائي من ذوي البشرة البيضاء عرض نفس الموقف. ومن المؤكد أن العرضين يختلفان، ولكنهما يمثلان الواقع، واقع اختلاف النمط الحضاري للفريقين. وفي تلك اللحظة يقوم أخصائي قياس العلاقات الاجتماعية بإدخال **الذات المساعدة** Ego - auxiliaire التي تؤدي – بإعداد خاص – إلى نهاية جديدة غير الاضطراب، وباقتناع طرفي الموقف يمكن التغلب على أسباب الاضطرابات العنصرية أو بعضها بالتدريج... وفي النهاية تفتتح مناقشة مع النظارة لتحليل المشاهد التمثيلية التي تم عرضها. وأما ردود الأفعال التي تصدر من المتفرج فإنها هي الأخرى عنصر هام من عناصر الدراما الاجتماعية. وتنتهي التجربة في ذاتها مشيرة إلى المشتركين، كيف يمكن أن يكون الموقف أفضل[٥].

والاستطراد وراء عرض الأمثلة لتجارب علم قياس العلاقات الاجتماعية في مجال التمييز العنصري قد لا يقف عند حد. ومن ثم فإننا نكتفي بهذا القدر من الأمثلة التي تبين أن هذا العلم وهو الفرع الفني لعلم الاجتماع العام لم يعد يكتفي بالوقوف عند حد الوصف.

ذلك أن علم الاجتماع في الماضي، كان في تناوله لموضوع التمييز العنصري أو الشعوبي، كان يعرض علينا نماذج من هذا التمييز مثل التفرقة بين طبقات المجتمع الهندي إلى:

(١) **طبقة البراهما** Brahmannes وهي طبقة رجال الدين.

(٢) **طبقة الكشاتريين** Kchatriyas وهي طبقة المحاربين.

(٣) **طبقة الفسيائيين** Vaicyas وهي طبقة التجار والصناع والزراع.

(٤) **طبقة السودريين** Soudras وهي طبقة العبيد والأرقاء.

وعلى أساس هذا التقسيم الطبقي يتفاوت أفراد المجتمع في الثراء، وفي المركز الاجتماعي، وفي الحريات العامة والخاصة، بمعنى أن الكهنة البراهمة هم أكثر أفراد المجتمع امتيازاً، وهم الذين يستأثرون بالسلطة والنفوذ والجاه، معتمدين في ذلك على أفراد الطبقة الثانية الذين يدافعون عنهم، ويحافظون على هيبتهم الاجتماعية، ووظيفة الطبقة الثالثة مزاولة الزراعة، وصيد ورعي الحيوان وتدجينه، والقيام بالتجارة والصناعة. أما الطبقة الرابعة فليس لها من وظيفة اجتماعية إلا خدمة الطبقات السابقة، ولا سيما الطبقة الأولى. وقد حرمت الطبقتان الثالثة والرابعة من الحرية السياسية، إذ ليس من حق أفرادها الوصول إلى كراسي الحكم، ولا سيما طبقة العبيد الذين يحرم عليهم وضعهم الاجتماعي مزاولة أي حق سياسي أو مدني.

ومثال آخر من المجتمع اليوناني حيث كانت الدولة في وظائفها الثلاث: الإنتاج، الدفاع، والإدارة تشبه النفس الإنسانية في قواها الثلاث: الشهوانية، الغضبية، والناطقة. وكل طبقة من الطبقات الاجتماعية الثلاث في المجتمع اليوناني تمتاز بفضيلة خاصة. فطبقة

الإنتاج فضيلتها التعفف والاعتدال، وطبقة المحاربين فضيلتها الشجاعة والمخاطرة، وطبقة الحكام فضيلتها الحكمة والحزم. ويرى **أفلاطون** فيلسوف اليونان الشهير أن التقسيم الطبقي المشار إليه تقسيم طبيعي. فالطبيعة هي التي أقامته وحددت عناصره وعينت وظائفه، وجعلت هذه الطبقات من طبائع مختلفة ومعادن متباينة. فطبقة الحكام من الذهب الخالص، وطبقة المحاربين من الفضة وطبقة الزراع والعمال من الحديد أو النحاس الخام.

ومثال آخر عن موقف **الأديان السماوية** من التمييز العنصري حيث اعتبر بنو إسرائيل أنفسهم الممثلين لشعب الله المختار، وغيرهم كتبت عليه الذلة والانكسار لبني إسرائيل، وأن المسيحية كانت فكرتها الحقة هي المساواة بين الأفراد، فليس هناك أغنياء وفقراء، سادة وعبيد، أحرار وأرقاء، وأن هذا هو السر في أن الآباء الأول كرهوا نظام الرق لأنه يتعارض مع القوانين الإلهية... ووقف الأمر عند حد الكراهية للرق... وأن الديانة الإسلامية قد نزلت للناس كافة شريفهم ومنبوذهم، أبيضهم وأسودهم، أصفرهم وأحمرهم... وهذا الشمول الذي جاءت به الديانة الإسلامية يشمل النفس أيضاً، فيجمع النفس والضمير، ويخاطب الإنسان روحاً وجسداً، عقلاً وضميراً.. ذلك أن **الإسلام الحنيف يسوي بين الناس جميعاً، فلا تمييز بينهم في حقوق الإنصاف والمعاملة... ولا فضل لأحدهم على الآخر بغير عمله وخلقه،** تصديقاً لقوله تعالى ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ (سورة الحجرات، الآية ١٣).

أي إن أبناء آدم جميعاً ينحدرون من أب واحد وأم واحدة، فلا فضل لأحدهم على الآخر ــ بحسب عنصره وطبيعته ــ وإنما بالتقوى. وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعلنا شعوباً وقبائل، فإنه لم يجعلنا كذلك لتفضيل شعب على شعب، أو قبيلة على قبيلة، وإنما قسمنا هذا التقسيم ليكون ذلك وسيلة للتعارف

قياس العلاقات الاجتماعية والتمييز العنصري

وليس للتمييز والتسمية، كشأن الأفراد يحمل كل منهم اسماً ليعرف به ويتميز به عن سواه. والتفاضل بينهم ــ في نظر الله ــ إنما يجري على أساس أعمالهم ومبلغ محافظتهم على حدود دينهم، فأكرمهم عند الله أتقاهم.. وإن الإسلام ضيَّق مصادر الرق، وفتح روافد كثيرة لعتق الرق، بحيث تعمل هذه الروافد على إنهاء الاسترقاق في أمد غير بعيد... بمعنى أن الذي يحنث في يمين، أو الذي يود التكفير عن ذنوبه، أو الذي يفطر يوماً من أيام شهر رمضان، أو الذي يرغب في التقرب إلى الله، أو الذي يلتمس المثوبة منه... إلى آخر هذه الفضائل يمكنه أن يعتق رقبة أو أكثر عن كل حالة... إلخ.

ومثال آخر من الدول الحديثة مثل وصف **حالة التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا** ــ التي اعتبرت **العنصر الجرماني** الذي ينحدر منه شعبها هو أرقى العناصر البشرية ــ وإنجلترا... ودور هذه الدول الثلاث ــ مع غيرها من الدول الأوروبية ــ في إنشاء دول عنصرية مثل **اتحاد جنوب إفريقيا وروديسيا وإسرائيل**... إلخ. وحبذا ــ بناء على ذلك ــ لو كف علماء الاجتماع وخاصة الشباب منهم عن الاكتفاء بمجرد الوصف في تناول المشكلات الاجتماعية، واللجوء إلى نظريات علم الاجتماع الحديثة التي تتناول مثل هذه المشكلات بموضوعية على أساس افتراضات سببية.

وفي نهاية هذا المقال، فإننا نقول: إنه على علماء العلوم الإنسانية، أن يتكتلوا علمياً للعمل على إنهاء التمييز العنصري في كل المجتمعات وفي المجتمع الدولي. ذلك أن كتلة الدول الأفروآسيوية، قد هزت هيئة الأمم المتحدة من أساسها، وزعزعت سيطرة الرجل الأبيض عليها. وبالإضافة إلى ذلك فقد دخلت الصين الشعبية إلى عضوية المنظمة الدولية، ويتوقع الخبراء أن تصبح الصين الدولة الأولى في العالم في القرن الحادي والعشرين... وأن هذا الموقف دفع دول أوروبا الغربية إلى الاعتقاد بأن الحرب القادمة ستكون بين ذوي البشرة البيضاء من جانب والملونين والزنوج من جانب آخر، أي حرب عنصرية، وأن فرنسا وبلجيكا وإنجلترا وألمانيا الغربية والبرتغال تبذل جهدها لضم أمريكا لهذه الحرب.. ولقد ردد (**جيمس رستون**) هذه الأفكار في جريدة (**نيويورك تايمز**) في عددها الصادر في ١٥ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٦١م، حيث لخص عدداً من المحادثات التي دارت بينه وبين بعض المسؤولين الإنجليز والفرنسيين... وكلها تتركز في أن السياسة الحالية للغرب تدفع العالم إلى حرب عنصرية... وأن الواجب هو تحالف الغرب لمقاومة ضغط أجناس تفوقه عدداً.

وترتيباً على ذلك فإن على علماء قياس العلاقات الاجتماعية عدم تحريض الملونين والزنوج لمواجهة الحرب العنصرية التي تعد لها الدول الأوروبية من الآن، وإنما عليهم تبصير ساسة الدول التي تأخذ بالتمييز العنصري بمضار ومساوئ هذا التمييز، حتى يمكن حماية الحضارة البشرية من الدمار.

الهوامش

١ ــ From the cradle to the grave we are members of small groups

٢ ــ يمكن الرجوع إلى رسالتنا للدكتوراه (الفصل الثاني) للوقوف على كيفية إعداد المخططات الاجتماعية وتحليل وتفسير نتائجها وهي مودعة بمكتبة جامعة القاهرة.

٣ ــ Thelen, A. Dynamics of groups at work. N.Y. 1961

٤ ــ Deverger, E. Methodes des Sciences Sociales. Paris, 1965

٥ ــ الدكتور زيدان عبد الباقي: وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية، الطبعة الثانية. القاهرة ١٩٧٩م ــ ١٣٩٩ هجرية.

اللغة العربية من الدين

بقلم: د. وليد قصاب

تُعَدُّ اللغة أعظم إنجاز حققه الإنسان في حياته، وذلك إن أخذنا بالرأي القائل إن اللغة من اصطلاح البشر ووضعهم. وهي تُعَدُّ هبة جليلة من هبات الله تعالى عندما نلمح الرأي القائل إنها توقيف وإلهام من عنده: وذلك لأن الإنسان مخلوق اجتماعي بالفطرة، لا يستطيع أن يحيا وحيداً، فهو ميّال للعيش وسط الجماعة، والاحتكاك بالناس، وتداول الأمور والحاجات معهم. وليس ثمة وسيلة تحقق غرض التواصل، وتفي به على خير وجه، أفضل من اللغة.

والعربية من اللغات القديمة في العالم، تصعد في التاريخ إلى ما قبل الإسلام بعدة قرون. وقد استظهر **الجاحظ** لأقدم شعر جاهلي وصل إلينا مئتي سنة أو مئة وخمسين سنة على أقل تقدير. وقد اشتملت العربية على لهجات مختلفة، كان أخصَّها **لهجة قريش** التي امتازت بصفائها، ورقتها، ولطف حسِّها الموسيقي، حتى استطاعت أن تبسط نفوذها على اللهجات الأخرى، فصارت منذ أقدم الأزمان لغة العرب الأدبية، وكان الشعراء – على اختلاف قبائلهم وتباعدها – ينظمون بها شعرهم؛ فالشاعر حين يؤلف شعره يرتفع عن لهجة قبيلته المحلية إلى هذه اللغة الأدبية العامة، في الوقت الذي احتفظت فيه كلّ قبيلة بهذه اللهجة الخاصة تستخدمها في خطابها العادي، ويدور بها حوار الناس وحديثهم.

إن لغتنا الفصحى الحالية هي لهجة قريش القديمة. وقد كان شأن العرب يومذاك شأنهم في هذه الأيام: لكل قطر لهجته المحلية التي يلجأ إليها في الخطاب والحديث والحوار، ولكن العرب جميعاً – فيما ينشئون من قول، أو يكتبون من أدب، أو يخطون من كتب – يستخدمون هذه اللغة الفصحى التي هي اللغة الرسمية المشتركة للقوم جميعهم. ثم اختار الله – سبحانه وتعالى – لهجة قريش لينزل بها القرآن الكريم، فكان هذا تتويجاً لها، وإعلاناً لسيادتها، ودعوة للخضوع اللغوي لها.

ومن يومذاك صارت لهجة قريش هي لغتنا العربية الفصحى، التي استمرت حية متدفقة حتى يومنا هذا. وهكذا تبدو الفصحى تراث الماضي، ومجد الحاضر. بقيت على الدهر، وسارت مع الزمن، بحيث أصبحت لغة قديمة حديثة، تجمع بين التليد والطارف، والماضي والحاضر، وتربط الناطقين بها بأوثق رباط، وأمتن آصرة. وهذه ميزة لم تجتمع في أية لغة أخرى؛ فكثير من لغات العالم القديم قد انقرض واندثر، وما بقي منها أصابه من التطور والتبدّل والتغير ما قطع الصلة بينها وبين الماضي السحيق.

العربية لغة مقدسة

والعربية – فوق عراقتها وقدمها – لغة سماوية مقدسة. نزل بها دين سماوي أراده الله أن يكون ديناً شاملاً كاملاً، يستوعب جميع الأديان السماوية التي كانت قبله، ويصححها ويقوِّم العوج والزيغ اللذين ألحقهما البشر بها. وأراد الله لهذا الدين أن يكون دين الإنسانية جمعاء؛ فهو لا يقبل يوم القيامة غيره ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ (سورة آل عمران، الآية ٨٥).

فالإسلام لم ينزل لشعب بعينه، أو أمة محددة كما كان شأن الرسالات السماوية الأخرى، ولكنه دين الناس جميعهم: أبيضهم وأسودهم، عربيِّهم وعجميِّهم، شرقيِّهم وغربيِّهم. واختار الله العربية من بين جميع لغات الأرض، فكان هذا إكراماً لها أيّ إكرام، وتعظيماً لها أيّ تعظيم. وكان هذا في الوقت إعلاناً عن خروج هذه اللغة من ثوبها المحلي، لتكون لغة الإسلام، بجميع شعوبه، وبذلك حققت هذه اللغة ما حققت من انسياح وانطلاق في الأرض لم يكن يعرف من قبل.

القرآن معجزة لغوية

لكل دين معجزة يحملها نبيّ هذا الدين. ولقد كانت معجزة **محمد – صلى الله عليه**



وسلم ـ نبي الإسلام معجزة لغوية قبل كل شيء ، تمثلت في هذا القرآن الكريم . إن القرآن كثير جوانب الإعجاز : هو معجز في فقهه وتشريعه وأدبه وأحكامه ، وفي إخباره عن الماضي ، وحديثه عن المغيّبات ، وفي غير ذلك من أضرب الإعجاز التي لا حصر لها . ولكنه كان ـ قبل كل ذلك ، وفوق كل ذلك ـ معجزة لغوية . وهذا الجانب اللغوي الفكري هو الذي كان مناط التحدي كما نعلم جميعاً .

ولعل المتأمل في هذه الظاهرة ـ وإن كان تأملاً عابراً سريعاً ـ يستطيع أن يستبين من وراء هذا مجموعة من الدلالات نسجلها فيما يأتي :

١ ـ أن تكون معجزة الإسلام معجزة لغوية دليل بيّن واضح على أهمية اللغة في حياة الإنسان ، وإشعار بخطر الكلمة ، ومكانتها والدور الذي يمكن أن تلعبه .

٢ ـ وأن تكون هذه اللغة التي اختارها الله من بين جميع لغات الأرض هي العربية دليل واضح على أن الله قد شرّفها بلون من القداسة والتعظيم ، وخصّها بضروب من التميّز والفضل لم يخص بها لغة أخرى . وكان في هذا كذلك ما يشبه الإعلان الصريح إلا أن تجاوز هذه اللغة دائرة النشاط الدنيوي لتدخل دائرة النشاط الديني . وإلى هذا التميز والفضل أشار الله تعالى بقوله ﴿ **إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون** ﴾ (سورة يوسف ، الآية ٢) .

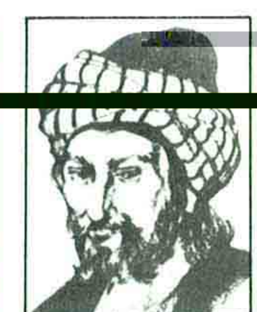
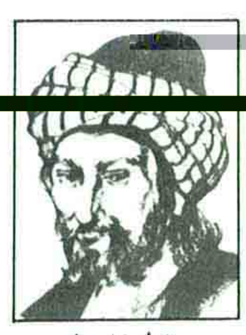
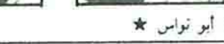
٣ ـ والدلالة الثالثة أن الله قد أراد لهذه اللغة أن تخرج من ثوبها المحلي ، فلم تَعُدْ لغة العرب وحدهم ، ولكنها اتجهت لتكون لغة المسلمين جميعهم : عربيّهم وعجميّهم ، كما أنها مدعوّة ـ بحكم أن الإسلام دين البشرية جمعاء ـ إلى أن تكون كذلك لغة البشرية كلّها .

ولقد كانت هذه المعاني جميعها واضحة في أذهان أجدادنا العرب المسلمين الأوائل ، فلم يكتفوا بأن حملوا للشعوب الأخرى دينهم ، وراحوا يبشّرون به ، ولكنهم حملوا إلى هذه الشعوب لغتهم كذلك ـ لغة الإسلام ـ فمضوا يعرّبون الألسنة ، مثلما مضوا يهدون القلوب ، وراحوا ينشرون العربية ، في الوقت الذي كانوا ينشرون فيه الدين الجديد . وكانت تلك الدلالات التي أشرنا إليها واضحة كذلك في أذهان الشعوب الأخرى التي قبلت هذا الدين ؛ فاقترن دخول القلوب في الإيمان بدخول الألسنة في العربية ، ودخل الناس ـ برضى وحب واقتناع ـ في الإسلام أفواجاً ، والألسنة في لغة القرآن أفواجاً . وراحت العربية ـ لغة المسلمين ـ تنتشر في كل مكان ، فكانت تدرس في **أصبهان وشيراز** ، كما كانت تدرس في **دمشق وبغداد وقرطبة والحمراء** ، وأضحت في زمن قصير لغة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، من أواسط **الهند** شرقاً إلى **جبل طارق** غرباً ، ومن **البحر الأسود** شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً . **وكانت لغة عالمية قبل أن يعرف المحدثون فكرة اللغة العالمية .**

لقد أدرك المسلمون من غير العرب أن العربية قد صارت لغتهم ، وليست لغة العرب وحدهم ، ولذلك لم يكن عجب أن يَدَعُوا لغاتهم الأصلية ، ويقبلوا على هذه اللغة العالمية الجديدة ، إقبال جدّ ودأب ومثابرة واقتناع ، حتى نبغوا فيها ، وتغلبوا على أهلها أنفسهم في بعض الأحيان ، فكان منهم شعراء ، وأدباء ، ونحاة ، ولغويون ، وفلاسفة ، وفقهاء ، ومتكلمون : **كبشار ، وأبي نواس ، وابن المقفع ، وسيبويه ، وأبي علي الفارسي ، وابن جني ، والبخاري** ، ومئات غيرهم من كبار علماء هذه الأمة الذين لا ينحدرون من أصول عربية .

العربية لغة الإسلام

فالصلة بين العربية والإسلام إذن صلة وثيقة لا تخفى على ذي بصر ؛ فهي وعاؤه ، وهي مستودع أسراره ودقائقه ، ولن يستطيع فهم الإسلام على وجهه من لم يكن متضلعاً منها . **وأي انفصال يقع بين المسلم والعربية يعني انفصالاً بينه وبين الإسلام** . وإن السبيل الأساسي لبناء المسلم الحقيقي هو إتقانه للغة الإسلام ؛ ولذلك قال **ابن تيمية** شيخ الإسلام : « **إن اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب : فإن فهم الكتاب والسنّة فرض ، ولا يُفهم إلا بالعربية ، وما لا يُفهم الواجب إلا به فهو واجب** » .

★ أبو نواس ★　★ ابن المقفع ★　★ سيبويه ★

فليست العربية إذن من باب التنفُّل، ولكنها فرض واجب على كل مسلم كما نرى، ولعل في هذا ما يطرد الوهم المستقر في أذهان بعض الناس من أن معرفة العربية وإتقانها هو واجب المختصين وأساتذة اللغة العربية وحدهم، أو أنها مسؤولية يحملها أولئك دون سواهم. فهذا وهم خطير، ولم يستقر في أذهان الناس يوماً ما هو أكثر منه زيفاً، وأبعد عن الصواب؛ حتى أصبحنا اليوم أمام مهندس، وطبيب، ومذيع، وصحفي، ومدرّس للتاريخ، أو العلوم، أو اللغة الأجنبية، لا يتقن العربية، بل يرطن بها كما يرطن الأعاجم، أو يتحدث العامية في دروسه ومحاضراته، وهم لا يخجلون من أنفسهم في كثير من الأحيان، بل قد يتباهون، وإن سئلوا عن هذا، أو نُبّهوا إليه؛ قدّموا حججاً سخيفة أوهى من خيوط العنكبوت قائلين: إن اختصاصهم ليس في اللغة العربية. **عجباً! من قال إن العربية حكر على أساتذة العربية وحدهم؟**. إن جهل المرء بأي اختصاص غير اختصاصه يغتفر، بل يُعَدُّ مشروعاً في هذه الأيام التي تعدّدت فيها المعارف، وتنوعت العلوم تنوعاً يصعب معه الإحاطة بها جميعها أو ببعضها، ولكن المعرفة الوحيدة التي لا يُغتفر لأحد جهلها هي اللغة، فاللغة ـ عند جميع الأمم ـ هي القسط المشترك الذي ينبغي أن يعرفه الناس جميعاً مهما كانت اختصاصاتهم ومؤهلاتهم ومعارفهم.

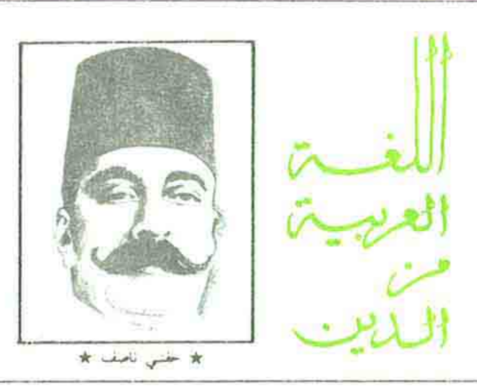
والنصوص التي تشعر بقداسة العربية، والحرص على إتقانها كثيرة جداً. كان **الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «أحبُّوا العرب لثلاث: لأنني عربيّ، ولأن القرآن عربيّ، ولسان أهل الجنة في الجنة عربيّ»**. وقد سمع ـ عليه السلام ـ رجلاً يلحن في كلامه، فقال: **«أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل»**، فسمّى اللحن في الكلام ضلالا. وكان يقول داعياً إلى إصلاح الألسنة: **«رحم الله امرأً أصلح من لسانه»**، ولقد درج المسلمون الأوائل على الاهتمام بأمر لغتهم اهتماماً لا نظير له؛ فقد روي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه أحجم عن تولية رجل لأنه لحن في اللغة. وكتب إليه أحد ولاته كتاباً لحن فيه، فكتب إليه عمر: «أن قنِّع كاتبك سوطاً» ويروى عنه أيضاً أنه مرّ برجلين يرميان، فقال أحدهم للآخر: (أسبت) يريد: (أصبت) فقال عمر: **«سوء اللحن أشدّ من سوء الرمي»، وكان ابن عمر يضرب ولده على اللحن**. وكان أجدادنا يفتخرون بالبيان، وشدة اقتدارهم على الكلام، وكان إتقان اللغة شرطاً للسيادة عندهم. يخبرنا **الجاحظ في كتاب (شرائع المروءة)** أن العرب كانت تسوّد على ست خصال: السخاء، والنجدة، والصبر، والحلم، والتواضع، والبيان. ثم صارت بالإسلام سبعاً.

الغزو الفكري للعربية

إن العرب قد قصَّروا في حق لغتهم، وفرّطوا في أمرها تفريطاً خطيراً، فلم يعودوا يؤدون الأمانة في حملها إلى الشعوب الأخرى من المسلمين غير العرب، فانقسم العالم الإسلامي بذلك إلى معسكرين: معسكر عربي يوحده اللسان، ومعسكر غير عربي، تفصله عن الأول عجمته. وحدث نتيجة هذا التقصير في التبشير بالعربية صدع عميق بين المعسكرين، وجفوة ليس من اليسير ردمها.

وليت تفريط العرب بلغتهم توقف عند هذا الحد، لو أنهم قصَّروا في حملها للمسلمين الآخرين على نحو ما كان ينبغي عليهم أن يصنعوا عندما اختار الله لغتهم لتكون لغة المسلمين جميعاً؛ لكان الخطب أيسر مما هو عليه الآن، ولكن الجهل بها فشا بينهم، وصار هذا الجهل مفخرة عند بعض المسلمين منهم. ثم راحت هذه اللغة الشريفة المقدسة تتعرض لألوان متعددة من الغزو والتشكيك، يشنها أعداؤها حيناً، وأبناؤها ـ ممن اصطنعتهم الصليبية العالمية ـ أحياناً. وما تزال طائفة كبيرة منا تجهل أن أي غزو فكري تتعرض له العربية إنما هو لون من ألوان الغزو التي تشن على الإسلام وأهله. **إن الهجوم على العربية يتزيا بأثواب لا حصر لها، فهو يلبس زي التشكيك في قدرتها على مجاراة الحضارة المعاصرة حيناً، وحيناً آخر يظهر بمظهر الدعوة إلى اللهجات العامية، وتشجيعها، وفتح أبواب الصحف والمجلات وأجهزة الإعلام على مصراعيها أمام ما يسمى بالأدب الشعبي، وحيناً ثالثاً يقوم فينا من يدعو إلى أن تستبدل بالأحرف العربية**

اللغة العربية من الدين



★ حفني ناصف ★

أحرف لاتينية ، أو نجد التعليم في جامعاتنا يتم باللغات الأجنبية ، دون اعتبار لكرامتنا القومية أولا ، ولقدسية لغتنا ــ لغة الإسلام ــ ثانياً .

ثم أخيراً ــ وفي أحدث أشكال الغزو ــ هذه الموجة العاتية من إفساد اللغة على أيدي أدباء الشباب في هذه الأيام ، وصعالكة الأدب والصحافة ، تحت شعارات ضالة مزيفة ، باسم تفجير طاقات اللغة ، وتوليد علاقات لغوية جديدة ، وإهمال المخزون الفكري اللغوي ، وغير ذلك من (تقليعات) أوصلت اللغة العربية إلى هذه الحال المزرية التي نشتكي منها جميعاً .

العربية آصرة توحيد

وإذا كانت العربية ــ كما ذكرنا في سياق هذا الحديث ــ لغة المسلمين كافة ــ **لغة ألف مليون مسلم** ــ وهي مدعوّة فوق هذا ، وعندما يعود المسلمون لأداء دورهم ، والتبشير بدينهم ، إلى أن تجاوز هاتين الدائرتين معاً : دائرة العروبة ، ودائرة الإسلام ، لتكون لغة الإنسانية جمعاء ، انطلاقاً من كون الإسلام للبشرية جمعاء ؛ أقول إن كان الأمر كذلك ، فما أحرى العربَ أولا ــ حملة هذه اللغة وسفراءَها ــ أن يتواصَوْا خيراً بلغتهم ، وأن يضعوها حيث وضعها الله من التقديس والإجلال والفضل ، وأن يعلموا أن الاعتصام بها ــ فوق أنه لون من الدين ، وضرب من الدنو من ساحته ــ هو واجب قومي بالنسبة للعرب على وجه الخصوص . **إن الاعتصام بالفصحى لون من ألوان الوحدة والتماسك ، فهي الرابط الأمتن والأقوى الذي يشدهم من المحيط إلى الخليج في وقت بدأت تتهاوى فيه كثير من الروابط والعلاقات** . ولا يخفى على ذي بصر أن الدعوة إلى اللهجات المحلية ، والتشجيع عليها ــ تحت أي ستار ، وانضواءً وراء أي مسمّى ــ ضرب من ضروب التشتيت والتفريق والتمزيق .

إن واجب المصلحة ــ بعد واجب الدين ــ يحمل هذه الأمة على أن تعرف فضل الفصحى ، وأن توليها ما تستحق من رعاية واهتمام ، ففي ضياعها ضياع الأمة وانطفاؤها ؛ لأن اللغة ــ كما أثبتت الدراسات اللغوية ــ ليست وسيلة تعبير فحسب ، ولكنها أيضاً أداة تفكير ؛ ومن أجل ذلك كان موت لغة شعب من الشعوب لا يعني موت ألفاظ وجمل تراكيب ــ فما أخفَّ ذلك وما أهونه ــ ولكنه يعني موت الفكر ، ومن ثَمَّ الشخصية التي يمثلها .

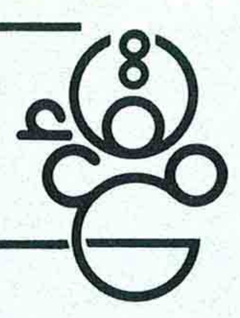
وإذا تذكرنا أن اليهود أحيوا لغتهم من الموت ، وجعلوها في وقت قصير جداً ــ منذ أن أقاموا دولتهم المسخ فوق فلسطيننا المحتلة ــ لغة علمهم وأدبهم وسياستهم وكل شؤون حياتهم ، وهم يعدون التساهل في شأنها ، أو التفريط بتعلمها معصية للرب ، وخيانة لدولة إسرائيل ؛ أقول إن تذكرنا هذا عرفنا أي مستنقع من العار نرتع فيه عندما نهمل العربية ــ لغة العرب ، والمسلمين ، والمهيئة يوم تنتهي كبوة المسلمين لتكون لغة الإنسانية جمعاء ــ وندع لغات الأمم الأخرى تزاحمها حتى توشك أن تقتلعها من جذورها الراسخة المتينة .

إن العامية اليوم من أشد وأخطر المزاحمين للعربية الفصحى ، فقد انسربت إلى كل مكان : إلى ألسنة الناس ، ومحاضرات الدرس ، ووسائل الإعلام المختلفة ، من إذاعة وتلفزة وصحافة . وعلى هؤلاء ــ بشكل أساسي ــ يقع عبء إنعاش الفصحى ، وردّ اعتبارها وقدسيتها ، كما وقع عليهم من قبل وزر إفسادها وتهجينها وتغريبها .

لقد توقع **حفني ناصف** ذات يوم أن يستطيع الناس بضرب من المَرَانة والدربة والمراس القضاء على العامية في نحو عشرين عاماً .

وليت الشرفاء الغيورين في أجهزة الإعلام عندنا ، وفي معاهدنا ومؤسساتنا العلمية يقومون بهذه المحاولة ؛ فلعلّ في نهوض الفصحى من كبوتها بداية نهوض الأمة من سقطتها الحضارية . وإن الأمر لكذلك .







الدكتور:
ناصر الدين
الأسد

أجرى الحوار:
علي عمر
عسيري

جائزة الملك فيصل العالمية

الحديث مع الرواد الذين يرصدون ويؤصلون ضوضاءنا الأدبية .. ويتعاملون مع وجوهنا الثقافية التراثية ، حديث فيه كثير من العلم والفائدة والمتعة .

ترى في نواصيهم طبقات التراث تراكماً إبداعياً ينبض بالأمل .. وتقرأ في قسمات وجوههم أخلد ما سطرته مواقف الفكر على مدى الأيام .

والسفر في فكر رجل ارتحل كثيراً في أعماق التراث والتاريخ .. وتعمق في ثنايا وزوايا الخلجات الذهنية والوجدانية سفر رائع .. رائع .

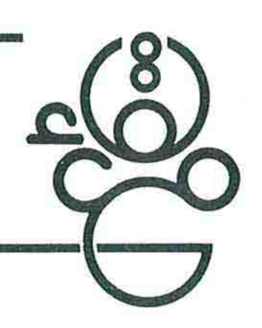
في هذا اللقاء نسافر مع أحد مفكرينا البارزين الذين استقطبوا عناية الباحثين والأدباء .. وساهم بطاقاته في خدمة أمته وتراثها وحضارتها [illegible]نة متينة في جسرها الممتد من بداياتها ، مروراً بحاضرها ، دخولا في مستقبلها .

إنه الدكتور ناصر الدين الأسد مدير جامعة عمان في الأردن .. ورئيس المجمع العلمي الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن .. والحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي لعام ١٤٠٢هـ .

التراث .. والمعاصرة

●● يقول أحد المفكرين العرب : إن قضية التراث تشكل تحدياً حقيقياً على مستوى الموقف الفكري والتشكيل الجمالي أمام أدباء كل جيل .. هل تعتقد أن الفهم الصحيح للتراث يعتبر عاملاً أساسياً لتحقيق معنى المعاصرة .. ؟





● هذه مصطلحات تحتاج إلى توقف طويل عندها .. وتحتاج إلى أن نديرها في ما بيننا من أجل أن نتفق على معانيها .. **المعاصرة وحدها دون التراث .. ودون الأصالة .. هي انسلاخ الأمة من نفسها ..** ولا تستطيع أمة أن تكون كالشجرة جذعاً دون جذور ثابتة في الأرض .. من أجل هذا كان من البديهي ألا تكون معاصرة لأمة حيّة دون أن تجمع التراث كأساس لها .. الجديد مع القديم .. الأصالة مع الحداثة .. أو ما شئت من هذه المصطلحات .. بل أكاد أقول لك : **لا عالمية للأدب دون خصوصية .. والخصوصية هي الأصالة ..** فالتراث بمعنى الأصالة أمر ضروري جداً لكي تستمر الأمة وتستمر أجيالها .. من أجل أن تحقق معاصرتها وعالميتها وبغير ذلك لا وجود لها ..

عالمية الأدب

●● وقد أشرتم إلى العالمية .. هل يملك أدبنا العربي ـ من وجهة نظركم ـ المقومات الأساسية لكي يصبح عالمياً ... ؟

● نحن لا نريد أن ندّعي لأنفسنا أكثر مما لنا .. ولا نريد أن نستكثر في حكمنا على أنفسنا .. لكن **الذين تتبعوا الأدباء** ـ وأنا أتحدث هنا عن ميدان الأدب وحده ـ **الذين فازوا بجائزة «نوبل» للآداب ، يعرفون حق المعرفة أن بعضهم قد نالها بغير جدارة .. وليس عن خصب في أعماله الأدبية الفكرية .. وإنما نالها لأسباب سياسية .. وفي كل عام يزداد هذا الأمر وضوحاً .** ومن أجل هذا نستطيع أن نقول إن بعض الأدباء العرب في المشرق وفي المغرب لا يقلّون ـ وهذه تعبيرات أحتاط في استعمالها ـ لا يقلّون عن الذين نالوا جوائز نوبل من غير العرب ... ولذلك أعتقد أن **اللغة العربية ليست هي الحاجز كما يظن البعض دون أن يصل الأدب العربي، الحديث إلى اللجان المختلفة الخاصة بالجوائز العالمية ..** لأننا نعلم أن هذه الجوائز قد منحت لأصحاب أعمال أدبية بلغات مختلفة متعددة .. وكان من اليسير أن تنقل هذه الأعمال أو أن يعرف بها هؤلاء الناس لكن في ما يخيل إليّ أن السبب **الرئيسي هو العصبية على الأمة العربية .. وهي عصبية نلمسها في كل ميدان من ميادين الحياة ..** ليست فقط عصبية سياسية وحدها ولكنها عصبية شاملة من جملتها الاستهانة بما يصدر عن العرب من أدب ومن فكر ..

من أجل هذا أعتقد أنه لا يجب أن نقف طويلاً عند هذا الموضوع ، وألا يكون سبباً في أن نكثر الحديث عن نيلنا الجوائز العالمية .. لأن الإبداع الأدبي عند بعض الأمم الأخرى أيضاً لم يقدّر لأن كثيراً من أدباء الأمم الأخرى لم ينالوا هذه الجوائز العالمية .

الفكر .. هو الأساس

●● الكثير يتحدث عن الثقافة ودورها في الحياة . ترى ما دور الثقافة في البناء .. في السياسة .. في الحرب والسلم ؟

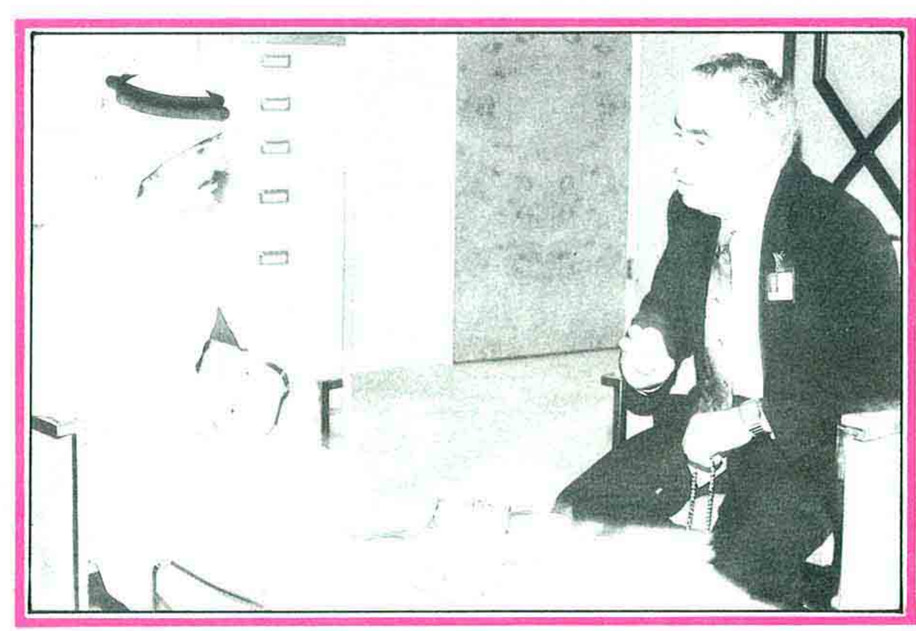
● يخيّل إليّ أن كل قضية سواء أكانت قضية سياسية أو حتى عسكرية أو اجتماعية لا بد أن تكون في منطلقها أساساً قضية فكرية .. قضية ثقافية لأن السياسة في الاتجاه السياسي هو موقف ، ولا يستطيع رجل السياسة أن يتخذ هذا الموقف أو ينتجه هذا الاتجاه إلا بناء على فكر .. إلا بناء على عقيدة .. سمّها ما شئت .. مردّها إلى الفكر والثقافة .

رجل الدولة زعيم الدولة .. لا يستطيع أن يشن حرباً إلا لأنه يحقق من هذه الحرب موقفاً .. هذا الموقف مبني على عقيدة . **فنحن في تصورنا أن الثقافة وأن الفكر هما المحرك لأنواع النشاط المختلفة للإنسان وأن أي حركة إنسانية بغير ركيزة فكرية حركة في فراغ .. ولهذا نأمل دائماً تقارب بين صانعي القرار السياسي وصانعي القرار الفكري والثقافي حتى تعتمد السياسة العربية على الثقافة العربية والفكر العربي بدلا من أن تتحرك السياسة العربية في فراغ تتيه فيه وتضيع كما حدث في كثير من المواقف السياسية العربية ضاعت وتاهت لأنها في الأصل لم تبن على الموقف الفكري أو الموقف الثقافي ..** وأنت تعلم أن بعض البلاد الأوروبية خصوصاً التي





لا عالمية للأدب دون خصوصية .. والخصوصية هي الأصالة.



★ الدكتور ناصر الدين يتحدث مع الزميل علي حسبري ★

بلغت شوطاً كبيراً في التقدم عندها الأجهزة الحاكمة وحولها مؤسسات فكرية ومراكز بحوث ومعاهد دراسات تقدم لها في كل قضية من القضايا دراسات مستفيضة عن تلك القضية .. فلا يتخذ قرار سياسي إلا بناء على ما يقدم من الناحية الثقافية الدراسية .. ونحن نتمنى في بلادنا العربية أن يكون العمل على هذا المنوال .

مشكلة التوزيع

●● بحكم المعاناة التي نعايشها نتيجة إشكالية التواصل بين الأدباء وبين إنتاجهم في كافة الأقطار العربية بسبب ضعف التوزيع ، هل تؤيدون فكرة إنشاء مؤسسة عربية للتوزيع تشرف عليها الجامعة العربية .. أو المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ؟

● هذا الموضوع كان مشغلة مستمرة للأمانة العامة للجامعة العربية وإدارتها الثقافية في بداية الأمر ثم أصبحت مشغلة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعد تأسيسها .. وكنت أنا من المشاركين في بحث هذه القضية في الإدارة الثقافية ثم في المنظمة العربية ، وأصدقك القول إننا لم نصل إلى أي شيء .. حتى الآن ..

بذلت جهود كثيرة ودرس الموضوع من جوانبه المتعددة وفكر في إنشاء مؤسسة واحدة للتوزيع .. ثم عدل عن ذلك على أساس أن هذا قد يمس حقوقاً لمؤسسات قائمة في الوقت الحاضر توزع ليس فقط في قطرها وإنما تمتد إلى بقية الأقطار العربية .. ففكر في بديل عن هذا .. وهو ما سمّي **باتحاد الناشرين والموزعين العرب** .. وقد وضع نظام أساسي لهذا الاتحاد . ولكن بكل أسف لم يمارس شيئاً مما يجب أن يمارسه فعادت القضية مرة ثانية تدور حول نفسها دون أن نصل إلى نتيجة .

●● ما السبب في عدم الوصول إلى نتيجة ؟

● السبب هو تعدد أنظمة الحكم في البلاد العربية ، نحن أمة واحدة .. نحن ثقافة واحدة .. نحن لغة واحدة وقبل هذا وذلك فلنا دين واحد .. ومع ذلك لنا اثنتان وعشرون حكومة وكل حكومة لها نظامها وبعض هذه الأنظمة تعادي **الكلمة** .. تخشى من الكلمة ولذلك فهي تضع قيوداً كثيرة على تنقل الكتاب .. فهذه القيود هي التي تحد من وصول الكتب العربية إلى أبناء العروبة في مختلف الأقطار .. ويخيل إليّ أن هذا الأمر كالأمور الأخرى مرده أيضاً إلى هذه التجزئة العربية والخلافات العربية التي نعاني منها ... وأعتقد أن كل حل يلتمس سيظل ناقصاً قبل أن تزول الخلافات العربية وقبل أن تزول هذه التجزئة العربية .

الجامعات .. والمناهج

●● تتناثر في ثنايا إنتاج كثير من الأدباء المعاصرين والكتّاب والنقّاد عبارات مشاكسة .. مثل أمية المثقف العربي .. جيل التمزق .. عصر الشروحات . ما موقفكم من تلك العبارات وما دلالاتها البعيدة .. ؟



□ لغتنا العربية التي نعرفها الآن تكونت خلال القرون الثلاثة السابقة للإسلام.

● هذه عبارات تستعمل للدلالة على مدى الحرقة التي يعاني منها المفكرون الأصلاء نتيجة ما وصل إليه التعلم والثقافة في بلادنا .. وهي تدل في ما أتصور على أحكام بضحالة الثقافة وضحالة الفكر عند كثير من خريجي جامعاتنا بسبب أنظمة التعليم التي أصبحت تتبع خاصة في السنوات الأخيرة .. والتي جعلت طلاب الجامعات وخريجيها يدورون في نطاق ضيّق لتحصيل المقررات والمواد الدراسية والتي صرفت هؤلاء الطلاب عن المصادر والمراجع وأمهات الكتب وصرفتهم عن القراءة وعن عادة القراءة.

فإذا سألت أحد خريجي الجامعات حتى من الكليات الأدبية النظرية وأكاد أقول حتى من خريجي كلية اللغة العربية نفسها تجد أنهم لا يكادون يعرفون شيئاً عن الحركة الأدبية الشاملة حتى في بلادهم ونحن جيل كنا فيه ونحن في حداثة عمرنا .. في مطلع شبابنا كنا لا نترك مجلة أدبية إلا نقرأها وتعقد المجالس للمناقشة في موضوعات هذه المجلة .. ولذلك أظن أن المقصود بهذه العبارة ضحالة الثقافة وشدة معاناة المفكرين .. والإحباط الذي أصيب به خريجو جامعاتنا وشبابنا .. وأنا لا أحب التعميم في الأحكام .. ولذلك أريد أن أستدرك فأقول: إن هذه النظرة على صوابها لا بد من أن نستثني منها نفراً صالحاً من شبابنا هم الذين يرجى منهم الخير لمستقبل الثقافة والفكر في البلاد العربية.

الدراسات الأثرية

●● الدراسات الأثرية مصدر حقيق للتاريخ .. إلا أن واقع هذه الدراسات لم يتحدد .. هل ترون ضرورة للاهتمام الحقيق بالدراسات الأثرية اليوم .. وهل يمكن إعادة صياغة بعض النتائج التاريخية على ضوء النتائج ..؟

● ليس من شك في ذلك .. وقد عانيت أنا أشد المعاناة منها ندرة في الدراسات الأثرية في قلب **الجزيرة العربية**. وأعتقد أن الدراسات الأثرية قد غطت حقبة تاريخية واسعة، ولكنها قديمة، لكن القرون الثلاثة السابقة التي ازدهر فيها الشعر العربي والتي تكونت من خلالها اللغة العربية التي استعملها **القرآن الكريم** ثم أصبحنا نستعملها بعد ذلك .. **لغتنا العربية التي نعرفها الآن تكونت خلال القرون الثلاثة السابقة للإسلام**.

الدراسات الأثرية في الجزيرة العربية للكشف عن آثار القرون الثلاثة السابقة على الإسلام لا تزال ضئيلة، وأنا أعتقد أنه إذا اكتشفت بعض الآثار الكتابية خلال هذه القرون الثلاثة في قلب الجزيرة العربية لا شك أنها ستقتضي منّا مراجعة أنفسنا ونعيد أحكامنا على التاريخ والأدب أيضاً وليس على التاريخ وحده؛ ومن أجل هذا فإن أملنا كبير في **أقسام الآثار بجامعاتنا بالمملكة العربية السعودية**.. ولحسن الحظ أن هذه الأقسام قد توافر لها أعضاء هيئة تدريس من المتحمسين لهذا النوع من الدراسات .. وأنا متفائل كثيراً إن شاء الله.



★ إبراهيم طوقان ★



★ مصطفى وهبي التل ★

شعر القضية

●● شعر القضية العربية الفلسطينية أخذ عمومية شعرية كاسحة لمعظم شعراء العرب. هل ترى أن تلك الأشعار من خلال متابعاتك عبُرت عن صوت الأرض وصوت الذات العربية المهدورة ...؟

● هذه الأشعار أنواع مختلفة ومن العسير أن نشملها بحكم عام واحد .. بعض هذه الأشعار قيل قبل النكبة أي قبل سنة ١٩٤٨م، **النكبة الأولى** .. ومن تلك الأشعار ما هو صادق صدقاً يكاد يكون مطابقاً حقيقة .. لأن فيه تنبؤاً لما حدث بعد ذلك كما هو واضح في شعر **إبراهيم طوقان**، وفي شعر **مصطفى وهبي التل**، فحينما تقرأ شعر «طوقان» تعجب لإرهاف حسّه الذي جعله يحسّ بما سيحدث في وطنه. ومن هؤلاء الشعراء ـ الشاعر الذي عاش شعره حقيقة ـ ناضل في شعره وناضل في حياته .. ومات شهيداً .. وهو الشاعر **عبد الرحيم محمود**. هذا نوع من الشعر قبل النكبة ..

صدق الشعراء في التعبير عن أنفسهم ثم أحسُّوا بأخطار المستقبل وذكروها كأنما رأوها بأم أعينهم.

ثم هنالك شعر ما بعد النكبة الأولى وهو أنواع .. فالشعر الذي سمّي **شعر المقاومة** .. والشعر الذي قاله فلسطينيون في خارج الأرض المحتلة، والشعر الذي قاله عرب من غير الفلسطينيين .. هذه أنواع الشعر فمن العسير علينا أن نشملها كما ذكرت بحكم واحد.

الشيء الذي يعرفه الجميع أن شعر



المقاومة أي شعر الشعراء الذين بقوا في الأرض المحتلة كان أكثر صدقاً في تعبيره عن معاناة الشاعر تحت نير الاحتلال وضياع الأرض .. أكثر من شعر الذين خرجوا من الأرض المحتلة .. لأنهم كابدوا ضياع الأرض إحساساً ، لكنهم لم يكابدوا ظلم المحتل حقيقة كما كابده شعراء الداخل .

الأدب العربي .. والمناهج الأوروبية

●● التقسيم الزمني للأدب يربطه كثير من مؤرخي الأدب بالعصور التاريخية .. هل ترى ضرورة لهذا الربط .. ربط تقسيم الأدب العربي بالمناهج الأوروبية .. والتقسيم «الأرسطي» بالذات .. هل ترى أن الوقت قد حان للتخلص من سيطرة التقسيم الأوروبي ومن سيطرة الأسر الأرسطي .. ؟

● هذه التقسيمات تقسيمات مدرسية .. نحن خصوصاً في التعليم نلجأ إلى أمور لمجرد تقريبها إلى مدارك الطلاب .. فهي تقسيمات للتوضيح أكثر منها تقسيمات مطابقة لحياة الحركة الأدبية والفكرية .

مع ذلك لا أرى بأساً في الاحتفاظ بهذه التقسيمات الزمنية ومسايرتها للعصور الأدبية .. إذا انطلقنا من منطلق أن الأدب والحياة الاجتماعية والسياسية جوانب يكمل بعضها بعضاً ، وتتفاعل معاً كان لا بد إذن من وجود علاقة بينها .



★ أحمد شوقي ★

★ خير الدين الزركلي ★

ليس معنى هذا أنه بانتهاء العصر السياسي تنتهي الصفات الأدبية التي تميِّز حياة الأدب في ذلك العصر .. قد تمتد هذه الصفات وتتداخل مع العصر السياسي .. أنا لا أرى – حقيقة – ما يحول دون الاحتفاظ بهذه التقسيمات .. لست مع الذين ينادون بأنها تقسيمات باطلة وغير حقيقية لأنني أرى أن هذه الجوانب تتفاعل بعضها مع بعض وتتداخل تداخلاً واضحاً كاملاً .

الفصحى .. والعامية

●● اللهجات العامية داء سرى في شرايين الأمة العربية هل يمكن توظيف بعض الألفاظ لخدمة اللغة وما الوسائل الناجحة لإذابة العامية ... ؟

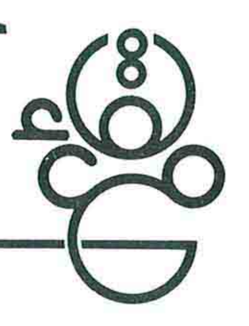
● هذه قضية تحتاج إلى مجال واسع لنعطيها حقّها من التوضيح ، وسأحاول قدر الإمكان الاختصار وإن كنت لا أحب الاختصار لأنه يوقع في الإخلال .

في اعتقادي أن اللهجات العامية .. حينما نستبعد الألفاظ الأجنبية الدخيلة الواضحة مثل الإنجليزية والفرنسية والتركية وما يشبه ذلك التي تسربت إلى البلاد العربية التي وقعت تحت تأثير أهل هذه اللغات فترة من الزمن حينما نستخرج هذه الكلمات في تقديري نجد أن ما يبقى من الكلمات في اللهجات العامية هي كلمات تمت إلى الفصيحة بسبب ، وأن الاختلاف بينها وبين الفصيحة إنما هو اختلاف في النطق ولكنها إذا كتبناها بالحرف العربي اتضحت لنا نسبتها الفصيحة .. وقد عنى كثير من الأدباء وعلماء اللغة في العصر الحديث بهذا الموضوع وألَّفوا فيه كتب ، ومرده إلى بعض ما سماه بعض أدبائنا (تفصيح العامي) أي إرجاع العامي إلى أصوله الفصيحة فأنا لا أخاف من استعمال (المفردات) وأرجو أن أكون واضحاً .. **المفردات المستعملة في لهجاتنا العامية لا أخشى من استعمالها في لغة الكتابة .. لأنني أرى أنها إذا لم تكن أجنبية واضحة فهي تمت إلى اللغة الفصيحة بسبب وهي أيضاً رافد يغني هذه اللغة .. لكن الذي نخشاه أشد خشية أمران :**

★ **الأول** : الأسلوب العربي وليس الكلمة المفردة أن تطغى في الكتابة العربية أساليب اللهجة العامية .

★ **الثاني** : الدعوة التي بدأ بها بعض غير المبرأين من الهوى ومن الأحقاد منذ عهد طويل وتتجدد من حين إلى آخر وهي الكتابة باللغة العامية .. وهذا أمر غير معقول عند أية أمة .. **لكل لغة عند كل الأمم لهجاتها العامية** .. فلا يحسبني أحد أن اللغة العربية وحدها هي التي تفردت بذلك .. كل لغات العالم لها لهجاتها العامية !!

واللهجات العامية لها استعمالاتها ، أما الفكر والأدب فلا يمكن أن يعبر عنها إلا باللغة الفصيحة . **ونحن حينما نخضع لدعوة الداعين لكتابة فكرنا وكتابة أدبنا باللهجات المحلية إنما نخضع إلى محو الفكر وإزالة الثقافة**



والأدب، لأن اللهجات العامية لها أنواع فنية من التعبير معروفة بها.. فإذا خلطناها بالأدب وبالفكر اللذين يكتبان باللغة الفصيحة عند كل أمة.. معنى هذا أننا أزلنا الفكر السامي والثقافة السامية.. وجلعنا كل ما عند الأمة عاميّ ودارج.. وهذا أمر فيه دس على الأمة العربية.

قضية الشك

●● قضية «الشك» في الشخصيات الأدبية بدءً بهوميروس ومروراً بشكسبير... كيف تنظرون إلى هذه القضية.. وهل لها وجود اليوم؟

● هي موجودة في كل عصر.. فكم من قصيدة ينشدها، كم أبيات يتغنّى بها أو يستشهد بها في مناسبة من المناسبات، وهي لفلان الشاعر ثم نكشف الأيام أنها لشاعر آخر.. نحن نعلم من الشعراء المعاصرين من نسبت إليهم قصائد وأبيات أكّدوا أنهم لم يقولوها.. بعضها عرفنا أنها لفلان على وجه التحديد، وبعضها ظللنا نردد ولم نعرف صاحبها.. مع أن القائل في عصر انتشار المطابع والكتب وليس في عصر الرواية الشفهية والسماع فهذه ظاهرة لا يجوز أن نضخّمها أو أن نجعلها سبباً من أسباب الشك في شعرنا في أي عصر من عصوره.. وقد أشار إلى مثل هذا عدد من النقّاد والكتّاب.

أعيد القول إن هذه الظاهرة ظاهرة طبيعية عند جميع الأمم وفي كل العصور.. وقد مرّت بي أنا شخصياً ولعلّها مرت بكثير من القرّاء.. أذكر أنني سمعت قصيدة سياسية وقيل لي حينئذ إنها **لخير الدين الزركلي**، فحينما نشأت بيني وبينه المودة سألته في القاهرة وأردت أن أستكمل أبياتاً منها، فعجب الرجل من نسبتها إليه وقال: إن القصيدة ليست لي ولكنها للشاعر فلان مع أنني سمعت من عدد لا بأس به من إخواني وأصدقائي نسبة هذه القصيدة لخير الدين الزركلي، وهذا مدعاة للشك في الشعر نفسه، وهذا ما دعا الأستاذ المرحوم الدكتور طه حسين من جملة ما بنى عليه موقفه في الشعر الجاهلي، الاختلاف في نسبة هذا الشعر ونسبته إلى عدد من الشعراء فجعل هذا سبباً من أسباب الشك في الشعر.. فالتضخيم لهذه القضية موقف غير علمي ولا يجوز أن نقفه.

الموسيقى والغناء

●● لمست، كما لمس غيري ممن اطلعوا على كتابكم «القيان والغناء في العصر الجاهلي» اهتمامكم الخاص بتاريخ الموسيقى والغناء.. هل هناك نظرية غنائية فنية جاهلية ذات صبغة عربية أصيلة..؟

● أنا سعيد كل السعادة لأنك وجهت لي سؤالا عن كتابي «القيان والغناء في العصر الجاهلي» لأن جميع الذين يوجهون الأسئلة لي يخصّون كتاب «مصادر الشعر الجاهلي».

ويبدو أن الكتب كالناس لها حظوظ.. والقيان والغناء لم ينل حظاً من الشهرة والمعرفة به..

لقد **بذلت جهداً كبيراً في هذا الكتاب.. وأنا معتز به غاية الاعتزاز.. وحققت فيه نتائج أظن أن كثيرين لم يتنبهوا لها..** وأنا استغفر الله على هذا القول.. إذ أشم منه رائحة التبجح.. ولكن سؤالك هو الذي أثار هذه الشجون.. نعم هذا الكتاب فيه نصوص صريحة واضحة.. فيه أحكام قاطعة على وجود نظرية عربية للغناء بدأت بواكيرها في العصر الجاهلي.. **وغير صحيح أن الغناء عند العرب لم يطبع بطابعه العربي إلا في عصور إسلامية متأخرة**.. وقد قدّمت من الحجج والأدلة والنصوص الشعرية والنثرية ما يجعل هذا الموضوع جديراً بأن يتناوله الباحثون تمحيصاً وتحقيقاً حتى يقطعوا فيه برأي، خاصة أن كثيراً من المصطلحات الموسيقية حتى التي استعملها **أبو الفرج** في أغانيه عن العصر العباسي لا تزال تحتاج إلى مزيد من الدراسة تعرف بمعانيها الحقيقية لذلك فسؤالك في محله. وأعتقد أنني وصلت في هذا الكتاب إلى وجود نظرية غنائية عربية منذ الجاهلية. تطورت في الإسلام ولكنني ما زلت أحتاج إلى من ينقد هذا الكلام إما تفنيداً وإما تأييداً.

فارمر.. والموسيقى العربية

●● «هنري جورج فارمر» كاتب إنجليزي.. أثنيتم عليه في كتابكم لفهمه العميق للموسيقى العربية.. ما الملامح التي بنيتم عليها استحقاقه لذلك الثناء..؟

● تصدى عدد من المستشرقين الأجانب من مختلف الجنسيات للبحث في الموسيقى العربية والغناء، وكان «**فارمر**» أحد هؤلاء.. بل أكاد أقول إنه من أفضلهم.. وبطبيعة الحال وجد من الإسبان والفرنسيين والألمان من كتبوا عن هذا الموضوع، لكنني في حدود معرفتي أرى أن «**فارمر**» أوفاهم.. وكتاب فارمر يجعلني أزداد



يقيناً بقيمة كتاب «القيان والغناء في العصر الجاهلي» .. لأن «فارمر» قد استنفد جهده في الكلام على **العصور العباسية**، ولم يتطرق **للعصر الجاهلي** إلا بصفحات لا تتعدى ثلاثاً أو أربعاً .. ثم أقل الكلام كثيراً عن **العصر الأموي** .. فالعصر الجاهلي والأموي معاً لم يستغرقا في كتاب «فارمر» أكثر من عشرين صفحة. ولذلك حينما يأتي باحث عربي ويؤلف كتاباً عن العصر الجاهلي وحده فمعنى هذا أنه إضافة علمية جديدة إلى جهد هذا المستشرق.

اتهام النقّاد

●● **هناك نقد موجه إلى كبار النقّاد في الوطن العربي بأنهم آثروا السكينة والهدوء بل توقفوا .. ترى هل هذه التهمة موضوعية .. أم أن مرحلة الجيل الحاضر أفرزت عطاءات لا تتواءم ومقاييس النقد لديهم ..؟**

● الأمران معاً صحيحان .. كثير من النقّاد تجنبوا الخوض في هذا الأدب الجديد لأنهم رأوا أنهم لا يستطيعون أن يصلوا فيه إلى شيء له قيمته، ورأوا مقاييسهم لا تنطبق عليه، أو أن ما ينشر من الغناء لا يستحق أن ينقد .. وفي الوقت نفسه قصروا في نقد ما يستحق أن ينقد .. ويخيل إليّ أن هذا التقصير مرده إلى انصراف الناس في انصراف هؤلاء النقاد عن مواجهة الخصومات الأدبية التي كان النقّاد في الجيل السابق مستعدين لمواجهتها .. وأنت تعلم المعارك الأدبية التي نشأت أو نشبت بين مَنْ يسمّون بالروّاد أو بالطلائع .. أي في الجيل الذي سبقنا .. وهذه المعارك كانت ضارية وقاسية .. لكن بعضها أخصب حياتنا الأدبية وعاد بالفائدة على الحركة الثقافية ..

يبدو أن نقّادنا الذين تلوا ذلك الجيل آثروا العافية والسلامة ولم يرغبوا في خوض المعارك الأدبية، وارادوا أن يجنبوا أنفسهم، وبذلك قصروا في حق كثير من الأدب الجاد الذي كان يمكن أن يبرزوا قيمته وأن يقدموه إلى الناشئة وبذلك يقودونهم إلى معرفة الغث والسمين ليتمكنوا من التمييز.

المسرح الشعري

●● **المسرح الشعري غير موجود .. والسبب كما يقول المهتمون به صعوبة أداء النص الشعري ذي الوزن والقافية الواحدة .. ترى ما صحة هذا القول .. وهل يمكن مع انتشار قصيدة «التفعيلة» أن ينجح المسرح الشعري؟**


★ هوميروس ★   ★ عزيز أباظة ★

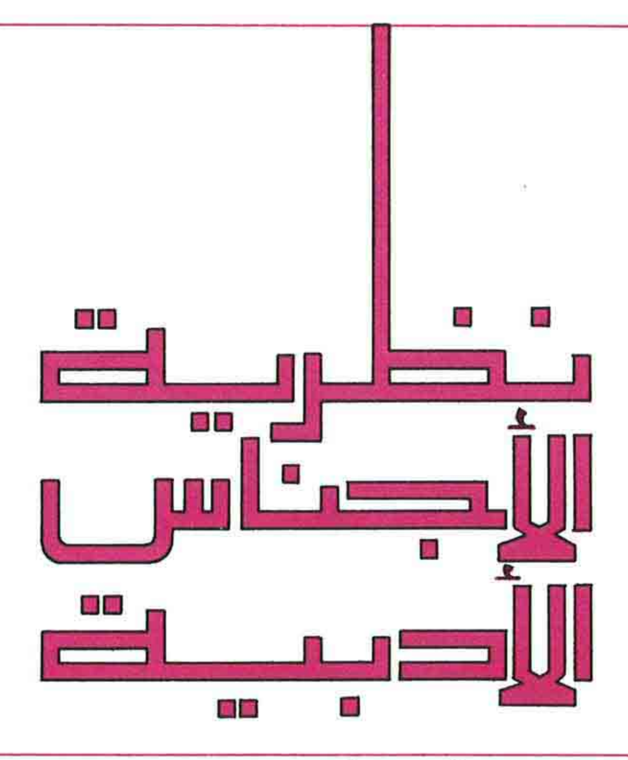
● أحمد شوقي وعزيز أباظة مهما اختلف حكم الناس على تجاربهما ممن اهتموا بالمسرح الشعري وألّفوا مسرحيات شعرية .. هذه المسرحيات كانت موزونة، وكان فيها نوع من القافية لا تلتزم قافية واحدة من أول المسرحية إلى آخرها، ولا تلتزم وزناً واحداً بطبيعة الحال .. فأنا أتصور أن لهذا السؤال وجوداً لا أستطيع أن أتصور مسرحية شعرية لها وزن واحد من أولها إلى آخرها ولها قافية واحدة كذلك .. فمسرحية شوقي متعددة الأوزان ومتعددة القوافي .. وكذلك مسرحيات من تلا شوقي، ثم بعد ذلك جاءت المسرحيات التي اعتمدت التفعيلة، **وأنا أيضاً لا أرى مانعاً من اعتماد التفعيلة** في المسرحية، ولا أرى مانعاً من تنويع هذه القوافي، أو عدم الالتزام بهذه القوافي .. هذا كله مرده إلى إحساس الشاعر بالموقف.

أنا أتصور أنه حتى الشعراء الذين يلتزمون التفعيلة الواحدة قد يجدون من المواقف ما يدفعهم إلى أن ينظموا على البحر العروضي في مواقف معينة بالذات، وإلى أن يلتزموا أيضاً في مقطوعات معينة من الحوار المسرحي قافية موحدة .. ثم بعد ذلك قد يلجأون في بقية مواقف المسرحية إلى التفعيلة الواحدة وتنويع القوافي.

عندنا من هذا وعندنا من ذاك .. **وموقفي إزاء التفعيلة موقف المقتنع بها في المسرحية على وجه خاص لأنها أيسر للتدفق الشعري وأقرب إلى الطبيعة في المواقف المسرحية** .. مع كل هذا، فالتجارب من النوعين موجودة.

يأخذون على شوقي أن الشعر في مسرحياته أكثر من المسرح في مسرحياته، لكن الخلاف في هذا طويل .. وبعض النقّاد المسرحيين يرون أيضاً أن البناء المسرحيّ عند شوقي لا يقل عن الفن الشعري.

من أجل هذا أرى أن نترك فنانينا وشعراءنا الذين يكتبون للمسرح الشعري أن يتصرفوا وفق قدراتهم ووفق ما يرونه مناسباً للمواقف الشعرية.



نظرية الأجناس الأدبية

بقلم: د. قسطندي شوملي

إن البدء بدراسة النظريات الخاصة بالأجناس الأدبية خطوة أساسية لدراسة الفنون الأدبية، ذلك أن دراسة القصة أو المسرحية أو القصيدة الشعرية كفنون متميزة، ترتبط بدراسة الأجناس الأدبية. ولا يزال النقّاد في الآداب المختلفة على مرّ العصور ينظرون إلى الأدب بوصفه أجناساً أدبية، أي قوالب عامة فنية، تختلف فيما بينها على حسب بنيتها الفنية وما تستلزمه من طابع عام[1].

ويجب الإشارة أولا إلى أن كلمة جنس مأخوذة من اللاتينية Genus أو اليونانية Génos وتعني العائلة أو العرق، وهي باللغة الفرنسية Genre، وكان الإنجليز يطلقون عليها species، ثم عدلوا عنها إلى كلمة Genre، وكانت كلمة صناعة تستعمل في التراث العربي للدلالة على الجنس الأدبي، في حين أن كلمة جنس هي اللفظة الشائعة في الوقت الحاضر. وقد استعمل الدكتور حسن عون لفظة «نوع» في ترجمة كتاب الأب فنسان، «نظرية الأنواع الأدبية»، في حين استخدم الدكتور محمد غنيمي هلال لفظة الأجناس الأدبية[2]، ونقصد بالأجناس الأدبية ما نسميه بالعربية فنون الأدب وأنواعه.

مفهوم الأجناس

وكلمة جنس مأخوذة من مقولات **أرسطو** الذي قام بوضع الأسس التي تقوم عليها نظرية الأجناس الأدبية في **كتابه «فن الشعر»**. وهي مأخوذة أيضاً من **العلوم الطبيعية، فهي** تستخدم في علم النبات وعلم الحيوان. وليس هناك ما يمنع من نقلها إلى عالم المعنويات. **وكان الباحث الروسي فلادمير بروب أول من استعان بالعلوم الطبيعية في دراسة الأدب.** ويتميز استعمال هذه الكلمة في علم الأحياء عن استعمالها في الأدب. فهي في الأول تعني مجموعة من الكائنات التي تنقسم بدورها إلى أنواع كثيرة، وفي الثاني تعتبر قوالب ثابتة تفرض على العمل الأدبي قواعد معينة وصفات ثابتة وأهدافاً محددة. إلا أن هذه القواعد ليست ثابتة تماماً، وإنما تخضع للتغيير والتبديل، فكل جنس أدبي له نشأته الأولى ثم اكتماله وازدهاره بل حتى موته. فالملحمة، مثلاً، انتهت إلى الضعف والانحلال ثم ماتت تماماً لأنها لم تجد الوسط الملائم لنموها.

وأطلق **الناقد الفرنسي برونتيير** على الأجناس الأدبية لفظة **«جنولوجيا»**، متأثراً بنظرية **داروين** في التطور والارتقاء. وقد أكد برونتيير على العلاقة بين العلوم الطبيعية وتاريخ الأدب، لا بل قد رأى استناداً إلى نظرية داروين في بعض ضروب الأدب ما يشبه الأنواع في مملكة

الحيوان من حيث تطورها وتسلسلها المعروف[٣]. ودرس برونتيير تطور الأجناس الأدبية بقصد معرفة إذا كانت هذه الأجناس تظهر إلى الوجود إثر بعضها بعضاً نتيجة للصدفة أو نتيجة لتوالدها. وقد نبه إلى أن نظرية التطور في الأدب لا ترمي إلى بعث الماضي، بقدر ما تستهدف إلى استنباط قوانين يمكن أن تفسر الأعمال الأدبية.

نشأة الأجناس

وقد تنشأ الأجناس الأدبية طبيعية من الآداب القومية دون استعانة في نشأتها بآداب أخرى، لكنها قد تستمد عوامل نموها ونهوضها من الآداب الأخرى. وقد ينشأ الجنس الأدبي بفضل تأثره بالآداب الأخرى مثل المسرحية والقصة في معنييها الفني في أدبنا العربي، فقد نشأتا فيه وتطورتا واحتلتا مكانة تضاءلت بالنسبة لها مكانة الشعر الغنائي الذي كان يشغل جل ميدان الأدب العربي قبل العصر الحاضر[٤].

ودراسة الأجناس الأدبية هامة جداً، لأن الإخراج الفني للعمل الأدبي ليس بأقل أهمية من مادته أو جوهره، لأن النوع المعتمد وطريقة التعبير المستعملة، يؤثران في المشاعر والأفكار. ويقول **«ياوس»** وهو أحد نقاد العصور الوسطى الغربية: **«لا يمكن أن نتخيل عملاً أدبياً كالقصة مثلاً، بعيداً عن الظروف الثقافية التي نشأ فيها. فكل عمل أدبي لا بد أن ينتمي إلى جنس معين، وكل عمل أدبي يفترض ظروفاً خاصة تحيط به»**[٥]. وبهذا المعنى يشترط أن يتوفر في كل عمل أدبي، مجموعة من القواعد التي تنطبق على كل الأعمال الأدبية التي ينتمي إليها هذا العمل، ومجموعة من الظروف التاريخية والاجتماعية أو نظام ثقافي يمكن أن يحتوي العمل الأدبي. وبنفس هذا المعنى، تشير **الناقدة الفرنسية ماري لويز تينيز** إلى أن دراسة الحكاية الشعبية كجنس أدبي، يجب أن تأخذ بعين الاعتبار وجهتي نظر مختلفتين ضروريتين. وهي تقول: «**إن التقييم الثنائي للعمل الأدبي أو أي شكل من أشكال الخلق الأدبي الذي يأخذ بعين الاعتبار الصفات المحلية الخاصة بالعمل الأدبي وببنائه الداخلي، قد دفع بالدراسات الخاصة بالحكاية الشعبية خطوة كبيرة إلى الأمام**»[٦]. وهذا ما يدفعنا إلى التأكيد بأن معرفة التركيب الداخلي لنوع أدبي كالقصة، يجب أن يتم بدراسة الظروف الخارجية المحيطة به.

وبناء على هذا الاعتبار فإن تعريف الجنس الأدبي، يجب أن يأخذ بالاتجاهين كلاهما: الأول الذي يمثل معرفة بناء العمل الأدبي من الداخل، والثاني الذي يمثل مميزاته الثقافية. وهذا ما يدفعنا إلى القول **إن نظرية عالمية للأجناس الأدبية غير ممكنة، ذلك أن الظروف الخاصة بالعمل الأدبي تختلف من ثقافة إلى أخرى. فكل ثقافة لها من الحقائق ما يميزها. وفي مثل هذه الظروف تصبح أي نظرية خاصة بالأجناس الأدبية اتفاقية ونسبية، تعتمد على درجة التوافق بين العمل الأدبي، والمبادئ الخاصة بثقافة معينة.**

ويرى الناقد الإيطالي (فان تيفم) «أن كل عمل أدبي يتألف من عناصر ثلاثة، الطابع الشخصي، والتقاليد الوطنية والتأثيرات الأجنبية»[٧]. وبمعنى آخر، إن دراسة العمل الأدبي لا بد أن تأخذ بعين الاعتبار أسلوب الكاتب وطريقته في الكتابة، والعلاقات التي يظهرها النص بالظروف المكانية والزمانية التي يصورها. ولقد كشفت الدراسات العلمية الوصفية للأجناس الأدبية المختلفة عن قيام صلات أدبية بين الآداب المختلفة. فقد نشأت القصة والمسرحية في الأدب العربي بفضل تأثره بالآداب الأخرى، وهذا ما يجعل دراستها من ميدان الدراسات المقارنة.

الزمن.. والظروف التاريخية

وحاول بعض النقاد الخروج بدراسة الأجناس الأدبية من ميدان الدراسات المقارنة، وهم الذين يرون أن دراسة العمل الأدبي، يجب أن تتم دون اعتبار **عامل الزمن والظروف التاريخية**. وعبّر عن هذا الاتجاه **الناقد الأميركي «رينيه ولك»** في كتابه المترجم إلى العربية تحت عنوان **«النظرية الأدبية»**، حيث يقول: «يجب النظر إلى الجنس الأدبي كمجموعة من الأعمال الأدبية التي اعتمدت في نفس الوقت على الشكل الخارجي، كالوزن والبناء واللغة، وعلى الشكل الداخلي، كوجهة النظر والهدف والموضوع»[٨]. وبمعنى آخر: إن حدود نظرية الأجناس الأدبية هي الحدود الشكلية للعمل الأدبي، حيث يتم تنظيم أجزائه في بناء محكم. وبشكل عام يمكن أن نقول إن النظرية الشكلية تخرج من نطاق عملها المشاكل الخاصة بعلاقة العمل الأدبي بالقارئ وتأثيره على الجمهور المعاصر، وتعتبر أن هذا الأمر من اختصاص علم النفس وعلم الاجتماع.

ويذهب فريق آخر من النقّاد إلى التأكيد على الربط بين العمل الأدبي وعامل الزمن. وتقوم نظرية الأجناس الأدبية، بالنسبة لهم، على الظروف التاريخية، لتكشف عن تأثير السابق باللاحق، بحيث يكون على الناقد أن يعرف خصائص النص الذي ينقده وما قد أضيف إليه منها أو عدل عنه إلى غيرها، فتوالد الأجناس الأدبية يرتبط بالمجتمع والتاريخ، ويتم بناء على حاجة العصر. وبذلك يكون لها وظيفة اجتماعية أو تاريخية.





دراسة الأجناس

إن البحث في نظرية الأجناس الأدبية يفرض علينا عدداً من الأسئلة التي يجب الإجابة عنها قبل البدء بدراسة العمل الأدبي. **فهل يحق لنا دراسة جنس أدبي مثل القصة دون دراسة كل الأعمال الأدبية التي تنتمي إليها؟** ذلك أن أهم مظاهر البحث العلمي الحديث، هي أن لا يجبر الباحث على دراسة كافة مظاهر ظاهرة ما حتى يمكن له وصفها. فعدد محدود من الملاحظات قد يساعد أحياناً في استنتاج فرضية عامة. وهل هناك عدد محدود من الأجناس الأدبية أم أن عددها غير محدود؟ **وهل يعتبر الحديث عن أجناس أدبية عامة كالشعر والقصة والمسرحية نوعاً من العبث؟** لأن العمل الأدبي إنتاج فردي يتحدد بما يميزه عن بقية الأعمال الأدبية وليس بما يتشابه معها. فإذا أحببت قصيدة ذكريات الطفولة **للبياتي**، يعود ذلك لما يميزها عن بقية الأعمال الأدبية الأخرى وليس لأنها قصيدة. وممن يذهبون هذا المذهب، **الناقد الإيطالي بندتو كروتشه**.

وعلى هذا الأساس يكون الأدب تعبيراً عن طاقات ومواهب شخصية تعبّر عن ذاتها بحُرِّية مطلقة. فالأجناس الأدبية أو تلك الأشكال التي لا أهمية لها، والتي هي إنتاج عبقريات موهوبة، صدفة، لا وجود لها إطلاقاً، وإنما الفكر كما يقول (**فان تيغم**) ينفخ حيث يشاء وإلى أي مدى أراد، لأن الأدب ليس إلا فكراً ثم صورة ومادة. ويرى تيغم أن الأجناس الأدبية ليست ضرورية لعلاقاتها بالمذاهب الفردية فحسب، بل لأنها كذلك تعطينا أفضل ترتيب طبيعي للإنتاجات الطبيعية. إنها تشرح لنا حاجات الفكر الأولى وحالاته الأساسية. وكما أن الأنهر قد حفرت الوديان وأوجدت لها الأسرة، كذلك الأنواع الأدبية، فقد أوجدتها الممارسة باعتبارها الأشكال التي تلائم أكثر ما يكون التعبير الفني عن هذه الميول الفكرية الفطرية[٩].

ولا بد عند دراسة الأجناس الأدبية من أن نأخذ بعين الاعتبار بالملاحظات التالية:

(١) إن كل نص أدبي يشترك مع بقية النصوص الأدبية الأخرى بصفات عامة نسميها الأجناس. ومن الصعب اليوم النظر إلى العمل الأدبي دون اعتبار تأثير النصوص الأدبية السابقة له.

وكانت محاولة **برونتيير** لدراسة تطور الأجناس الأدبية بموجب نظرية التطور الداروينية، قد دفعته إلى دراسة العلاقات القائمة بين مختلف الأجناس من النواحي التاريخية والفنية والعلمية. والتركيز على هذه الصلات التي تقوم بين القوالب الفنية المختلفة [illegible] الباحث إلى دراسة الأجناس الأخرى استكمالا لدراسة الجنس الواحد. وبالتالي دراسة الآداب الأجنبية لدراسة تاريخ الأدب القومي.

(٢) إن العمل الأدبي ليس إنتاجاً أو تحقيقاً لمجموعة من القواعد الأدبية وإنما تطور لهذه العلاقات والقواعد. ويفرض كل جنس أدبي نفسه بمجموعة من الخصائص على كل كاتب يعالج فيه موضوعه. ولا يستغني كاتب ولا ناقد عن الإحاطة بهذه الخصائص الفنية. ففكرة الجنس الأدبي فكرة تنظيم منهجي لا يمكن أن تنفصل عن النقد.

(٣) إن دراسة العمل الأدبي هي في نفس الوقت دراسة للجنس الأدبي الذي ينتمي إليه. والواقع أننا لا نستطيع القول إن أي عمل أدبي ما يمثل جنساً أدبياً معيناً، فدراسة العمل الأدبي الواحد لا يمكن أن تنفي أو تثبت نوعاً أدبياً معيناً.

(٤) إن وضع نظرية خاصة بالأجناس الأدبية يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الأجناس الأدبية القديمة والحديثة، والأجناس الأدبية التي يمكن أن تولد في المستقبل. ولا بد من التمييز أيضاً بين الأجناس النظرية والأجناس التاريخية.

(٥) يجب دراسة النصوص الأدبية بنفس الروح والجدية التي تدرس بها المواد العلمية، ولكن يجب عدم اللجوء إلى أحكام دقيقة عليها كما في العلوم البحتة. فلا يمكن أن يكون النص الأدبي صحيحاً أو خطأ، ولا يمكن تقييمه إلا من وجهة نظر تكوينه الخاص. والأدب كالعلم لغة في نفسها، لا تمثل أي حقيقة مادية، رغم أنها تساعد على اكتشاف عدد غير محدود من الحقائق.

ويمكن أن نستنتج في النهاية أن كل نظرية للأجناس الأدبية، لا بد أن تأخذ بعين الاعتبار بناء وتركيب العمل الأدبي، من الناحية اللفظية والتركيبية والمضمون. فالناحية الأولى تكمن في الجمل التي تكوّن النص، والناحية الثانية تظهر في العلاقات التي يظهرها النص بين أجزائه المختلفة، سواء كانت زمانية أو مكانية أو منطقية، والناحية الثالثة تظهر في الخطوط العامة مجتمعة التي تميز النص الأدبي. وهذه المظاهر لا تظهر في النص مفردة، ولكنها مجتمعة معاً في وحدة واحدة.

الهوامش

(١) محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص ١٣٦.
(٢) المصدر السابق، ص ١٣٦.
(٣) أحمد كمال زكي، دراسات في النقد، ص ٢٦.
(٤) محمد غنيمي هلال، المصدر السابق، ص ١٤١.
(٥) Juass, H.R. Littérature médiévale et théorie des genres, Poétique, I, 1970, p. 79.
(٦) Marie, L. Tenèse. Introduction à l'étude de la littérature orale, le contre, Annales, Econ. Soc. Civilis. 1969, p. 1104.
(٧) الأدب المقارن، ص ٦٩.
(٨) نظرية الأدب، ص ١٣٩.
(٩) الأدب المقارن، ص ٦٤.

تصويب لغوي

لبعض الاستعمالات الشائعة

يشيع على ألسنة المتحدثين بالعربية اليوم عبارات وتراكيب تجانب الصواب، ونعرض هنا بعضها، ونبيّن ـ إن شاء الله ـ وجه الصواب فيها.

★ **من ذلك قولهم: خصصت هذه الغرفة لابني أحمد.**

فتركيب الجملة هنا قائم على أساس تعدية الفعل (خص) إلى (هذه الغرفة) بنفسه، وقد أدخلت اللام على (الابن) وهو تركيب غير صحيح.

فالصحيح أن يقال: خصصت ابني أحمد بهذه الغرفة، ففي المعاجم اللغوية: خصه بالشيء، وبالود خصاً وخصوصاً وخصوصية، ويقال: اختصه بالشيء ـ كذلك ـ بمعنى: فضَّله.

فالعربي الأصيل يعدي الفعل (خصّ) إلى المخصوص بنفسه دون حرف جر وإلى الشيء المخصوص به بالباء لا باللام وهذا هو الصواب.

★ **ومن ذلك قولهم: قابله صدفة، بمعنى: لقيه بلا موعد أو توقع لقاء.**

والتعبير الصحيح أن يقال: (صادفه) باشتقاق الفعل الماضي من مادة (ص د ف) فهي ـ وحدها ـ تدل على اللقاء دون موعد، كما في المعاجم اللغوية.

لكن المثقف العربي اليوم نسي دلالة هذا اللفظ (صادف) على اللقاء، واكتفى بدلالته على عدم تحديد الموعد فاستجلب فعلاً آخر يدل على اللقاء هو (قابل) مع أنه لا داعي إليه في التركيب لدلالة مادة (ص د ف) على المراد من الجهتين معاً.

★ **ومن ذلك قولهم: صلى محمد الظهر في المسجد وعاد فوراً إلى منزله وتناول طعام الغداء فور وصوله.**

والمراد أنه رجع سريعاً وواصل حركته وتناول طعام الغداء دون إبطاء.

والتعبير بقولهم: فوراً، وفور وصوله غير صحيح في العربية.

وصواب العبارة أن يقول: وعاد من فوره، وتناول طعام الغداء من فوره كذلك، ففي المعاجم اللغوية: أتوا من فورهم أي من جهتهم، أو قبل أن يسكنوا. وفي القرآن الكريم **﴿ويأتوكم من فورهم هذا﴾**[1].

★ **ومن ذلك قولهم: استقل الوالد وأبناؤه السيارة في رحلة.**

وهذه العبارة غير مستقيمة في العربية.

فالفعل (استقل) معناه ـ كما في المعاجم اللغوية ـ: حمل ورفع، ومثله الفعلان: (قلّه) و(أقلّه) لمعناهما حمله ورفعه.

والعبارة التي معنا تفيد أن الوالد وأبناءه حملوا السيارة مع أن هذا المعنى فاسد فالذي يحمل هو السيارة لا الأشخاص، والأشخاص محمولون عليها أو فيها، ولذا **فالتعبير الصحيح هو: استقلت السيارة الوالد وأبناءه في رحلة.**

وقد نسي استعمال الفعل (استقل) بمعنى: حمل ورفع وكأن المثقفين بالعربية اليوم يستعملونه بمعنى (ركب) وهو استعمال لم يعرف عن العرب.

★ **ومثل ما سبق قولهم: أقلعت السفينة من الميناء.**

بمعنى: تحركت وسارت. والفعل (أقلع) على هذا المعنى لازم.

وهذا الاستعمال غير صحيح، فالفعل (أقلع) ـ حين يستعمل مع السفينة ـ يكون معناه: رفع ملاحها شراعها، فالذي يقوم بهذه المهمة هو ملاح السفينة، والقِلع ـ بكسر القاف ـ الشراع.

وعلى هذا فالفعل (أقلع) متعد، **وصواب العبارة ـ إذاً ـ أن يقال: أقلع الملاح السفينة.**

★ **يقولون: هذا الموضوع مهم للغاية:**

وهو تعبير لا يجري على نسق الاستعمال اللغوي الفصيح ويمكن تصحيح العبارة هكذا:

هذا الموضوع جد مُهم أو مُهم جداً أو بلغ الغاية في الأهمية، وهذه العبارات تفيد أن الموضوع مهم إلى درجة عالية عظيمة.

ففي المعاجم اللغوية: يقال: عالم جدُّ عالم ـ بالكسر ـ أي متناه بالغ الغاية، ومن معاني (الجد): العظمة.

وعلى هذا فلا حاجة تدعونا إلى استعمال الأساليب المولدة والدخيلة.

★ **يقولون: تماثل المريض للشفاء.**

وذكر كلمة (الشفاء) هنا لا قيمة لها لأن الفعل (تماثل) يدل عليها دون أن تذكر، ففي المعاجم اللغوية: تماثل العليل: قارب البرء، والبرء هو الشفاء نفسه **فالتعبير الصحيح أن يقال: تماثل المريض، دون ذكر كلمة (الشفاء) وبذلك يتحقق المعنى المراد.**

★ **ويقولون: أنجب أحمد أولاداً، ويقصدون أن الله تعالى رزقه أولاداً.**

وهنا كلمة (أولاد) في العبارة لا قيمة لها في أداء المعنى وحذفها من الجملة هو الصواب فيقال: أنجب أحمد فقط.

ففي المعاجم اللغوية: نَجُب، ككرم نجابة وأنجب: ولد النجباء ورجل مُنجبٌ وامرأة مُنجبة ومنجاب: ولدا النجباء، والنجيب: الكريم الحسيب.

فالإنجاب ـ هنا ـ خاص بالأولاد الكرام ذوي الطبع الأصيل، ولكنه أصبح عاماً فيمن يولد له أولاد نجباء كانوا أو غير نجباء، ولعل ذلك يستند إلى معنى آخر استعملت فيه مادة هذا الفعل حيث يقال: النَّجَبُ ـ محركة ـ لحاء الشجر أو قشر عروقها، أو قشر ما صلب منها، ونَجَبَهُ ينجُبُهُ، وينْجِبُهُ: أخذ قشره، فكما قال **ابن الأعرابي** يقال: أنجب الرجل: جاء بولد نجيب أو جاء بولد جبان، فالمعنى الأول من الفعل (نجُب) ـ ككرم ـ نجابة، والمعنى الثاني مأخوذ من (النَّجَب) الذي هو لحاء الشجر وقشره.

ثم أصبح المعنى عاماً في الإتيان بالأولاد نجباء أو غير نجباء.

الهوامش

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٥

يسعد مجلة « الفيصل » أن تفتح هذه النافذة الجديدة إلى جانب النوافذ الأخرى ، للإسهام في تسليط الأضواء على الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية من خلال إصدارات الكتب العديدة في مختلف فروع المعارف الإنسانية .. وذلك لإيمانها بفاعلية هذا الاهتمام الهادف إلى مد جسور جديدة بين الحركة الأدبية والعلمية في المملكة ، وبين القراء في الوطن العربي الكبير .

وقد استقطبت المجلة لتحقيق هذا الهدف أقلام النقاد والباحثين والدارسين في مختلف أقطار الوطن العربي .

ولكي نحقق ما نطمح إليه فإن الكتّاب والأدباء والمؤسسات الثقافية السعودية مدعوة للتعاون معنا بتزويدنا بنسخ من الإصدارات القديم منها والجديد .. والله الموفق .



● الكتاب : التقويم التربوي

● المؤلف : د . سعيد محمد بامشموس ، ود . السيد محمد خيري ، ويحيى محمد عبده مهنى

● الناشر : دار الفيصل الثقافية ـ الرياض .

يقع الكتاب في ستة أبواب :

أولها عن التقويم : مفهومه ومجالاته ، والتعاون فيه .. إلخ ، وثانيها عن الفروق الفردية .. وثالثها عن العمليات الإحصائية في عملية التقويم .. ورابعها عن إعداد الاختبار النفسي والتحصيلي .. وخامسها عن نماذج لاختبارات التحصيل .. وسادسها عرض للاختبارات النفسية ومقاييسها .

ولكن .. ما المقصود بالتقويم ؟

يجيب المؤلفون :

« التقويم عملية يقصد بها في هذا الكتاب إعطاء ظاهرة معينة أو شيء معين مادي محسوس أو سلوك شخصي قيمة محددة ، ويكون ذلك عن طريق استخدام الأدوات الموضوعية الدقيقة أو الرجوع إلى معايير ثابتة غالباً ما تكون نتيجة تجريب طويل .

وهذه العملية نحتاج إليها في جميع مظاهر الحياة المعقدة المتنوعة ، يحتاجها المدرس ويحتاجها الأب ، أو المربي ويحتاجها الصديق ، ويحتاجها الرئيس والمرؤوس ، ويحتاجها المدرب ، بل يحتاجها كل شخص منا في حياته اليومية كلما حاول العد أو القياس أو الوصف في كثير من الأحيان .

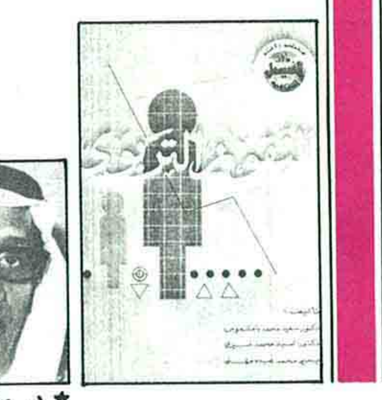
والكتاب الحالي قد أعد ليفي بهذه الأغراض مجتمعة ، فقد كتب ليناسب القارئ العادي ، كما زوّد بما يهم المتخصص ، وقد ركّز على العملية التربوية وما يكتنفها من عمليات التقويم ، فقد تناول تقويم التلميذ وأعماله الدراسية ومظاهر شخصيته ، كما تناول تقويم المدرس والمربي ومدى نجاح كل منها في العملية التربوية » .

وفي هذا الكتاب نجد المؤلفين يخرجون من تجاربهم التربوية التطبيقية بهذا الكتاب الذي لا يتصل بدارسي التربية فحسب . بل يتصل ، كما أوضح المؤلفون في مقدمتهم ، بوجوه عديدة من النشاط في المجتمع المعاصر .

ولعل في ذلك ما يتصل بما ندعو إليه دائماً ، وهو شدة اتصال الجامعة بالمجتمع ، ودورها الفعّال في تنميته وتطويره ، وتحسين الأداء فيه ، وأتصور أن المخططين فيما يضعون من خطط لا غنى لهم عن التقويم ، وأن التقويم ـ حينئذ ـ سيكون عماداً من عُمُد متابعة ما تمّ من الخطة ، وملاحقتها ، نحن إذن أمام مصدر من مصادر المعرفة التربوية يعدّ مصدراً من مصادر التنمية العلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، وهو ـ في الوقت نفسه ـ يؤكد أهمية اتصال الجامعة بمجتمعها ، ودورها في النهوض بأوج النشاط فيه .

وهنا ـ أيضاً ـ نجد المؤلفين قد جعلوا الكتاب مقدمة موجزة سبقت « الفهرس » أو المحتوى ، وفي ظننا أنها تلي الفهرس ، لأن المقدمة ـ في اعتقادنا ـ بمثابة النافذة التي تطلعنا على محتوى الكتاب ، وأنها مدخل علمي دقيق لفهم العمل العلمي والتعرّف عليه .

الشيء الثاني أنا نجد الكتاب قد خلا تماماً من الخاتمة ... ومَن قال إن أي





★ د. سعيد باعشموس ★

بحث يستغني عن وجود خاتمة تحدد نتائجه أو أبرزها، وتلخّص أهم ما وصل إليه الباحث من جديد، وهي بذلك تضع أيدينا على أمهات المسائل ورؤوس القضايا، ثم هي ترشد من يلي من الباحثين إلى ما وصل إليه السابقون، حتى يعرف من أين يبدأ ليعرف إلى أين اتجاهه.



● الكتاب: الشوق إليك (مسرحية شعرية).

● المؤلف: حسين عبد الله سراج.

● الناشر: تهامة - جدة سلسلة الكتاب العربي السعودي (٥٧)، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

يرى الشاعر حسين عبد الله سراج في تقديمه للشوق إليك أنه وقع تحت تأثير الشعور بالهوان، وذلك من جراء تنحيته عن المشاركة في المؤتمر الذي عقدته جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٣٩٤هـ، وقدّم عليه قوم أقصر منهم باعاً (ص ٩).

وكان ردّ الفعل - فيما ذكر الشاعر نفسه - تصميمه على أن يكتب مسرحية شعرية «إن لم تكن في مستوى مسرحية غرام ولادة - وهذا نصّ كلامه - فلن تقل عنها شأناً» عاقداً النية على أية حال على أن ينحو فيها منحى لم يتطرق إليه مؤلفو المسرحيات الشعرية!.

والطريف هنا أنه يجعل «غرام ولادة» نموذجه المفضل مع أنها في مجال الشعر المسرحيّ تحتاج إلى أن يحكم فيها غيره، لأنه مؤلفها، وبالقياس بما صدر عنه في «الشوق إليك» لا بد أن تفتقد الأبعاد الدرامية الأولية.

ونحن - هنا - لا نوئس الشاعر، ولا نحب أن نخاصمه؛ فهو حرّ في إيثار أعماله. غير أننا لم نجد في «الشوق إليك» ما يجعلنا نوافقه على أنه قدّم مسرحية شعرية بأي مفهوم من مفاهيم الفن، وليس يشفع له حرصه على أن «ينوّع» لغة شخوصه بهدف تحقيق الواقعية التي يستهدفها، أو الموضوعية التي فهمها فهماً حاد به عن الجادة، ولم يستطع قط أن يقنع أحداً بأنه جاد أو فاهم لمحاور الدراما وأفعالها على أي نحو من الأنحاء!.

والحقيقة أن «الشوق إليك» إن كان يجب أن ندرجها تحت أحد الأنواع الأدبية، فباعتساف كبير نزعم أنها «سيناريو» لأحد أفلام ليلى مراد أمام أنور وجدي، أو فريد شوقي بأقل تعديل.

على أن هذا السيناريو متوسط في جملته، وبعض وحداته - وسراج يسميها مشاهد ولا بأس - تتعاقب بطريقة ملحمية.. عفواً، أقصد بطريقة سردية قد لا تتضمن حواراً على الإطلاق! (نراجع على سبيل المثال المشاهد ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥) والزمن فيها مضطرب، ولو بعث أحد كلاسيكيي الدراما لبكى وحدات المسرحية الثلاث!.

وفي تصوّرنا أن الله تعالى لو كان قيّض مخرجاً لسيناريو «الشوق إليك» - حتى وإن يكن العقّاد ببذخه وفدائيته وقد اختار فريد شوقي بطلاً بدلا من أنطوني كوين - لعجز تماماً عن تنفيذ مشاهد المطاردات والعراك وكبسات الشرطة المصرية المعروفة وإضرام الحرائق التي لا تبقي على شيء.

يقول السيناريو المعدوم الوحدة والفاقد حظه الدرامي إن عامراً شيخ العشيرة - وله ابن اسمه خالد على وشك التخرج في كلية الحقوق القاهرية - يكتشف وهو في مضربه أن خطّاراً الذي قتل ابنه مهنّداً منذ عشرين عاماً لا يزال حياً يرزق. ولما كان الثأر ضرورة بدوية، فقد حق عليه أن يثأر،



★ حسين عبد الله سراج ★



وأرسل إلى بيروت من أوقع بخطَّار .

وفي أسره يشفع له خالد عند أبيه عامر ـ وكان في إجازة ـ وعندما يرجع معززاً مكرماً إلى بيروت في صحبة خالد قبل سفره إلى مصر ، يروَّع بأن قصره وابنته ليلى Lila قد أتت عليهما النيران . ولم يعرف أن ابن عمه فؤاداً ـ هارون فيما بعد ـ هو الفاعل ، وكان يلح في مطاردة ليلى ؛ لأنه يحبها مع أنه في سن أبيها .

وفي مواقف عدة وبخاصة عند الأزمات يترقرق صوت ليلى بالغناء ـ وكانت تلك منة من الله ـ لأنها بعد الحريق سافرت إلى القاهرة بصحبة خادمها الأمين . وهناك وبعد كارثة لا غناء فيها ، تصبح ليلى مطربة الوادي ضحى ! وتشاء المصادفات أن ينجح فؤاد في الهرب إلى القاهرة ليلتقيها ، ولكن بعد أن تقع في هوى خالد .

وفيما يعود خطَّار إلى عامر ، يتوج ابن عمه فؤاد باسم هارون مهرباً ومجرماً من طراز نادر ، ثم يختطف ضحى أو ليلى لكي يبحث عنها خالد مع الشرطة بعد أن يتخرج ويرسل لأبيه يسأله حضور حفل التخرج .. فيلبي هذا طلبه ، مستصحباً خطاراً .

وفي مطار القاهرة تنتهي مشاهد السيناريو بلم شمل الجميع ، لكننا نراجع معاً المشاهد الأربعة الأخيرة : ٥٣ ، ٥٤ ، لا حوار فيهما قط ثم المشهدان الخامس والخمسون :

فؤاد (هارون) : خالد مات يا ضحى وأبوك
مات من قبل في دياجي المصير

ضحى : خالد قد قتلته .. يا لبؤسي
رب رحماك في المصاب الكبير

فؤاد (هارون) وقد اقترب منها : إن تزوجتني نجوت وإلا
صرت حتماً إلى المصير المرير

(لرفاقه) : اربطوها واجلدوها
ومن الزاد احرموها

أحد الرفاق : داهمنا البوليس

فؤاد : يا للهول
هيا اسرعوا ودافعوا

(لنفسه) : يا دلّي !

ضحى : الحمد لله نجاني وكنت على
وشك الهلاك بأيدي المجرم العاتي

(للحاضرين) : شكراً لمن أنقذني من مخالبهم
ومن كرب وويلات

وأما المشهد السادس والخمسون في المطار ويجري هكذا :

ضحى : بابا ...

خطار : إلهي لك الحمد الجزيل على شمل جمعت

خالد : أليلى أنت ...

ليلى : بالذات

وتنتهي المسرحية أو ما سمَّاه سراج ذلك ، مع أنه أحد خريجي جامعة بيروت التي يفترض أنها أطلعته على تاريخ الدراما وطريقة كتابتها . ومن أجل ذلك تساءلنا : لماذا يفترض أن تكون « غرام ولادة » مسرحية ناجحة يحتذيها ؟ .

لقد كتب نجيب محفوظ ـ كما كتب الحكيم ـ المسرواية ، فلماذا لم يتواضع شاعرنا سراج ويسمي ما سميناه سيناريو مسرواية على سبيل التوسع ! .

وربما كان قميناً بإقناعنا على أساس أن هذا الفن له أصول يعتمد بعضها الدراما من ناحية والرواية Novel من ناحية أخرى . بمعنى أن الحبكة Plot في المسرواية ـ وهي ليست العقدة بكل تأكيد ـ تقضي بجمع بين معماري المسرحية والرواية ، ومع ذلك فإن هذا صعب على من يكتب « الشوق إليك » .

وأما ما بعد ذلك من قبيل وي شيري ٦٤ ويا مسيو ٧٣ وسل البيسين ٧٣ وسيبوني أدشدش العظم منه ١٠٠ وإلا كان حد ١٠٩ وادعها تجلس معانا ١١٨ فشيء فظيع في أي عمل أدبي فما بالك بالشعر العظيم سمة المسرح الشعري ؟ عدا الأخطاء اللغوية التي تتناثر هنا


★ شكيب الأموي ★

وهنالك، وفي صفحات ٧٤، ٧٧، ٩٥ نماذج مؤسية لمقولة شعبية هي: سمك لبس تمر هندي!.



● الكتاب: رعب على ضفاف بحيرة جنيف.
● المؤلف: شكيب الأموي.
● الناشر: تهامة - جدة/ ط١ (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، (١٨٨ صفحة).

يؤكد المؤلف - في الأسطر القليلة جداً لتقديمه الكتاب - أن رحلته إلى جنيف، لحضور مؤتمر مكافحة الشيوعية الثالث عشر ما بين ٢٥ و ١٩٨٠/٧/٢٧م، كانت رحلة شاقة متعبة، فكراً وعملاً وتنقلاً ونقاشاً واستماعاً وكتابة وخطابة.. لكنه سينجح في جعل قارئه متجاوباً مع معاناته بلا ملل. لذلك، يخرج القارئ من (تقديم) المؤلف حاملاً فكرة واحدة هي أن الكاتب الأموي يثق بنجاحه سلفاً في امتلاك مشاعر ووجدان وذهن القارئ.

على أن القارئ سيتساءل كيف سيتسنى للمؤلف أن يحوّل خطب المؤتمرات إلى مادة شيقة ممتعة. وإن ذلك ممكن إذا كان الكاتب ضليعاً في فن أدب الرحلات.

ولقد سبق للكاتب الأموي أن مارس هذا الفن، وكتب رحلة مستفيضة إلى الشرق الأقصى، ولقد سبق للكاتب الأموي أن مارس هذا الفن، وكتب رحلة مستفيضة إلى الشرق الأقصى، وكان مضمونها السياسي والوطني والقومي والديني هو السائد على العناصر الفنية والذاتية لأدب رحلته.

وسنجد أن ذات المضمون هو ما يمثل هاجس الكاتب، الأول والأخير، في رحلته هذه إلى جنيف. لكنه سوف لا يحرمنا التمتع بالأخبار والأحوال، والأفعال التي يُنَفِّسُ من خلالها عن ذاتيته وشخصيته.. كميزة تكسب أدب الرحلات تشويقاً وجاذبية.

وإن كانت ضئيلة جداً في رحلته، ولا تتجاوز الصفحات العشر الأولى من كتابه، إذ سرد لنا بحيوية وحرارة (فكرة الدعوة للمؤتمر)، ثم تداعي الخواطر ليقف بنا عند مؤتمرات خمسة أخرى: في تايوان مرتين، وفي الفيليبين - مانيلا، وسايغون في فيتنام، وسيول بكوريا. ليصل إلى جنيف بعد محطات نفسية وميدانية، نرى - من خلالها - ذاته تشف لنا بوضوح حتى (حفلة الافتتاح)، ليصف لنا قاعة المؤتمر، وعدد الوفود، وبخاصة العربية والإسلامية، يمثلون عُشر أعضاء المؤتمر، أي اثنا عشر عضواً، وقد تفاهموا على قرارات ثلاثة تهمهم. ثم يصف العرض وما صاحبه من موسيق وتصفيق.

وتبدأ كلمات المندوبين، فيسمعنا المؤلف أصواتهم تباعاً. يدعو صوت مندوب أرجواي إلى «أن نكون كلنا جنوداً نكافح الشيوعية أينما كانت.. فالشيوعية لها هم واحد هو الاستيلاء على السلطة في أي بلد تستطيع التسرب إليه». وصوت الرئيس الفرعي لمؤتمر مكافحة الشيوعية العالمي الصيني (كوشنغ كنغ)، ثم رئيس مؤتمر جنيف السيد (بيتر شفرلي)، ورئيس الرابطة السويسري الذي قال: «لن نوقف النضال حتى يتحرر العالم من الماركسية»، ثم يتقدم الجنرال (دافيد جيروس) من أميركا اللاتينية ليقول: «لا نريد الموت.. ولكن المسحوقين يريدون الدفاع عن أنفسهم، وهم الآن يمثلون قوة هذا المؤتمر، وطنيتنا ومثلنا وكلنا ضد الشيوعية، وعلينا أن نحاربها». ثم يرقى المنصة الجنرال (روبرت كلوس) وهو بلجيكي من الناتو، ويتكلم عن السوفييت في ستين سنة، وبحريتها المتضاعفة، وكيف رد هجوم المعتدي وتحديه. ثم تلاه المندوب الأفغاني الدكتور (همايون شاه عسيفي) الذي يقول: «لم يحتل السوفييت أفغانستان إلا لإدخال أيديولوجيتهم إليها، إن ٨٩٪ من السكان مسلمون..

والإسلام يرفض الأيديولوجية السوفييتية» ويدعو إلى إعلان الجهاد.

ثم كلمة الدكتور (فتحي تيفتجلو) أول المتكلمين عن الشرق الأوسط والأمين المساعد لمنظمة المؤتمر الإسلامي في جدة، وقد أعطى نصف وقته المقرر إلى السيد شكيب الأموي الذي يلقي كلمته باللغة الإنجليزية، ومما يقوله: «ويقول الخبراء: إنه لاحد لمطامع السوفييت، ولا تراجع عندهم، لأنه ليس هناك مقاومة تذكر.. إن ترك الفلسطينيين دونما هوية، ودون حق تقرير مصيرهم، ثم ترك لبنان هو أكبر غلطة للغرب.. بل أكبر أخطاء التاريخ».

وتستمر كلمات الوفود الأخرى على هذا النمط من الحماس، والخوف والرعب من الخطر الشيوعي، ووضع حد لأطماعه.

وقد يتجاوز المؤلف المؤتمر، وكلمات وفوده، إلى تضمين كتابه بموضوعات ومقالات قرأها في الصحف السعودية كعكاظ والشرق الأوسط، أو في المجلات العربية كالحوادث والأسبوع العربي، أو مقالات أخرى لم يذكر سوى كتّابها، أو مقالات مجهولة الكُتَّاب.. ولكن كلها تصب في مضمون الكتاب.

وقد يستحيل علينا أن نعثر في كتاب الأموي - عبر تلك المعلومات والأفكار الغزيرة عن الماركسية والشيوعية والسوفييت، ومجابهتها من قبل إنسان هذا العالم الذي يسعى إلى حريته وسلامه - على وقفة يستروح فيها القارئ مع الكاتب وذاته، ومع الجو الأدبي الممتع.. إذ أثقل قارئه بتلك الأفكار، التي ليست جديدة على القارئ، لأنها من هموم العصر السياسية، ويسمعها يومياً في مجالها الطبيعي من الإذاعة والصحف والمجلات.

غير أننا نعثر في أمكنة محددة جداً - غير الصفحات الأولى للكتاب التي ذكرناها - على بعض المتع الفنية والأدبية حين يصف بعض نماذج الخطباء، كوصفه لمندوب أفغانستان الذي كان شاباً أفغاني السمات، حاد النظرات، حركاته بين تواضع واعتزاز... أو شخصية (الطبيبة الجكور) الأمريكية، التي تلبس ملابس غريبة مضحكة، وتضع المساحيق على وجهها بشكل كثيب، أو حفلة الوداع الأخيرة - التي مر عليها مروراً عابراً - وقد استمع فيها الوفود بعد العشاء إلى الموسيقى التي تصدر عن آلات عجيبة غريبة كلها من فيتنام.

إلا أن هدف الكاتب من كتابه هو إبراز الأهداف العربية والإسلامية والوطنية، ودور المملكة العربية السعودية في مثل تلك المؤتمرات، من تعزيز الوفود العربية والإسلامية، ودعم صفوفهم ومكتسباتهم. كما انطبعت الأفكار التي طالعناها بطابع كاتب مخلص لبلده وأمته ودينه.





الاتجاه التعبيري في المسرح عند "إيلمر إيبسن"

رخاء اقتصادي زاحف، تيار وضعي ومادي جارف، تقدم علمي وصناعي مذهل، تضخم لا مزيد عليه في النزعات القومية والوطنية، واستعمار لا يبارى في تحكمه في ثروات الشعوب. تلك هي صورة أوروبا في مطلع القرن العشرين، أو أهم ما يميز تلك القارة في ذلك التاريخ.

ولكنها صورة لم يطمئن لها الضمير الأوروبي ولا ارتاح لها العقل والوجدان لأنها صورة كاذبة وليست صادقة، صورة مهزوزة وليست ثابتة، صورة رسمتها المدينة الغربية الزائفة التي حاولت أن توهم البورجوازية الأوروبية بأنها إنما تحيا حياة المدينة الفاضلة، التي تحدث عنها أفلاطون كما تحدث عنها فرنسيس بيكون وجورج مور!.

بقلم: جلال العشري

★ برناردشو ★

★ كافكا ★

★ رامبو ★

★ إبسن ★

الاتجاه التعبيري في المسرح عند إيلمر رايس

لذلك لم يكن عبثاً أن انتفضت الطليعة الرائدة من المفكرين والمثقفين تعلن احتجاجها على استخدام الآلة ذلك الاستخدام غير الإنساني، الذي طمس معاني القيم الأخلاقية النبيلة، والمثل العليا السياسية، وأشعل نيران **الحرب العالمية الأولى**، التي جاءت مآسيها الحادة وتجاربها المريرة تأكيداً لما تخوف منه الضمير الأوروبي، وما احتج عليه الأدباء والشعراء.

نعم.. لم يكن **بودلير** في ديوانه «**أزهار الشر**» إلا صيحة من صيحات الاحتجاج، كذلك كان **رامبو** في «**سفينته السكرى**»، وكان **نيتشه** في فلسفته الأخلاقية.

كل هؤلاء، كانوا تعبيراً عن موقف الرفض الذي التزمه المثقفون تجاه تلك المرحلة المريرة والقصيرة من حياة العقل الأوروبي في مطلع القرن العشرين.

مريرة لما رأيناه فيها من أهوال وويلات، وقصيرة لأنها لم تدم طويلاً، ولأن نهايتها جاءت سريعة خاطفة، أسرع مما تسمح به قوانين الميلاد.. والحياة.. والموت!.

فمن الطبيعي أن يكون الرفض والتمرد ملازماً للتبشير بشيء جديد، يحل محل الانهيار في القيم والتصدع في المبادئ والسقوط في الأخلاق، ويؤكد النزعة الإنسانية الضائعة، بحثاً عن فردوس بشري جديد، وكان هذا بعينه هو ما حاولته التعبيرية!.

نشأة التعبيرية

وهذا معناه أن التعبيرية حركة فنية واسعة لا تقتصر على فنون الأدب من شعر ونثر بل تمتد لتشمل فنون التعبير من موسيقى وتصوير، وليس أدل على ذلك من فنانين وشعراء وكتّاب كبار مثل **كاندينسكي** في التصوير، **وشونبرج** في الموسيقى، **وتراكل** في الشعر، **وكافكا** في القصة، **وأونيل** في الدراما، وغيرهم ممن ينطبق عليهم وصف التعبيرية، وإن تجاوزوا حدودها الضيقة التي حددها نقاد الفن التشكيلي تمييز الرسم الجديد عن الرسم التأثيري الذي كان شائعاً في ذلك الحين.

فالتعبيرية إذن فلسفة أزمة، وصرخة احتجاج، ودعوة إلى إنسانية جديدة، أزمة الانسحاق تحت عجلات النزعة الآلية، واحتجاج على القيم النفعية والأخلاق المادية، ودعوة إلى الإنسان الحر، الذي يعيش من أجل المجتمع، يحس آلامه، ويستشعر عذاباته، ويشارك في همومه، ويتطلع إلى أشواقه، وينخرط في سلك التضامن البشري.

وهذا ما عبَّر عنه **هرمان بار** ناقد التعبيرية الأول بقوله: «ها هي ذي المحنة تصرخ، الإنسان يصرخ بحثاً عن ذاته، العصر كله أصبح صرخة واحدة تنطق بالمحنة. إن الفن كذلك يصرخ معه، يطلق صيحته في أعماق الظلام، يستغيث، يستنجد، ينادي بالإنسانية الجديدة، وهذه هي التعبيرية!».

التعبيرية في المسرح

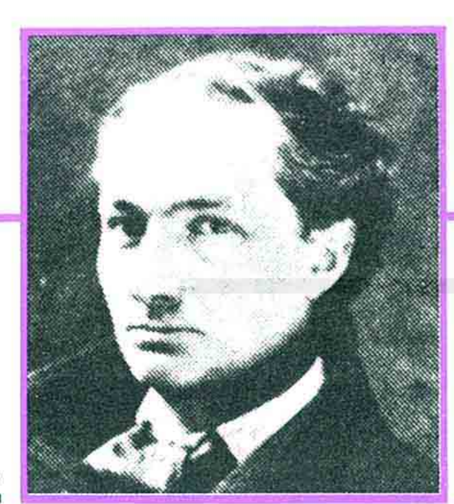
ومهما يكن من انتشار التعبيرية في سائر فنون التعبير، إلا أن الدراما أو المسرح، كانت هي الأقدر على استيعاب هذا الاتجاه، وعلى تمثله وتمثيله في ذات الوقت، وخاصة بعد أن ظهرت مسرحيات الكاتب الألماني **فرانك ويدكايند** في الفترة ما بين عامي ١٨٩١ و ١٩٠٦ م، وكان لها ما كان من تأثير بالغ على المسرحين الأوروبي والأميركي على السواء، إذ أرغمت كتّاب المسرح في القارتين معاً على أن يقتفوا أثرها، وخاصة في استعمالها الأقنعة لأول مرة منذ المسرح الإغريقي والروماني القديم.

هذا بالإضافة إلى استعمال الرموز المختلفة التي تعطي المسرح أكبر شحنة من الانفعال الوجداني، وأكبر جرعة من التكثيف الدرامي، والتي تعتمد بدورها على المونولوج أو المناجاة النفسية التي تلقيها الشخصية من حين لآخر، لكي تعبِّر عن مكنونات نفسها بعيداً عن قيود الحوار المباشر أو المونولوج التقليدي.

وبالإضافة أيضاً إلى الاعتماد على تقديم نماذج عامة تحمل أسماء عامة، كالابن، والزوج، والأب، والمجهول، والشحاذ، والشاعر، والصديق، والمرأة، والفتى، والفتاة، وهو، وهي... إلخ، وكلها تنطق بمشاعر الكاتب، وتعبِّر عن آرائه وأفكاره، وتطرح مضامينه وقضاياه، بدلا من الشخصيات الفردية التي تستلزم البناء التقليدي المتطور تبعاً لتطور مراحل الحدث.

على أن عرض الأفكار والمشاعر عرضاً مجرداً، يؤدي بدوره إلى التحرر من قيود الوحدات الثلاث المشهورة التي قال بها **أرسطو، وهي الزمان والمكان والحدث**، كما يؤدي كذلك إلى تصوير ما كان يبدو صعباً أو مستحيلاً، كالحلم والرؤية والأسطورة وهواجس النفس وشطحات الخيال.

وهذا معناه ضرورة توظيف كل فنون



★ بودلير ★

العرض المسرحي من ديكور وإخراج وإضاءة وملابس ورقص وموسيقى وإلقاء ، توظيفاً من شأنه إثارة وجدان المتفرج ، وإقناعه بالدعوة الجديدة إلى الإنسانية الجديدة .

غير أنه إذا كانت مسرحيات الكاتب الألماني **فرانك ويدكايند** لم تحقق من النضوج الدرامي ما يدخلها ضمن روائع التراث المسرحي العالمي ، واقتصرت على دورها الريادي في إبراز الاتجاه التعبيري الجديد ، فقد استطاع معاصره السويدي **أوجست سترندبرج** أن يحقق هذا النضوج ، وخاصة في مسرحياته الشهيرة « **الطريق إلى دمشق** » ١٨٩٨ م ، و « **الحلم** » ١٩٠٢ م ، و « **سوناتا الشبح** » ١٩٠٧ م ، وهي المسرحيات التي استطاعت أن ترسي تقاليد الدراما التعبيرية من خلال الإبداع الدرامي والوعي الفني ، وليس من مجرد التطبيق المباشر لاتجاهات محددة وآراء مجردة ! .

وقد نذكر أسماء عديدة أسهمت إسهاماً حقيقياً في ترسيخ الاتجاه التعبيري وإبراز ملامحه ، مثل الكاتب الألماني **كارل شتير** ١٨٧٨ ـ ١٩٤٢ م ، صاحب مسرحيتي « **السراويل** » ، و « **المتحذلق** » ، اللتين سخر فيهما من المجتمع البورجوازي ومن أخلاقه النفعية ، وكذلك الكاتب الشهير **جورج كايزر** ١٨٧٨ ـ ١٩٤٥ م ، الذي ملأ المسرح الألماني في العشرينات ، واشتهر بمسرحيته « **من الصباح إلى منتصف الليل** » ذات المضمون الاجتماعي الجريء .

ومن بعدهما نذكر الكاتب العملاق **إرنست تولر** ١٨٩٣ ـ ١٩٣٩ م ، صاحب مسرحيات « **الإنسان والجماهير** » ، و « **محطمو الآلات** » ، و « **العدالة** » ، وغيرها من المسرحيات التعبيرية التي أعلن فيها الحرب على الحرب ، وعلى سيطرة الآلة على الإنسان ، ودعا فيها إلى نظام إنساني يحقق السلام للكل والعدالة للجميع .



★ يوجين أونيل ★

التعبيرية في أمريكا

وكما شاعت التعبيرية ولاقت رواجاً كبيراً في أوروبا . . الغربية والشرقية ، فقد شاعت كذلك ولاقت مثل هذا الرواج في **القارة الأمريكية** ، فما إن قدم الكاتب المسرحي **جون هوارد لوسون** مسرحيته « **موكبي** » ١٩٢٥ م ، حتى سرت النزعة التعبيرية في كيان المسرح الأمريكي ، وهي مسرحية مؤثرة دون نزاع يقدم فيها **لوسون** ، على أنغام موسيقى الجازبند ، وبلهجة مريرة ساخرة ، معركة دامية بين أصحاب أحد المناجم الذين تؤيدهم الشرطة ، ومجموعة من العمال .

وتدور المسرحية حول شخصيات رمزية ، « **ساري كاهان** » ، المرأة الجميلة الغاضبة ، و « **ديناميت چيم** » الرجل الذي أحبها وتزوجها ، وطفلها الصغير زعيم العمال في المستقبل ! .

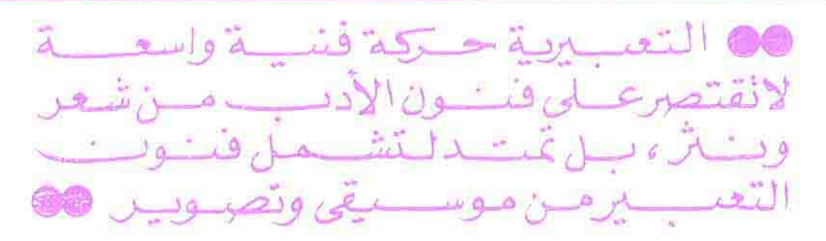
وعلى الرغم من عدم نضوج الفلسفة الاجتماعية للمسرحية ، وسخافة عدد من مشاهدها العديدة ، إلا أن المسرحية تشع بالإحساس الصادق ، والحماس الدافق مما يجعلها قوية التأثير .

ومسرحية « **النزعة الآلية** » ١٩٢٨ م ، للكاتبة **صوفي تريدويل** ، تستحق الذكر هي الأخرى ، وإن كانت أكثر نضوجاً ولكنها أقل تأثيراً من مسرحية « **موكبي** » فهي مثل رائع للتعبيرية ، تبحث فيها البطلة المسماة ببساطة « **المرأة الشابة** » عن الحب دون جدوى وسط عالم الآلات والتجارة ! .

وربما كان **إيلمر رايس** هو أبرز كتّاب التعبيرية الأمريكية وأكثرهم أهمية فعلى يديه تبلورت ملامح هذا الاتجاه ، واكتسب أبعاداً أثرى وأرحب ، فعندما استولت الصيغة التعبيرية على خياله ، الدائم التطلع ، أدى ذلك كما يقول **الأردايس نيكول** إلى نتائج أعظم . هذا بالإضافة إلى أنه ينتمي إلى تلك المجموعة القوية من أدباء المسرح الشبان ، التي هيأت الجو لظهور **يوجين أونيل** رائد المسرح الأمريكي الأول ، وذلك في الفترة المحيطة بالحرب العالمية الأولى .

وقد اقترن اسم **إيلمر رايس** باسم **يوجين أونيل** في تاريخ المسرح الأمريكي ، على أنهما من طلائع الدراما والتعبيرية في الولايات المتحدة ، وخاصة بعد أن عرضت مسرحية « **الآلة الحاسبة** » عام ١٩٢٣ م ، أي بعد عام واحد تقريباً من عرض مسرحية **أونيل** الشهيرة « **القرد الكثيف الشعر** » .

وكان المسرح الأمريكي قد شهد موجة من الاحتجاج والسخط العام ، على المسرح التجاري السائد في مطلع القرن العشرين ، أسفرت عن تكوين عدة جمعيات من المهتمين بالفن



المسرحي ، كانت تقوم بعرض مسرحيات **إبسن وسترندبرج وبرنارد شو** ، وغيرهم من كتّاب الطليعة الأوروبيين .

وما إن انفض شمل هذه الجمعيات بدخول أمريكا الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م ، حتى عادت بعد الحرب من جديد ، أشد حماساً وأوفر نشاطاً وأكثر قدرة على التعبير والتأثير . وكانت أهم هذه الجمعيات جميعاً «**جماعة رابطة المسرح**» التي قدمت مسرحية «**الآلة الحاسبة**» **لإيلمر رايس** ، ١٩٢٣م ، فكانت أول مسرحية أمريكية طليعية يقدمها مسرح الرابطة ، كما كانت أهم مسرحية ناضجة تضع أساس المسرح التعبيري في أمريكا .

شخوص رقمية

والمسرحية بتعبير زاخر بالتهكم اللاذع والسخرية المريرة من مظاهر الحياة الآلية الحديثة التي أحالت البشر إلى مجرد كائنات تعد بالأرقام وأحياناً بالأصفار ، فبطل المسرحية رجل عادي يدعى «**مستر صفر**» ، وزوجته «**السيدة صفر**» ، ونفس الألقاب تطلق على باقي شخصيات المسرحية ، فتقابل «**مستر واحد**» وزوجته و«**مستر اثنين**» وزوجته ، وهكذا بالترتيب العددي حتى نصل إلى «**مستر ستة**» وزوجته ! .

هذه الشخصيات جميعاً عبارة عن كائنات بائسة وأيضاً يائسة ، فحياتها بلا معنى سواء على المستوى العقلي أو العاطفي ، فكل منهم لا يزيد في قيمته الشخصية على الدلالة التي يوحي بها اسمه ، انطلاقاً من مستر صفر ، مروراً بباقي الشخصيات التي تدور حوله ، ولا تعدو أن تكون مجرد سلسلة من الأرقام .

ومستر صفر هذا كاتب حسابات قضى في خدمة المتجر الذي يعمل فيه ٢٥ عاماً ، أي ربع قرن من الزمان ، وكل ما يتمناه أن يكافئه صاحب العمل على هذه الخدمة المتصلة برفع راتبه الشهري ، لقد قضى حياته في مكتبه الخانق بين الملفات والأقلام ، لا يعيش الحياة بل يسمع عنها من خلال صفحة الحوادث في الجريدة اليومية ، فحياته تسير على وتيرة واحدة من السلوك الاجتماعي التقليدي ، حيث المسخ والضياع واللامعنى .

ولكن صاحب العمل على الوجه الآخر من الموقف يفكر في استبدال مستر صفر وأمثاله من الكتبة ، بآلات حاسبة لا تقع في نفس الخطأ الذي يقع فيه أمثال هؤلاء البشر ، فكل ما يهمه هو زيادة ربحه المادي ونجاحه الاجتماعي ، بصرف النظر عن هؤلاء التعساء الذين أفنوا حياتهم في خدمته .

ويستدعيه صاحب العمل للمثول أمامه في مكتبه ، فيسعى إليه والبشر يملأ كل جوانحه ، أملاً في العلاوة ، وطمعاً في رفع راتبه ، ولكن الرجل يخبره بفصله من العمل والاستغناء عن خدماته ، وإذا بالأرض التي يقف البطل عليها تميد من تحت قدميه ، وتدور في جنون مترنح ، لكي تعبّر عن الدوامة التي تعبث بعقل البطل ، وتحيله إلى ريشة في مهب الريح .

لقد اتحد صاحب العمل مع الآلة الحاسبة في عصر واحد ، عصر المادة والآلة الذي قضى على إنسانية الإنسان ، وأفقده كل صفاته الذاتية ، وجعله مجرد قطرة في بحر هادر الأمواج .

ويمضي مستر صفر إلى قدره المحتوم ، يعاني صراعاته الداخلية وأزماته النفسية غير ناقم لا على المادة ولا على الآلة ، ولكن على صاحب العمل الذي يكتفي بالاعتذار له عن طرده من الخدمة بعد كل هذا العمر ، فيقذفه بفاتحة الأوراق ، ويمضي إلى حال مصيره .

وتجيء محاكمة مستر صفر نوعاً جديداً من المحاكمة ، فهو لا يدافع عن نفسه أمام هيئة محكمة بالمعنى التقليدي ، ولكنه يلقي مونولوجاً طويلاً أقرب ما يكون كشفاً لتاريخ حياته ، وأعماق نفسه أمام جمهور المتفرجين .

وكل التطور الذي يطرأ على شخصيته في نهاية المسرحية ، هو أن يحلم بسعادته في العمل على آلة حاسبة ، بعد أن كان هو نفسه آلة حاسبة ! .

وعلى الوجه الآخر من شخصية مستر صفر في عالم الرجال ، تطالعنا شخصية **الآنسة ديزي** في عالم النساء ، فهي مثله حبيسة الأوراق والأقلام ودفاتر الحساب ، أو هي نموذج للموظفة الروتينية البليدة التي لا تنظر إلى ما هو أبعد من مكتبها ، وتعيش على هامش الحياة ، تحب زميلها ولكنها لا تجد في نفسها القدرة على إعلان هذا الحب ، وهو الآخر يبادلها الحب ولكنه لا يجرؤ على التقدم إليها لأنه لا يلقى منها أي تشجيع .

وهكذا يعيشان متلاصقين أحدهما إلى جوار الآخر ، لا يفصل بينهما في الظاهر إلا عرض المكتب ، ولكن الذي يفصلهما في الواقع جدار سميك من الخوف والتردد وفقدان الإرادة ، ويموت الحب مختنقاً في غرفة البيروقراطية الكئيبة ، دون أن يغادرها إلى الخارج ، إلى حيث الهواء الطلق والمكان الفسيح .

ولا ترجع قيمة هذه المسرحية إلى



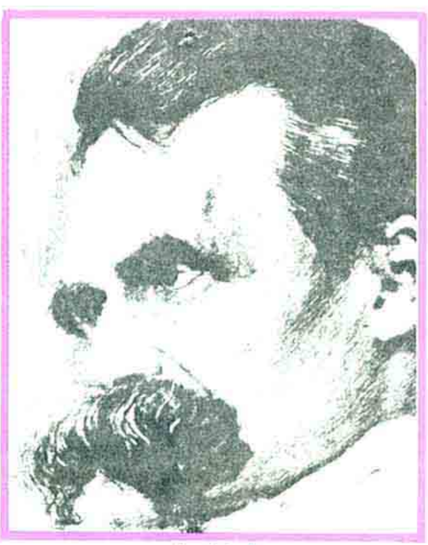
موضوعها ، وهو الموضوع الذي كان ولا يزال مطروقاً منذ أواخر القرن الماضي ، ولكن قيمتها في الشكل الذي ابتكره **إيلمر رايس** ، وجعله وعاء يصب فيه هذا الموضوع ، ولعل أبرز ملامحه أسلوب المونولوج الداخلي الذي يسمح للشخصية بالتعبير عما يجيش بصدرها أمام الجمهور ، والذي جعل **فيليب مولر** مخرج المسرحية ، يقول عنها في مقدمة طبعتها الأولى :

«إن المنهج التعبيري ساعد المؤلف على إفراغ كل الشحنات العاطفية التي كانت تجيش في صدور شخصياته ، فكشف بذلك عنها ، كما تكشف أشعة إكس عن التكوين غير المرئي للأشياء» .

وكان **إيلمر رايس** قد كتب قبل هذه المسرحية ، مسرحيته الأولى **«المحاكمة»** ١٩١٤ م ، وهي مسرحية ميلودرامية تعتمد على الموقف المثير ، استوحاها من محاكمة المتهمين في **حريق الريشتاج الشهير** ، وأفاد فيها من دراسته القانونية ، فأحال خشبة المسرح إلى قاعة محكمة ، وأدار الصراع بين الدفاع والادعاء لا بالشكل التقليدي ، القائم على الديالوج المنطقي ، الذي يستخرج النتائج من المقدمات ، ولكن باستخدام أسلوب **«الفلاشباك»** ، أو العودة إلى الماضي ، لاستعادة الأحداث المرتبطة بالموقف الراهن الذي تعيشه الشخصية ! .

وهو الأسلوب الذي استخدم كثيراً في السينما العالمية فيما بعد ، حتى أصبح شائعاً فيها في الوقت الحاضر .

وفيما بعد مسرحية **«الآلة الحاسبة»** ، كتب **إيلمر رايس** رائعته المسرحية **«منظر من الشارع»** ، عام ١٩٢٩ م ، التي حققت نجاحاً باهراً وحصل بها على **جائزة بوليتزر الأميريكية** ، وفيها يقدم صورة حية نابضة لحياة المهاجرين من شتى الجنسيات ، الذين يعيشون على هامش المجتمع الأميريكي .



★ نيتشه ★

وتدور الأحداث في مدخل وواجهة عمارة شعبية في حي فقير في **نيويورك** حيث يعيش هذا الخليط البشري من التعساء ، يعانون القلق ، ويجترون التوتر ، ويخوض بعضهم في سيرة البعض الآخر ، حتى يتعرى الجميع ، وحتى تتفجر لحظة العنف التي لا تخمدها إلا الجريمة .

ولم يكن **إيلمر رايس** يستهدف بمسرحيته مهاجمة الأرستقراطية الأميريكية ، وإنما كان هدفه إظهار العطف على المهاجرين من إيطاليين وأيرلنديين وسويديين ، والدعوة إلى احترام كرامة الإنسان وكبريائه بصرف النظر عن دخله المادي أو مركزه الاجتماعي .

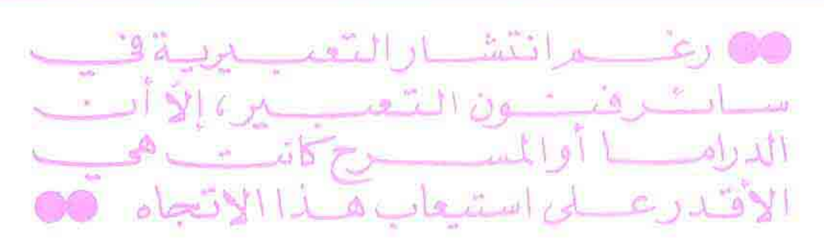
لذلك كان من الطبيعي أن يغزو **إيلمر رايس** بمسرحه العالم المتحضر ، وأن يستولي على قلب الدنيا الجديدة ، وأن ينظر إلى هذا المسرح على أنه موجه إلى الإنسانية جمعاء .

وكان من الطبيعي أيضاً أن يظل **إيلمر رايس** يعزف على هذه النغمة ، فيكتب في عام ١٩٣٣ م ، مسرحية **«نحن بشر»** وأن يكتب بعدها بعام واحد .. عام ١٩٣٤ م ، مسرحية **«يوم النطق بالحكم»** .

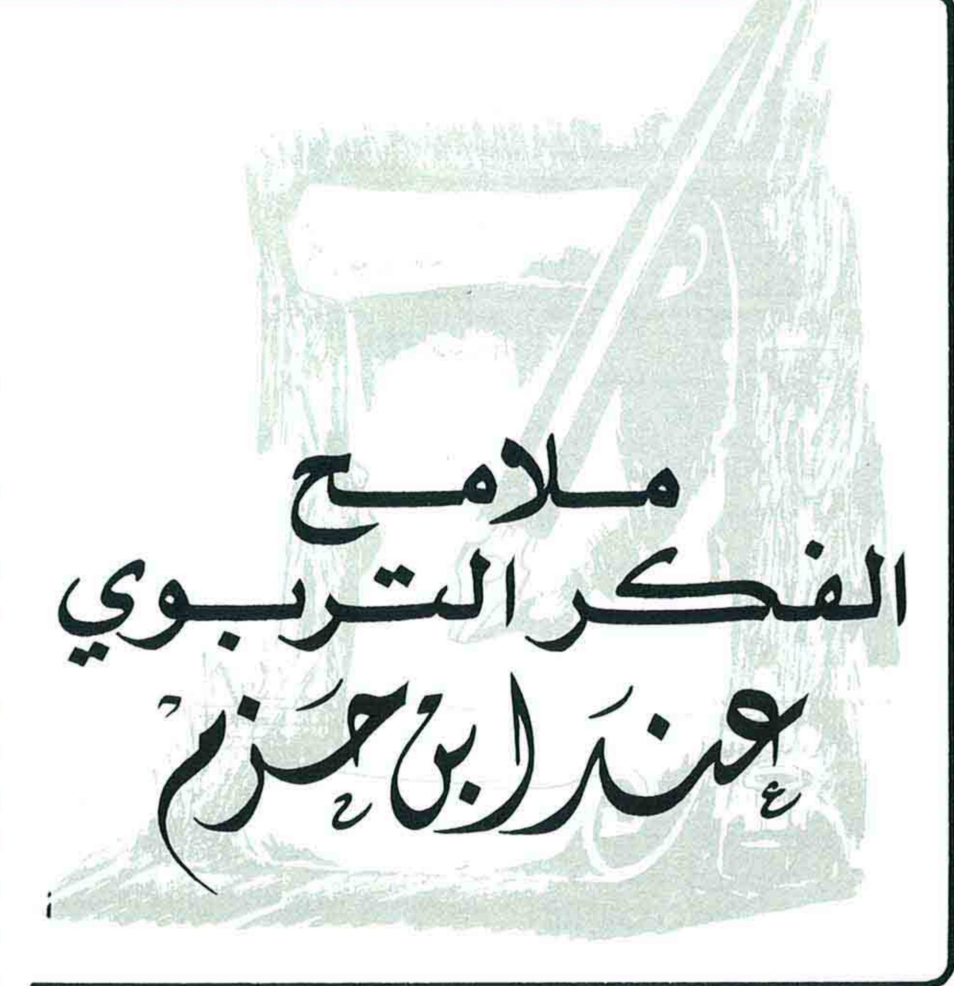
وبعدهما كتب مسرحيتيه **«منظر أميريكي»** ، ١٩٣٨ م ، و **«حياة جديدة»** ١٩٤٣ م ، وفيهما يجسد الصراع بين المثالية الإنسانية وبين المادية الاجتماعية ، وكيف أن الهروب من المجتمع الأميريكي لا يعني الهروب من الحياة المادية ، لأن هذه الحياة الأخيرة هي التي أصبحت تسيطر على العالم كله ، إنها طابع العصر ! .

إلى أن كتب **إيلمر رايس** أكثر مسرحياته جرأة في استخدام **«الحيل المسرحية»** ، وأشدها براعة في استخدام التكنيك المسرحي ، فجاءت مسرحية **«اثنان في الجزيرة»** ١٩٤٠ م ، ثم **«فتاة الأحلام»** ١٩٤٥ م ، تعبيراً قوياً صارخاً عن بلوغه النضج الفني في استخدام المسرح التعبيري ، فقد رفع في هاتين المسرحيتين الحواجز بين المسافات .. بين الماضي والحاضر ، بين الحلم والواقع ، بين الشعور واللاشعور ، وأخيراً بين الزمان والمكان ، وبذلك فتح الطريق واسعاً وطويلاً أمام ما عرف فيما بعد بـ **«المسرح الحي»** ! .

وهي الحقيقة الحية التي دونها تاريخ المسرح ، لا في أميريكا فحسب ، بل في العالم المتحضر كله ، ذلك العالم الذي يرى في الكلمة مهما خفت صوتها أمام ضجيج الآلة ، وصخب المادة ، ورنين المال ، يرى فيها شرف الإنسان أو الشرف الأسمى للإنسان ! .



●● رغم انتشار التعبيرية في سائر فنون التعبير ، إلا أن الدراما أو المسرح كانت هي الأقدر على استيعاب هذا الاتجاه ●●



ملامح الفكر التربوي عند ابن حزم

اشتهر ابن حزم بالموسوعية والغزارة ، العمق والأصالة ، لذلك كان فقيهاً بين الفقهاء ، وأديباً بين الأدباء ، ومؤرخاً بين المؤرخين ، وعالم أديان مقارنة ليس له نظير ، وصاحب دراسة متميزة عن الحب والمحبين .

ولم يقتصر الأمر على غزارة الإنتاج وعمق التناول ، حدة المعارضة وحرارة النقد ، بل امتد إلى التميز في المنهج ، والاستقلال في المذهب . من هنا كانت ريادة ابن حزم للمنهج الظاهري في الأندلس معارضاً للمذهب المالكي الذي كان سائداً بين الأندلسيين ، حكاماً ومحكومين .

بقلم : د . حسان محمد حسان

ومما يستحق الإشادة أن منهجه لم يقتصر على أمور العقيدة والفقه ، بل امتد لسائر ميادين بحثه وفنه ، نثره وشعره . وفي هذا المنهج لم يكن مقلداً كل التقليد ، متبعاً كل الاتباع ، بل اختلف عن شيخه **أبي داود الظاهري** ، صاحب المذهب ومؤسس أركانه . وفي ذلك يقول ابن حزم :

« أبو سليمان داود شيخ من شيوخي ، إن أصاب الحق فنحن معه اتباعاً للحق ، وإن أخطأ اعتذرنا له ، واتبعنا الحق حيث فهمناه » .

وبرغم الموسوعية والأصالة ، فلابد من الاعتراف بأن للرجل سقطاته وأخطاءه : فطبيعته المتطرفة ، وحدّة لسانه ومرارة نقده ، والأمراض التي أثقلت عليه ، والنكبات التي لاحقته ، ومنهجه المتطرف حيناً ، المتجمد حيناً آخر ، كل ذلك ــ وغيره ــ جعل له آراء شاردة وتفسيرات مبالغ فيها . وليس من مهمة هذه المقالة تتبع ذلك والرد عليه فتلك مهمة كتب الفقه والأصول ، أفاضت فيها وأطنبت .

وكذلك ليس من مهمة هذه المقالة تتبع فكره فقيهاً وكاتب سيرة ، مؤرخاً وعالم أديان ، أديباً وفناناً ، فتلك ميادين رحبة أفردت لها عشرات الكتب العربية والأجنبية وبخاصة الإسبانية .

وللإسبان موقف خاص من ابن حزم . . فعدد كبير من مفكريهم يعتبرونه إسبانياً دماً ولحماً ، تاريخاً وثقافة ، فكراً وسلوكاً ولكنه وُلد ــ لسوء طالعه ــ عندما كانت بلاده محكومة بالغزاة المسلمين !! ومن هؤلاء المستشرقين **سانتشت البرنس** ، **وغرسيه غومث** فقد اعتبرا كل ملامح عبقريته ترجع لدمائه الإيبرية ، وثقافته الإسبانية ، وبقايا التراث والورع الممتد إليه من أجداده الكاثوليك !!

إلا أن بعض عمالقة الفكر الإسباني مثل **أسين بلاثيوس** ، **وأورتيجا** رفضوا هذه الاتهامات وردوا عليها بموضوعية وأمانة ، وعمق

وتجرد ومن موقع فكري مرموق ، ومكانة علمية مشهودة . وقد كتب « بلاثيوس » كتاباً عن ابن حزم يعتبر درة شامخة قام **الدكتور « الطاهر مكي »** بترجمته عن الإسبانية وفي الطريق الآن لنشره .

يجد القارئ أن هذه المقالة تركز على جانب واحد من فكر ابن حزم قليلاً ما طرق ، ونادراً ما عولج . والسبب في ذلك يرجع إلى أسباب أهمها :

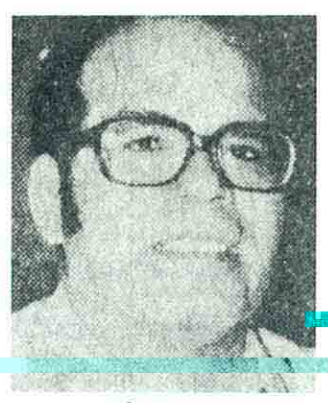
- أن كتاباته فيه قليلة شحيحة في حين كانت غزيرة متنوعة في ميادين أخرى . فوسط ما يربو على أربعمائة كتاب ورسالة صنفها ابن حزم — ويبدو الرقم مبالغاً فيه — لا نجد إلا صفحات قليلة تعالج **قضايا التربية والتعليم** . .

- أنه لم يحترف عملية التدريس والتأديب ، من هنا لم يركز عليها تركيز المربين والمؤدبين ، المعاصرين له أو السابقين عليه .

إذن هذه المقالة تلقي بعض الضوء على ملامح فكره التربوي ، وبخاصة موقفه من الدعوة لتبسيط العلم ونشره بين الناس ، وآداب مجالس العلم والعلماء ، والاهتمام بالعقل والتركيز عليه ، وتصنيفه للعلوم ، ودعوته للتكامل بينها .

تبسيط العلم ونشره

في كتاب ابن حزم **« التقريب لحد المنطق »** دعوة حارة لتبسيط العلم وتقديمه ليس فقط لأكبر عدد من الدارسين ، بل أيضاً لأكبر عدد من الراغبين ، فالعالم الحق « يسهل علمه ، ويقربه بقدر طاقته ، ويخففه ما أمكن ، بل لو أمكنه أن يهتف به على قوارع طرق المارة ، ويدعو إليه في شوارع السابلة ، وينادي عليه في مجامع السيارة لكان ذلك حظاً جزيلاً ، وعملاً جيداً ، وإحياء للعلم » .



★ د. الطاهر مكي ★

وابن حزم عندما نادى بذلك كان تعبيراً عن حضارته الإسلامية التي فتحت باب العلم ، وشجعت عليه بجميع الوسائل . كما كان ثمرة للثقافة الأندلسية التي جعلت التعليم الابتدائي في **قرطبة** — مثلاً — يكاد يكون مجانياً إجبارياً ، وفي ذلك يقول الدكتور الطاهر مكي : « مجاناً لأن العاجزين ماكانوا يحرمون منه ، وإجبارياً بضغط المجتمع نفسه ، دون حاجة لقانون . . فالتجار وأصحاب الحرف والصناعات كانوا يرفضون قبول عمال أميين في مهنهم حتى لو كانت لا تحتاج إلى قراءة وكتابة » .

مثل هذا الوعي الإسلامي الحضاري ما زالت بعض مجتمعاتنا المعاصرة تبحث عنه وتسعى إليه ، ومثل هذا الوعي هو الذي أنجب ابن حزم وآلاف غيره من دعاة نشر العلم وتعميمه ، تبسيطه وتسهيله ، دون تمييز أو تفرقة ، حجب أو منع .

ولم يكتف ابن حزم بذلك بل طالب الأثرياء بتقديم الهبات والتبرعات تشجيعاً للعلم ، وحفزاً للمعلمين والمتعلمين . . كل ذلك بشرط ألا يتحول المتعلمون إلى شره المال ، أو حب المناصب وفي ذلك يقول :

« من اشتغل بطلب العلم ليكون سبباً إلى كسب المال فقد جمع بين عيبين عظيمين : ترك أخصر الطرق وركب أوعرها وأقلها فائدة ، واستعمل الفضيلة التامة في اقتناء حجارة لايدري متى تدعه أو يدعها » .

ويبدو أن ابن حزم لم يكن يعبر عن القرن الخامس الهجري فحسب ، بل كان يستطلع القرن الخامس عشر ! ! ومن ثم قال في **رسالة « مراتب العلوم »** :

« إن صحبة السلطان وعمارة الأرض والتقلب في التجارات كل ذلك يدر دخلاً أكبر من دخل المشتغل بالعلم . ولا يقتصر الأمر على ذلك ، بل إن أوجه الكسب المادي لا تحتاج إلى علم غزير أو عالم نحرير ، بل ربما ينجح فيها الجاهل الأغتم — أي غير الفصيح — » .

آداب مجالس العلم

يناقش ابن حزم في كتابه **« الأخلاق والسير في مداواة النفوس »** ضرورة الأدب والتأدب عند حضور مجالس العلم ، مع ضرورة توافر الرغبة في البحث والاستزادة ، وليس الرغبة في تصيد الأخطاء ، أو المباهاة والاستعراض ، فإن حضرت هذه المجالس فالتزم أحد ثلاثة أوجه : « إما أن تسكت سكوت الجهال ، وإما أن تسأل سؤال المتعلم ، أو تراجع مراجعة العالم » .

وفي نفس الوقت يطالبنا ابن حزم بالموضوعية والتأني ، التدقيق والحرص ، فلا نقبل بالتصديق ، أو نقطع بالبطلان من غير سلامة القلب ونزاهة الحكم من غير أحكام مسبقة .

ومحاولات ابن حزم — وغيره — للالتزام بالموضوعية كثيراً ما فقدت الطريق لأسباب شخصية واجتماعية ، من هنا اعترف ابن حزم : « لقد أصابتني علة شديدة ، ولدت علي ربواً في الطحال شديداً ، فولد ذلك علي من الضخر ، وضيق الخلق ، وقلة الصبر والنزق ، أمراً حاسبت نفسي فيه ، إذ أنكرت تبدل خلقي ، واشتد عجبي من مفارقتي لطبعي » .

وهذا اعتراف صريح وجريء من فقيهنا الكبير ، وعلى العكس من ذلك ، فكم من مفكر وسياسي ـ قديم ومعاصر ـ يعاني من أمراض جسمية ونفسية ولا يجرؤ أحد على مصارحته بذلك أو محاسبته على نتائجه !!

الاهتمام بالعقل

يمايز ابن حزم بين **الحس والعقل ، الظن والتخيل** ويفحص كل وسيلة منها ويدرك حدودها ، من هنا يقول في كتابه « **التقريب لحد المنطق** » :

★ **الحواس السليمة** رغم أهميتها وضرورتها للإدراك السليم إلا أنه لا يمكن الاعتماد عليها فقط لأن الخداع والهوى قد يؤثران عليها ومن ثم يجيء ضعفها وعجزها .

★ أما **الظن** فأكذب دليل ، وقد نبّه الله تعالى إلى هذا بقوله في كتابه الكريم ﴿ **إن بعض الظن إثم** ﴾ ، وروي عن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** أنه قال : « **الظن أكذب الحديث** » .

★ وأما **التخيّل** فقد يسمعك صوتاً حيث لا صوت ، ويريك شخصاً ولا شخص ، من هنا قال تعالى ﴿ **يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى** ﴾ ، وبذلك أخبرنا المولى بكذب التخيّل .

★ وأخيراً يأتي **العقل** الذي يثق فيه ابن حزم ويعول عليه : « فليس بين قوى النفس شيء يوثق به أبداً غير العقل ففيه تمييز مدركات الحواس السليمة والمخذولة بالمرض » .

ويعود مرة أخرى لتأكيد قيمة العقل ودوره : « فإليه نرجع في صحة الديانة ، وصحة العمل الموصلين إلى فوز الآخرة ، وبه نعرف حقيقة العلم ، ونخرج من ظلمة الجهل ، ونصلح تدبير المعاش » .



ملامح الفكر التربوي عند ابن حزم

واحترام ابن حزم للعقل ، انعكس على فقهه ، من هنا كان من أكثر فقهائنا تأييداً للاجتهاد ، لهذا أكد في الجزء الأول من « المحلى » : « لا يحل لأحد أن يقلّد أحداً لا حياً ولا ميتاً ، وكل أحد له الاجتهاد بحسب طاقته » .

لهذا كله وضع ابن حزم لنفسه قاعدة فقهية جرّت عليه المشاكل وأودت به إلى المزالق : « المجتهد المخطئ أفضل عند الله من المقلّد المصيب » !!

مثل هذه القاعدة ـ وغيرها ـ دفعت صاحبها إلى بعض الآراء الشاردة والتفسيرات المبالغ فيها كما سبقت الإشارة في مقدمة هذه المقالة .

العلوم والدعوة لتكاملها

في رسالته « مراتب العلوم » صنفها إلى سبعة أقسام : الشريعة ، واللغة ، والأخبار ، والفلك ، والعدد ، والطب ، وأخيراً الفلسفة .

والعلوم الثلاثة الأولى تختلف فيها الأمم من حيث المحتوى وطريقة التناول ، بينما تتشابه الأربعة الباقية من حيث الحقائق والمحتوى .

وليس المهم الآن الدخول في تفاصيل كل علم من العلوم السابقة ، ويكفي تأكيده على وحدتها وترابطها : « فالعلوم التي ذكرنا يتعلق بعضها ببعض ولا يستغني منها علم عن غيره » .

والمؤكد أن بعض المفكرين المسلمين صادروا على بعض هذه العلوم رفضاً لها وتأكيداً لقيمة العلوم الإسلامية ، إلا أن ابن حزم تجاوز ذلك ودافع عن سائر العلوم بقوله :

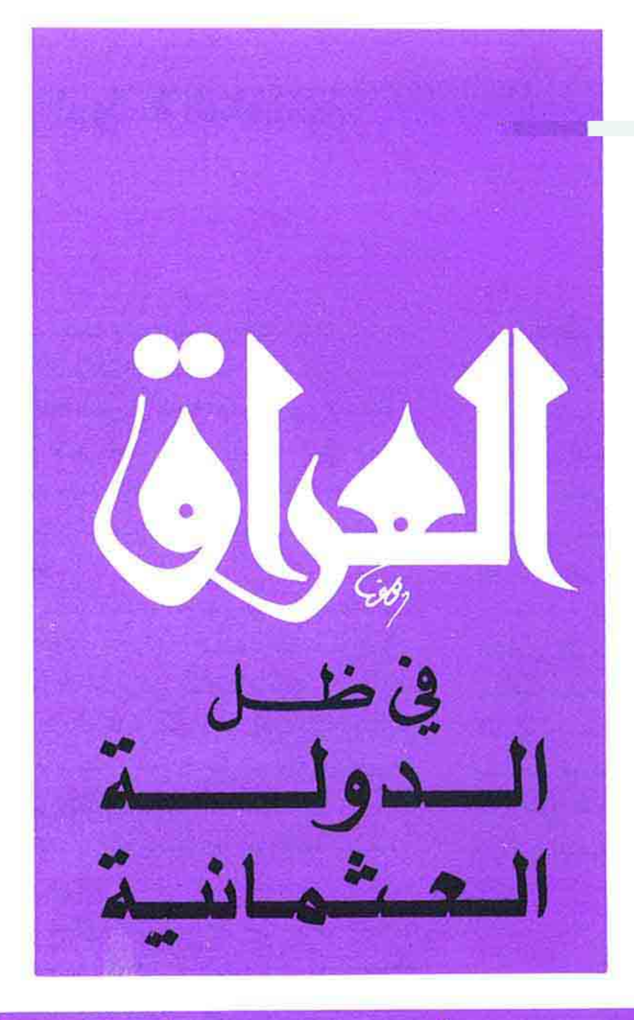
« من طلب علوم العرب وازدرى سائر العلوم بمنزلة من ليس في يده من الطعام إلا الملح ، ويظن أنه ليس هناك أفضل منه » !!

وهكذا كان ابن حزم مخلصاً لتنوع وتعدد ، وتكامل وترابط العلوم مع عدم تناسيه لمنطلقه الإسلامي ، وتخصصه الفقهي ، وبذلك كان تعبيراً عن ثقافة رحبة ، وعصر منفتح ، وعقل متسع وتكوين متكامل .

ودعوته للتكامل بين العلوم وعدم إهمال فرع منها تتفق مع دعوته السابقة لاحترام العقل وتقديره ، وتتفق مع وجهة نظره في تبسيط العلم ونشره ، ودعوته لفتح باب الاجتهاد والتأكيد عليه .

فالعقل أداة أساسية للإدراك البشري ، والتوغل في ميادين المعرفة المختلفة ، التي لا ينبغي حصرها في مواد بعينها ، أو حصرها في عدد قليل من الطالبين .

هذه مجرد ملامح وسوانح عن الفكر التربوي لابن حزم يحسن قبل الانتهاء منها الإشارة إلى رسالة « **عبد البديع الخولي** » التي حصل بها على درجة الماجستير من كلية التربية ـ جامعة الأزهر عام ١٣٩٨ هـ ، عن « **الفكر التربوي في الأندلس** » وفيها فصل كامل عن الفكر التربوي لابن حزم ، لو طبعت في كتاب فإنها ستضيف للقارئ معلومات أغزر ، وعمقاً أوفر .



بقي العراق تابعاً للدولة العثمانية حوالي أربعة قرون يجمعهما الدين الإسلامي بأوثق الروابط وأمتنها ، بعد أن سقطت بغداد ودمرها المغول ، وأصبح العثمانيون أمل العرب عندما ردوا إلى العراقيين شيئاً من الرضا والشعور بالكرامة ، لأنها دولة إسلامية بدأ نجمها في السطوع ، وقوتها بالانتشار .

واعتناق الإسلام والاعتزاز به ديناً أعاد شيئاً من الثقة إلى نفوس العرب التي اهتزت ، والمثل التي ذهبت ، بانحدار المسلمين وسيطرة القوى الأجنبية الوثنية على بلادهم .

وكانت الدولة العثمانية ترى ولاية بغداد من ولايات الدرجة الأولى ، فترسل إليها والياً يحمل لقب باشا ومنزلة رفيعة[1] ورتبة وزير ، لمكانتها في نفوسهم ، ولأهميتها التاريخية .

بقلم : د. يوسف عزالدين

. ولما سرى التخلف وبدأت عوامل الضعف تسير في كيانها أصاب العراق ما أصابها فأهملت العناية به ، وجهلت ثرواته الطبيعية وحركته الفكرية ، باستثناء فترات إصلاح واجهت عنفاً في التخلص منه . ولذلك خضعت القضايا المالية للتخمين إذ لم يعرف الإحصاء العلمي المنظم . لأن أي إحصاء سوف ينشر الخوف بين الناس خشية التجنيد أو فرض الضرائب .

بغداد

ولم تكن **بغداد** إلا قرية كبيرة لا تتجاوز مساحتها خمسة كيلومترات مربعة ، ذات أزقة ضيقة وأسواق مسقفة ، وبيوت بنيت بالطابوق قليلة النوافذ ، وللمدينة أبواب تفتح وتغلق لسور يحيط بها ، وحوله خندق يتصل **بدجلة** ، حتى جاء **مدحت باشا** ونقض السور ولم يبق منه غير بقية صغيرة ــ بين قاعة الشعب ووزارة الدفاع ــ لا يلاحظها إلا المتأمل الواعي المتأني .

ولم يكن فيها غير جسرين اثنين متحركين على عوامات مربوطة بسلاسل من الحديد تجرفها الرياح الهوج ، عندما يرتفع ماء النهر أيام الفيضان ، بل لم يكن فيها غير جسر واحد قرب **المدرسة المستنصرية** ، ولما بني جسر آخر سمي هذا **بالجسر العتيق** ، وبقي على هذه الحال حتى القرن العشرين ، عندما بني أول جسر حديدي مكان الجسر القديم .

الانغلاق الفكري

كان الخوف الدائم من الغريب في كل شيء ، مدعاة إلى انغلاق روحي وفكري ، فعكف المفكر على تراث الفترة المتأخرة يقرأه ويملأ فكره منه حفظاً ودراسة وتعليقاً وشرحاً ، وزاده رعباً جشع الغرب واقتطاع أجزاء كبيرة من الدولة العثمانية[2] **فرأى كل شيء يأتي من الغرب ضلالة وكفراً ، ووقف المفكرون من الاتصال بالغرب وقفة صلدة ، وكانت محاسن المفكر أنه بعيد عن وصمة التغريب** . وحذر **عثمان بن سند** أولياء الأمور من إرسال أبنائهم للغرب للدراسة لأنها سوف تدهور عقيدتهم ، وتفسد عليهم عقلهم ودينهم .

ولن يكون إبداع أو تجديد إلا مع المقارنة ودراسة آراء الإنسانية وأفكار التطور والتقدم ، ولم يكن المفكر يطمئن لغير ما ورث ، إذ لم تدع له الحوادث وقتاً للتفكير ، فهو خائف من الحروب والغزوات التي كانت تستهدف المدن ، وتسلب الأموال ، والعبث بالحياة الإنسانية ، سواء أكانت من الدولة الإيرانية أم من غارات القبائل والعشائر داخل **العراق** .



العراق .. في ظل الدولة العثمانية

وفي جو مشحون بالترقب والخوف لن تتطور العلوم، ولن تبدع الآداب، ولن تتجدد الأفكار والآراء.. لأن الاضطراب العام والخوف المستمر يملأن النفس بالحيرة والقلق، فتفقد النفس الهدوء، ويضيع التوازن الروحي وسداد الرأي، وتلك أهم عناصر الإبداع والخلق الفكري للمثقف والمزارع والعامل والتاجر، ومتى افتقدها المفكر فلن يتعمق في دراسته وإن أضاعها الزارع فلن ينشط في زراعته أو يمارس التاجر تجارته بحرية.

وقد عمق الخوف في النفوس، وأنهك قوى أبناء الشعب وافدات **الطاعون** والهيضة (**الكوليرا**) **والجدري** التي كانت تفتك فتكاً ذريعاً، فيموت الناس دون أن يجدوا من يدفنهم، فأدى المرض ونكبات الطبيعة إلى إفناء أسر بأكملها، ومحا من الوجود محلات وأحياء كبيرة بمن فيها من السكان والأبنية.

الفكر والإصلاح

في جو يسيطر عليه حكم الفرد ووجوب طاعة أولي الأمر دون حساب أو عتاب أو توجيه، يخلق شعباً فاقد الإرادة وحاسة التميز، فلم يتعود أصحاب السلطة سماع غير الموافقة وتلبية الأوامر، ولو كان الوالي قريباً من الناس أو أن يسمع معاناة الأكثرية الساحقة لهان الأمر. غير أن الحكام وعلى رأسهم الوالي، كانوا بعيدين عن المشكلات التي يعاني منها الشعب، فالوالي محاط أينما سار بالجند يحميه ويبعد عنه أي فرد يريد الاتصال به، ولا يسمع إلا ما تنقله الحاشية التي اعتادت على الذل ونعمت في مسيرته، وأغلقت الحجاب عليه.

وقد صور (مطالع السعود)[3] هذه الحالة، وشكا من عدم مقدرة أبناء الشعب من الوصول إلى الحاكم وإسماعه الحقيقة بقوله: **(صارت الخيانة والكذب على الملوك عادة لهم يفتخر بها رجال دولته في مجالسهم الخاصة)** فقد كانت الجيوش تخسر والمعاهدات تعقد دون أن يعرف الحاكم في الأستانة بالأمر.

بل يصورون له الأمور على غير حقيقتها، فعندما حارب مدحت باشا الرشوة، وحاكم المرتشين، ووحد الأوزان، وأنشأ **الدرك** لحفظ النظام، وأرسل سفنه عبر **قناة السويس** عام ١٨٦٩ م، حتى **الأستانة**، وطهر الأنهار وجلب المعامل والمطبعة التي طبعت الزوراء وبعض الكتب مثل (**السلنامة**)، صور الأمر للسلطان بأنه يفتح الآراء ويظهر الدولة بالتخلف والتأخر.

ولما بدأ **سليمان الصغير** قبله بالإصلاحات، ورتب الإدارة فيه وأوقف الفساد، عدّ هذا الوالي مبتدعاً لأنه خرج على التقاليد المرعية، لما طالب بالتمسك بالشريعة والقانون. **فهو إذن مبتدع لأنه في إصلاحاته يشوه سمعة الدولة ويظهرها بمظهر الظالم المستبد!.**

كانت الإصلاحات تعارض من القوة المسيطرة، مؤثرة المصلحة الخاصة، فوقفت موقفاً صلداً ضد أية حركة إصلاح، فكانت عاملاً من عوامل التدهور الحضاري والتخلف الفكري، بل إن السلطة العسكرية كانت تعارض حتى تطور أسلحتها وتجديد تدريبها. فخسرت الدولة كل حركات الإصلاح وقتل الرأي المفيد الجديد الذي آل بالدولة إلى الشيخوخة والهرم، وساهم الغرب في عملية سقوطها، **والماسونية واليهود** في القضاء عليها[4].

فترات الهدوء

إنه مجتمع خضع للطاعة الفردية وفقد إرادته، وشتان بين مجتمع قائم على الطاعة العمياء، ومجتمع قواعده الإرادة الحرة والفكر المطلق، الذي يخلق الحرية والإبداع والتطور. لأن منح الفرد حقه في التعبير وإبداء الرأي من عوامل قوة الأمة ورسوخ قواعدها الفكرية[5].

وفي فترات الهدوء، واستتباب الأمن، كانت المعارف تنشر بوساطة المدارس الدينية، في المساجد والجوامع والتكايا وحلقات الدرس المتنوعة وحوزات البحث والمناقشة في **بغداد والنجف وسامراء والموصل والحلة.**

وقد كان لبعض هذه المدارس أوقاف من الأغنياء والولاة تنفق على الطلاب والمدرسين، لأن وظائف الدولة كانت محدودة، ولم يكن كل عراقي بقادر على الحصول عليها، فانصرف طلاب العلم إلى الوظائف الدينية كالإفتاء والقضاء والتدريس والخطابة والإمامة في المساجد والجوامع.

وقد كانت هذه المدارس معقل اللغة العربية التي حفظتها من الاندثار وصانتها من الضياع والنسيان. فقد أحس بعض الأساتذة بضرورة صيانة اللغة العربية للحفاظ على مقومات الدين الإسلامي والاعتزاز بالتراث العربي الأصيل.

فقد شرح كل من **عبد الله السويدي وسليمان الشاوي** لامية العرب، وعُنيَ بعضهم باللغة ومعاجمها خوفاً من اندثار لغتهم، وفرّغوا أنفسهم لتعليمها والعناية بالتاريخ الإسلامي. فكان هؤلاء في مدارسهم المحدودة، شمعة اللغة التي أضاءت عتمة ظلام الجهل الذي كان مسيطراً على الأكثرية الساحقة من أبناء الشعب الذي خيّم على أفكارهم بسدوله الكثيفة.

التعليم

وقد كان هؤلاء الأساتذة، شأن العصر الذي عاشوا فيه، بعيدين كل البعد عن الحياة الإنسانية وتطور الحضارة، إذ عكست الحياة العامة ظلالها عليهم وعلى دروسهم، وكان همهم الأول شرح الكتب ووضع الحواشي لها ونظم متونها، فكثرت المنظومات في الأفعال والأسماء والقضايا اللغوية والفقهية بصورة عامة، مثل **حاشية على شرح الأزهرية**[6]، **وشرح شواهد القطر**[7]، **والموائد المبسوطة**[8]، وغيرها من الشروح والحواشي. **ولم تتدخل الدولة بالتعليم الديني لسببين:**

●● **الأول: حرمة الفكر الديني الكبيرة، ومكانة رجاله وطلابه ومؤسساته كالمساجد والجوامع والمدارس.** وقد كان طلاب العلم والمدرسون يعفون من التجنيد تقديراً لأهل العلم وكيلا ينقطع المدرسون وطلاب العلم عن دراستهم، لأن اللغة العربية لغة القرآن ولغة النبي، ومعرفتها ضرورة لفهم الدين وتعاليمه رغم جهل أكثر الحاكمين بها.

●● **الثاني: وجود أموال وقفها المحسنون على هذه المؤسسات..** يستفيد منها طالب العلم والمدرس ومن يقوم بخدمة مؤسسات الدين، وأحياناً تكون قد وقفت من الولاة خوف المصادرة بعد الموت،

فقد كانت الأستانة ترسل من يصفي أموال الوالي بعد موته فيفوت الوالي عليها هذه الفرصة ويفيد رجال العلم وأسرته إذا ما وقف أمواله على ذريته والمؤسسات الدينية .

وقد كان للأئمة فضل في مواصلة الخطابة باللغة العربية في أيام الأعياد والجمعة ودعم الأسر العربية والمسلمة لها مثل أسر **السويدي ، والآلوسي ، والحيدري ، والشواف ، والطريحي ، والحكيم ، والأزري ، وبحر العلوم ، والكواز ، والطبقجه لي ، والقزويني** ، وغيرهم .

وقد احتفظ بعض الأغنياء ، والأسر العلمية ، ومكتبات المدارس الموقوفة ، بجانب كبير من المخطوطات التي كانت تدرس في المدارس ، وتكون مصدر بحث للعلم والمعرفة ، مع ما كان يوقفه الولاة على المدارس التي يعمرونها ، فقد ذكر **عثمان بن سند** بأن **المدرسة السليمانية** التي أنشأها **سليمان الكبير** ، شحنها بكتب الحديث والفقه والأدب واللغة ، إضافة إلى تعميره عدة مساجد . فكانت هذه المخطوطات ، مصدر العلم والدراسة رغم ما أصابها من عوامل الطبيعة ، مثل فيضان نهر دجلة ، وعبث الأرضة في أوراقها والفتن الداخلية والثورات الكثيرة التي كانت من كوارث الإنسان في هذه الفترة .

وبقيت الدراسة على أسلوبها القديم ، حتى أعلنت تنظيمات المعارف الجديدة ، وتأسست مدارس على الطراز الجديد ، وقد سميت **(مكاتب)** حتى لا تختلط بالمدارس تقديراً للدين واللغة العربية لغة الشريعة .

ولما أعلن الدستور العثماني ، نشرت لغة العرب سنة ١٩١٣ م ، إحصاءً بالمدارس التي كانت قد تأسست قبل إعلانه ، لتظهر مآخذ العهد الماضي الذي سمّته **عهد الاستبداد** ، مع عدد المدارس التي تأسست . أخذته عن تقرير ديوان المعارف الآتي :

●● ٣٤ دار علم من كتاب ومكتب ومدرسة في عهد الاستبداد ، ٢٨ دار علم للحكومة رسمية ، ٦ للطوائف غير المسلمة ، المجموع (٦٨) .

ثم قالت أما في عهد الأخوة والمساواة والحرية فهي :

●● ٨٣ مدرسة رسمية ، ٢٠ مدرسة أهلية وبصورة أخرى ، المجموع (١٠٣) .

ومن هذه المدارس تسعون مدرسة للمسلمين ، وثلاث عشرة لغير المسلمين . وذكرت الإحصاء التالي :

●● ٦٧ كُتّاباً (مدرسة ابتدائية في حاضرة الولاية والقرى والقصبات) ، ٢٩ مكتَباً (دار علم رشدية) ، ٥ مدارس (دار إعدادية) ، مدرستان عاليتان هما الحقوق والمدرسة السلطانية ، المجموع (١٠٣) .

أما عدد الطلاب الذين جاء ذكرهم فهو :

●● ٤٧٤٧ مسلماً في المكاتب المنتظمة ، ٣٢٧٠ في الكتاتيب ، المجموع (٨٠١٧) .

كانت وسائل التعلم الدينية ، أو أسلوبه تسير على الطريقة القديمة في دراسة كتاب أو موضوع أو أكثر على المدرسين البارعين الذي أثبت الزمن قابليتهم ، وعرفت سمعتهم العلمية ؛ وقد يدرس الطالب كل العلوم النقلية والعقلية على مدرس واحد ، ولذلك اختلفت **الإجازات** ، حسب قدرة الطالب ومقدار ما درسه وأتقنه .

ولعل هذا هو السبب المباشر لكثرة الحواشي والشروح وشرح تلك الحواشي وزيادة الشروح . فقد رأى المدرس أن المؤلف السابق له الفضل والريادة فيأخذ ما ألف من قبل ويشرحه أو يختصره أو يعلق عليه بالحواشي ، عندما يدرّس طلابه ليكون مفهوماً لدى الطلاب سهل التناول عند الدراسة . **ولكن الأمر جرّ إلى تعقيد فكري وحذلقة لغوية أو أدبية ، لأن المدرس أراد إبراز قابليته العلمية ومقدرته الذهنية ونسي القصد الأول من الشرح والحاشية** .

وعلى الرغم من اختفاء معالم التجديد والتطور في الأدب والنقد واللغة ، فقد كثرت التآليف في التاريخ والمدن والعشائر ، وبخاصة ما كان يقوم به الوالي من تحركات ضد العشائر والفتن التي تحدثها والثورات التي تقوم بها والتحدث عن قابليته القتالية ومقدار ما استفاد من غزوته على تلك العشائر العربية .

كما برزت ظاهرة الكتابة عن الأسر العربية ذات النفوذ العلمي والسياسي والاجتماعي ، لأن الأدب كان يدور حول الحاكم وأصحاب السلطات . فقد كتب عن **أحمد باشا وحسن باشا وداود باشا** ، كما سجلت مآثر **آل العمري والجليلي والآلوسي والسويدي** ، وغيرهم من أسر بغداد والموصل . وقد نشر بعض هذه المخطوطات على تفاهة معلوماتها منها **زاد المسافر ، وغرائب الأثر ، ونزهة الدنيا ، وسبائك العسجد ، والروض النضر ، وملخص مطالع السعود** .

الطباعة

وقد كانت الكتب المخطوطة هي المتداولة ، ولذلك عز وجودها وغلا ثمنها ، حتى اخترعت الطباعة ؛ وكانت أول الأمر **حجرية** وقد طبع **«كتاب دوحة الوزراء»** في أوائل جمادى الأولى سنة ١٢٤٦ هـ ، (١٨٣٠ م) ، ولكن الكتاب صودر من السوق والتداول لأنه مدح الوالي **داود باشا** الذي عزل وجاء بعده **علي باشا اللاز** ، فلم يرد أن تشهر محاسن من سبقه .

ولعلها أول مصادرة في العراق لأول كتاب حجري يظهر فيها ، وسن أبشع سنة في تاريخ الفكر بالمصادرة وتجاهل أعمال الذين سبقوه في الفضل وهي ظاهرة ما تزال مسيطرة في طمس معالم التاريخ السابق وإبراز تأريخ الحاكم الذي سرعان ما يذهب لمجيء غيره . وما أكثر هذه الحوادث في هذا القرن في العالم العربي والإسلامي .

ولم يعرف العراق صف حروف المطبعة ، إلا بعد وصول مدحت باشا وجلبه مطبعة الولاية التي طبعت جريدة الزوراء ، وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية . وعندما أعلن الدستور ظهرت باللغة التركية ، ثم احتج الناس فأعيدت إلى اللغتين في تموز (يوليو) عام ١٩١٣ م .

ومما لا شك فيه وجود مطبعة أو مطابع عديدة كان قد جلبها المبشرون الفرنسيون لأغراض دينية محدودة ، لكن لم يكن لها أثرها الواسع المؤثر في الفكر والأدب .

وعلى رغم انتشار اللغة التركية لغة الدولة ، فقد بقيت اللغة العربية قاعدة النشاط العلمي والديني والفكري ولغة الشريعة الإسلامية التي نشطت حولها الدراسات اللغوية لفهم الفقه الإسلامي ، وما في القرآن الكريم ، من تعاليم وما صعب على الدارسين فهمه من لغة وتعابير وألفاظ .

وكانت مثل هذه الصعوبات ترسل إلى مواطن العلماء

العراق .. في ظل الدولة العثمانية

واللغويين وتتخذ وسيلة من وسائل المطارحات والمعارضات رغم تباعد المسافة وصعوبة المواصلات.

فقد ذهب **محمد سعيد السويدي** إلى **القاهرة**، واتصل **بالزبيدي**، وتتبع عنه سلسلة اللغة العربية التي تصل بصاحب القاموس (**تاج العروس ج ١، ص ١٤**) وقد أجازه السويدي.

وكان المثقفون والمفكرون الذين يتصلون بالدولة يتعلمون اللغة التركية التي تعتمد على العربية والفارسية، اعتماداً كبيراً، وما كانوا يرون غير هذه اللغات الثلاث جديرة بالتعلم والتعليم، ويرون غيرها فضولا، لذلك انصرف علماء الدين ـ وبخاصة العرب ـ إلى تعليم اللغة العربية ونشرها والعناية بها.

أما سكان القرى والأرياف ورجال القبائل والعشائر، فقد أغرقهم الجهل وأنهكهم المرض والفقر أكثر من أبناء المدن، فلا يكاد أحدهم قادراً على التنعم بطعام أو شراب أو ستر أبدانهم بثياب. ولم تكن الدولة تنظر للعشائر العربية نظرة ارتياح، وتراهم عصاة يبددون سكون النظام وينشرون الفوضى والخراب، دون أن تقدر على حل مشكلاتهم وفهم حاجاتهم الطبيعية سكاناً في الإمبراطورية المترامية الأطراف باستثناء ما قام به مدحت باشا من دراسة جادة لفهم هذه المشكلات وإيجاد الحلول الناجحة لها. فإن ضياع الثقة من طول ما قاساه هؤلاء من الولاة من عنف وقساوة حال دون النجاح في حل مشكلاتهم وعلى الأخص إسكان بعض القبائل الراحلة وإقطاعهم بعض الأراضي لزراعتهم والاستفادة منها لأن الشك الدائم علمهم عدم الثقة بكل نوايا الدولة. لأن الوالي أراد فرض السيطرة العسكرية وإبراز هيبة الدولة بالقوة وبالحروب وفرض الطاعة والأمن والهدوء بالبطش والتنكيل. بل إن بعض الولاة كان يؤجج الحروب بين القبائل نفسها لإشغال الجيش والاستفادة من الغنائم لدفع رواتب الجند مما يترك من ماشية وأموال من القبائل الهاربة خوف البطش.

فخلفت هذه الحالة المضطربة جيلاً لا يكترث لما يعتور البلاد من تدهور وما يجفها من ضعف في جميع نواحي حياتها لأنه أبعد عن المشاركة في الرأي وإبداء النصح والمشورة فأصبح الشعب يتكل على الدولة فهي التي تؤسس المدارس وتبني الجوامع والمساجد وتشيد المدارس وتعنى بكل صغيرة أو كبيرة تدخل في حياة الإنسان، وبذلك عطلت فيه ملكة الإبداع والإخلاص والنشاط وأماتت قابلية الاختراع والاستقلال الفردي. ولما ضعفت الدولة وتدهورت قابليتها انهارت الأسس العامة وأنهار المجتمع وتدنت الحياة الاجتماعية والفكرية والصحية والمالية. لأن الشعب أضاع الثقة بالقابلية الفردية وماتت فيه الحرية الفكرية. وتجلى هذا الأمر في ظاهرة الألم والشكوى من الدهر حتى من أولئك الذين كانوا مقربين للدولة وخير الولاة إصلاحاً فقد قال **عثمان بن سند** الذي كتب تاريخ **داود باشا**:

شكوت لما أشكاني الدهر أنني
لفي حيرة من ريبه وصروفه
كأني قرن للزمان محارب
إذا رمت سلماً سل حمر سيوفه
سقى كل ذي جهل بكأس حياته
وذا العلم إرواء بكأس حتوفه
فلا تك بدراً كاملاً في ضيائه
إذا تم بدر حان وقت كسوفه

ومن الطريف أن تظهر قواعد النحو العربي في سطور الشاعر نفسه حينما قال:

فكأني من اعتلالي فعل
يعمل النصب فيه والجزم حرف
رفعتي أن يقال هذا أديب
جاع بطناً وفيه ظرف ولطف

وعندما يطير **المنطاد (زيلن)** يثير في النفوس الأماني في الحرية والانطلاق والتخلص من جو العبودية فيقول:

ليت زيلن يرتقي بي صعوداً
عن مقر الهوان ساء مقرا
ويراني رقاً ويا رب رق
عاد بين السماء والأرض حرا [٩]

كان قائد الرأي يرى الانهيار والفساد ولا يرى في نفسه الحق في الإصلاح والمساهمة في تجديد المندثر وإصلاح الفاسد، بعد أن تعلم أن كل الإصلاحات تأتي منحة من الحاكم للرعية فضاعت الشخصية الفردية وتبهرت نفوس الشعوب العثمانية التي لم تعرف معنى الشورى وتذوق طعم الديمقراطية التي نادى بها الإسلام وطبقتها الشعوب الأوروبية لأن الشعوب العثمانية اعتمدت على الحاكم عندما كان قوياً متسلطاً وضاعت معه بضياع قواه وسيطرته. وما تزال بعض الشعوب العربية تعتمد كل الاعتماد على الدولة في أمور حياتها ولم تحاول هذه الحكومات خلق استقلال شخصي لشعوبها أو بناء كيان ذاتي لأبنائها.

كان الحاكم أشد إيذاء للشعب من أعدائه، إضافة إلى حوادث الطبيعة والطواعين فولدت في نفس العراقي شعوراً بالألم الدفين، وإحساساً عميقاً بالحزن والكآبة، وقد تجلت هذه الآلام والنكبات في جميع إنتاجه طوال تلك العصور.

إن الشعب في العراق شديد الشعور بكرامته وشديد الحفاوة بشخصيته الفردية، ولما خشي الحاكم انصرف إلى نفسه فولدت في نفسه الانطوائية العميقة والتشاؤم المرير فدعته إلى الارتماء في أحضان الطرق الصوفية والتغني بالرسول وآل البيت لبريح نفسه من الحيرة والخوف وتستقر روحه على بساط الأمان في السبحات الروحية والخيال المجنح الذي تسبغه هذه الطرق عليه.

إن الجهل المنتشر حدد مصادر الفكر ببعض العلماء والأدباء والمفكرين، والقلق والحيرة والخوف الدائم أبعد الناس عن الخوض في المشكلات العامة فكان الشعب يقاد إلى مصير لا يعرفه دون أن يتمرد أو يسأل بعد أن سلبت منه أهم ميزاته الإنسانية والقابلية البشرية التي منحها الله لعباده وهي غريزة التفكير والمقارنة وحرية الرأي ومناقشة السلطة والاقتناع بالفكرة. فقد نشأ على الطاعة العمياء..

وكان المجتمع في العراق يتكون من طبقات اجتماعية الملامح والحدود، يقف في أعلى سلم الطبقات الحاكم والموظف الكبير والعلماء وأبناء الأسر العريقة وشيوخ القبائل وتلك الظاهرة أدت إلى عناية المؤرخ بإنجازات الولاة والأسر وشيوخ القبائل في التأليف.

إن التطور الفكري والإبداع الأدبي والتجديد في مضامير الحياة لا بد لها من حرية في العمل والقول والتصرف، ولا بد لها من جو يسوده الهدوء وتهيمن عليه الطمأنينة الروحية والفكرية لأن البحث العلمي العميق والتتبع المنظم وعمق الثقافة ومواصلة الدراسة لن تنمو أو تعمر في ميدان القلق والخوف والكفاح من أجل لقمة العيش.

ومتى تدخلت السلطة في بحث العالم وفكر الدارس واتجاه الأديب فقد حدت حريته في الاختراع والتميز وصرفته إلى علوم لا تعود على أمته وعلى الدولة نفسها بشيء جديد . لذلك وجدنا هذه الفترة تعنى بالشروح والتعليقات والحواشي ، ونظم المتون وبعلوم صرف الباحث نفسه إلى خدمتها وأضاع وقته في حفظها وتيسير فهمها دون أن يبدع في التأليف وإيجاد السبل الجديدة لتدريسها .

دراسة هذه الفترة

إن دارس هذه الفترة يجد صورة لحياة العراق الفكرية في أشد فتراته غموضاً وحلكة ، وقد تلمست من ثنايا الحوادث والأخبار والإرشادات العابرة بعض النتائج وهي صورة لمسيرة التاريخ الفكري الذي يحتاج إلى دارس صبور وطالب علم مجد ليتوسع في النقاط التي وضعتها ، والأفكار العامة التي أثبت بها .

وقد كانت لي أكثر من دراسة تخص هذا العصر أو العهد العثماني أولها كانت في كتابي **« الشعر العراقي في القرن التاسع عشر »** ، سجلت جوانب من أدب الفترة وحياتها الفكرية والسياسية والدينية والاجتماعية ، وكنت أشير إشارات عابرة إليها في أكثر الدراسات التي قدمتها عن الأدب العربي والفكر في العراق .

أملي مرة بعد مرة أن يأتي باحث مدقق أو طالب علم صبور من المعاصرين ليعكف بجدية وإخلاص بالعمل على نفض الغبار عن كثير من التيارات الزاخرة في هذه الفترة . وقد بح صوتي من الرجاء وضاع التأكيد والنداء ، لأن أكثر طلاب العلم والبحث فقد هواية البحث وحب الدراسة ومتعة التنقيب وركض وراء الشهادة نفسها والمادة ذاتها .

أما الذين قاموا بدراسة بعض الجوانب السريعة من هذه الفترة فقد جاء أكثرهم مقلداً أو ناسخاً لآراء من سبقوه ، وقد سطا بعضهم علينا لسهولة التناول .

ومع أن الكثير من المخطوطات العربية والتركية والفارسية التي كانت في الخزائن الخاصة المقفلة أصبحت بين يدي الباحثين فقد انصرف عنها طلاب الدراسات العالية مع أن هناك وسائل أخرى تسيّر هذا البحث في الغرب ، **ودار الوثائق البريطانية ، ودائرة الهند** ، تقدم الوثائق بسهولة ويسر ، وفيها أكداس من المعارف المتنوعة لا يعوزها إلا الدارس الجاد والصابر على كرب العلم ومشقات البحث العميق . وقد وجدت في الأستانة عدة آلاف لا يمكن أن تحصى من وثائق خاصة بالعراق وصلاته بالدولة العثمانية . وللأسف لم أجد العناية الكبيرة في دراستها جهلاً بالقيمة العلمية وعدم معرفة أماكنها مع أن الوثائق الرسمية في الأستانة خير مصدر فكري لهذه الفترة ففيها تقارير الولاة تصور حياة العراق الإدارية والعمرانية والثقافية وإن لم تكن علمية إلا أنها تلقي كثيراً من الأضواء التي يفهم بواسطتها الباحث الذكي الحدث من دراستها .

والعرائض والبرقيات التي كانت مؤيدة بعض القضايا العامة أو شاكية من قضية فردية خير سجل فكري واجتماعي لمن يريد . ومع كل تأخر الدولة وتدهورها فقد كانت تصدر كتاباً سنوياً **(السلنامة)** تسجل فيه الكثير من القضايا التي تخص الولايات ، فقد صدرت عدة كتب عن بغداد والبصرة والموصل ، إضافة إلى ما كتبه رجال الدولة ومؤرخوها من كتب عن هذه الفترة وأشهرها **تاريخ جودة** ، وقد تُرجم بعض هذه الكتب إلى اللغة العربية وقد منيت البحوث العلمية بخسارة كبيرة ، لأن المصادر مكتوبة باللغة التركية التي كانت تسجل باللغة العربية ، وقد أسهمت في حث بعض المؤرخين على ترجمة بعضها مثل هؤلاء المترجمين أصبحوا ندرة في هذه الأيام .

ولمن يريد دراسة هذه الفترة في العراق فسيجد سجلاً من خيرة سجلات العصر في صفحات **جريدة الزوراء التي أصدرها مدحت باشا التي بقيت تصدر حتى الحرب العظمى الأولى** ، ومن حسن الحظ أن في بغداد مجلدات كبيرة منها ولعلها أصبحت الآن كاملة في المكتبة الوطنية . كما أصدرت الدولة **« صدى الإسلام »** خلال الحرب العالمية الأولى تسجل حوادثها .

ومثل الزوراء الجرائد والمجلات التي أصدرها أصحاب الفكر في العراق كالرقيب ، والإيقاظ ، وصدى بابل ، والروضة ، والتهذيب ، ولغة العرب ، وأصدر الاحتلال البريطاني (العرب) التي تحولت إلى العراق ، إضافة إلى الجرائد والمجلات التركية والفارسية التي كانت تصدر في العراق وأصبح الكثير منها في المكتبات العامة . لأن الجرائد والمجلات خير سجل لكل العصور والأدوار وأثبت في جدتها ودراسة الحياة العامة وتطورها .

وبالرغم من انتشار الأمية والنكبات ، فقد برهن الفكر في العراق على أنه ما زال حياً فقد برز بصورة واضحة بعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ م ، بما صدرت فيه من مجلات وجرائد وما عرض من آراء وأفكار ، وما حوت أقلامهم من حرية في التعبير ، وصراحة في القول ، وجرأة في عرض المشكلات جرت بعضهم إلى السجن والنفي والتشريد ، فهل كان هؤلاء أكثر حرية وصراحة في زمن الجهل والتأخر أكثر من زمن الانفتاح والحياة المتطورة في هذا العصر ؟! .

الهوامش

(١) رتب الباشا تتميز بما يعلق على سارية العلم ، فالدرجة الأولى يعلق ثلاثة ذيول من شعر الحصان مصبوغة باللون الأحمر ، وتسمى هذه العلامات (توغات) . وباشا الدرجة الثانية يعلق إشارتين ، والثالثة إشارة واحدة ، وتربط هذه الإشارة برباط ذهبي .

(٢) عزل السلطان سليم الثالث لأنه ألبس الجيش الملابس الغربية وأدخل (نظامات الإفرنج وعوائدهم وأجبر الرعية على اتباعها) ، فهو غير صالح للملك في أقوم المسالك ، يدافع عن إدخال الأنظمة الجديدة في القانون والإدارة ويراجع تاريخ الدولة العلية لمحمد فريد ، وكتب الدكتور محمد حسين عن موقف الدولة العثمانية من الفكر الغربي .

(٣) مطالع السعود : لعثمان بن سند النجدي مخطوطة في مكتبي .

(٤) عندما حاول السلطان سليم الثالث استقدام المهندسين من أوروبا ، وتطوير القوى البحرية والحربية لبناء صناعات تطور الجيش وتعيد تدريبه عام ١٧٩٦ م ، وقف الينجرية (الانكشارية) ضده حتى عزل وتمكن محمود الثاني من القضاء عليهم عام ١٨٢٦ م ، لكن بقيت فكرة الخوف من الغرب مستمرة .

(٥) قال خير الدين : « منشأ سعة العرفان والتمدن » في أوروبا قائم على الحرية الشخصية والحرية السياسية وحرية المطبعة [illegible] هي للتمدن ونشر الشرحاء في الغرب (أقوم المسالك في معرفة الممالك) وقد أكثر رفاعة الطهطاوي من ذكرها في (تخليص الإبريز) .

(٦) الإعراب في قواعد الإعراب لابن هشام شرح خالد الأزهري ، وقد شرح الكتاب أحمد السويدي شرحاً مختصراً .

(٧) للسيد صادق الفحام .

(٨) الموائد المبسوطة في الفوائد الملقوطة نظمها عبد الله البيتوشي في بيت وله في النحو مجيب الندا في شرح الألفية وكفاية المعاني ، منظومة في بيان حروف المعاني . يراجع البيتوشي تأليف محمد الخال .

(٩) الرقيب ١٣٢٨ .

هل جمع التكسير أقدم وجوداً ؟

بقلم : د . أحمد شوقي النجار

غير خفي أن البحث في بعض الموضوعات مدعاة لاختلاف الآراء ، وتعدد المذاهب ، ولهذا فلا عجب أن ترى تباين الآراء حول مسألة أي الجمعين أقدم وجوداً في اللغة العربية ؟ أهو جمع التصحيح أم جمع التكسير ؟ . ومن عجب أننا نجلب مثل هذه الآراء من المستشرقين . فقد ألفنا أنهم يصدرون لنا الآراء والأفكار عن لغتنا العربية ، أو لغاتنا السامية . ومن المؤسف ألا نظفر برأي في هذه المسألة ، عن أبناء اللغة أنفسهم . فالنزعة عند النحاة العرب تميل أكثر ما تميل إلى التعليل والتدليل . وعلى الرغم من أننا نستورد الآراء ممن يصدرونها عادة ، إلا أننا لا نسلم لهم بما يصدر عنهم من آراء نتيجة لأبحاثهم ودراساتهم العميقة في اللغات السامية عامة واللغة العربية خاصة .

خلاف المستشرقين

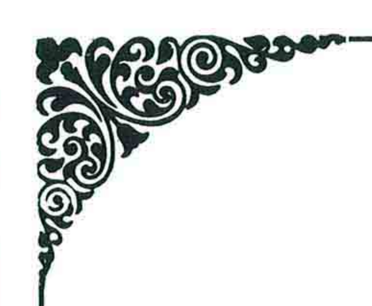
نعم . . . هناك خلاف بين المستشرقين ، في أي الجمعين أسبق وجوداً . التصحيح أم التكسير ؟ . بيد أن جمهرة المستشرقين يرون أن جمع التصحيح أسبق وجوداً من جمع التكسير بصيغه المتعددة . وهكذا زعم **موسكاتي** Moscati أن جمع التصحيح أقدم وجوداً من جمع التكسير . ودليله على ذلك ، انتشار جمع التصحيح في اللغات السامية كلها كالعبرية والسريانية والحبشية والبابلية والأشورية والعربية الجنوبية والأوجاريتية و . . . إلخ ، أما جمع التكسير فيقتصر وجوده على المجموعة السامية الجنوبية . ويعني هذا في نظره دليلاً على قدم جمع التصحيح . ورغم تقديرنا لجهود هؤلاء العلماء من المستشرقين ، إلا أننا لا نميل إلى كثير من آرائهم . فبالنسبة إلى هذه المسألة ، لا نملك إلا أن نرفض هذا الرأي . فعندي أن جمع التكسير هو الأسبق والأقدم وجوداً للأسباب الآتية :

●● **أولا** : شيوع التصحيح في اللغات السامية ، لا يعني بالضرورة قدم وجوده . إذ إنه لا علاقة مطلقاً بين الانتشار والقدم . فالمصابيح الكهربائية مثلاً ، لا يزيد تاريخ اختراعها عن مئة عام فقط ، على يد « **إيديسون** » ، وهي منتشرة تغمر الدنيا كل الدنيا . ولا يعني هذا الشيوع والانتشار أنها أقدم وجوداً من قناديل الزيت . ومعنى هذا أن الدليل الذي اعتمد عليه « موسكاتي » ، وهو انتشار جمع التصحيح لا يعني بالضرورة أنه أسبق وجوداً من جمع التكسير ، بل العكس هو الصحيح ، وبسقوط الدليل يسقط المدلول .

●● **ثانياً** : هناك حقيقة واحدة ، يمكن الاطمئنان إليها ، وهي أن اللغات السامية الشمالية ، كالعبرية ، والسريانية مثلاً ، التي نراها اليوم وقد تخلت نهائياً من جموع التكسير ، لا يمكن تصور نشأتها على هذا الحال من الكمال . وإذن فلا بد لنا من المزيد من الأبحاث اللغوية المستمدة من نقوش هذه اللغات حتى يمكن التوصل إلى الحلقات المفقودة ، قبل اعتماد هذه اللغات على الجمع السالم فقط . فالذي لا شك فيه أن **جمع السلامة** يمثل في تاريخ هذه اللغات مرحلة اكتمال واكتهال . والكمال دوماً مسبوق بنقصان . كما أن زعم المستشرقين أن جمع التكسير اختصت به مجموعة اللغات السامية الجنوبية بما فيها لغتنا العربية ، فهذا الزعم أضحى وهماً باطلاً بعد أن ظفرت بجموع تكسير في اللغة العبرية القديمة في نقش « **ميشع** » **ملك مؤاب** المدون في القرن التاسع قبل الميلاد . واللغة العبرية إحدى لغات مجموعة اللغات السامية الشمالية . وبالتالي يثبت لنا أن التكسير ليس وقفاً على المجموعة الجنوبية وحسب . وليس بعد اليقين شك .

●● **ثالثاً** : ويدلك على أن الجمع السالم عرف بعد جمع التكسير ، وأنه يمثل مرحلة متأخرة في تاريخ اللغة ، أنه يعرب بالحروف . **ومن الثابت أن الإعراب بالحركات أسبق وجوداً من الإعراب بالحروف** ، كما أن المفرد يسبق الجمع وجوداً . فالإعراب بالحركات ، بمثابة البسيط والإعراب بالحروف بمثابة المركب . والبسيط يسبق المركب . لهذا كان إعراب المثنى والجمع السالم بالحروف ، لأن علامات إعرابهما قد وجدت بعد علامات إعراب المفرد ، وجمع التكسير .

●● **رابعاً** : جمع التكسير عام . بمعنى أنه يجمع به المؤنث والمذكر ، تقول : شاعر ، وشعراء . أو شاعرة وشواعر . أما جمع التصحيح ، فخاص لأن جمع المذكر السالم خاص بالمذكر العاقل ، وجمع المؤنث السالم خاص بالإناث . ومن البديهي أن العام يسبق الخاص . ومعنى ذلك أنه يتحتم القول : إن جمع



التكسير أقدم وجوداً من جمع التصحيح .

●● **خامساً** : ومن البراهين الدامغة على أسبقية جمع التكسير ، وقدمه على الجمع السالم ، أنك تجد بعض الجموع المكسرة قد جمعت جمعاً سالماً ، كما في « جمالات صفر » ، و « بيوتات العرب » ، و « نواكسون » .. إلخ ولست تجد في اللغة العربية كلها جمعاً سالماً قد كسرته العرب في لغاتها على الإطلاق . وليس هذا بالنسبة إلى اللغة العربية وحدها ، وإنما نجد مثل هذه الحقيقة في سائر أخواتها من اللغات السامية .

●● **سادساً** : ومن البديهيات أن المرء يبحث عن السهولة واليسر بعد المعاناة ، ولا يمكن تصور العكس على الإطلاق . ومعنى ذلك أنه لا يمكن أن تنشأ اللغة مكتملة ناضجة ميسرة باستخدام جمع السلامة منذ نشأتها . وبما أن جمع السلامة يمثل الصورة الميسرة للجمع ، فإن هذا يتفق مع قانون ميل اللغات إلى السهولة واليسر . إذ إنه لا يمكن أن نتصور لغة تنشأ على جمع التصحيح في مهدها ، كما لا نتصور وليداً أو رضيعاً يعدو على الطريق . فلسنا نألف شيئاً كهذا في منطق الوجود على الإطلاق .

وبعد ... فمما سبق يتحتم القول : بقدم جموع التكسير وسبقها وجوداً على جمعي السلامة ، خلافاً لما ذهب إليه المستشرقون .





مُنى يا دمعة ناحت ... على أجفان باكيها
مُنى أنشودة حيرى .. ... تُقَطِّعُ قلب شاديها
مُنى قيثارة عَزفت ... بأوتاري أغانيها
مُنى يا بلسماً جافى ... جراحاً ليس يشفيها
فأنت بلسمي والدا ... ء والدنيا وما فيها
وأنت حمامة هجرت ... من الدنيا روابيها
وحلّت حيثما حلّت ... فذاك القلب يحويها
شموع أنت موقدة ... على دربي معانيها
عيون أنت مبصرة ... لحاضرها وماضيها
وأقلام مشرّفة ... بذكر الله هاديها
وأشعار مهذبة ... أموج على قوافيها
مُنى يا طيفي الأبهى ... على عيني يُناجيها
يقول لها منى رحلت ... فيغرق في مجاريها
ويبقى الصبر متكئ ... على نفسي يُسَلِّيها
ويشهد كوكب الأحلا ... م أسرى خلف حاديها
مُنى يا قصة باتت ... سطور الصبر تحكيها
أتنسى النفسُ من قد كا ... ن قبل الهجر يبكيها ؟
أتنسى شاهقات المج ... د حُبُّك راح يبنيها ؟
لأي الذنب قد ردّ ... ت رياض الوصل داعيها ؟
أمحكمة الهوى رضيَت ... قرار الهجر قاضيها ؟
أم الأيام صاغرة ... لقصد ليس يُرضيها ؟
مُنى فلْتفخر الأيا ... م ولتعلو كراسيها
فسوف يُميتُها صَبري ... وأحيا في تداعيها



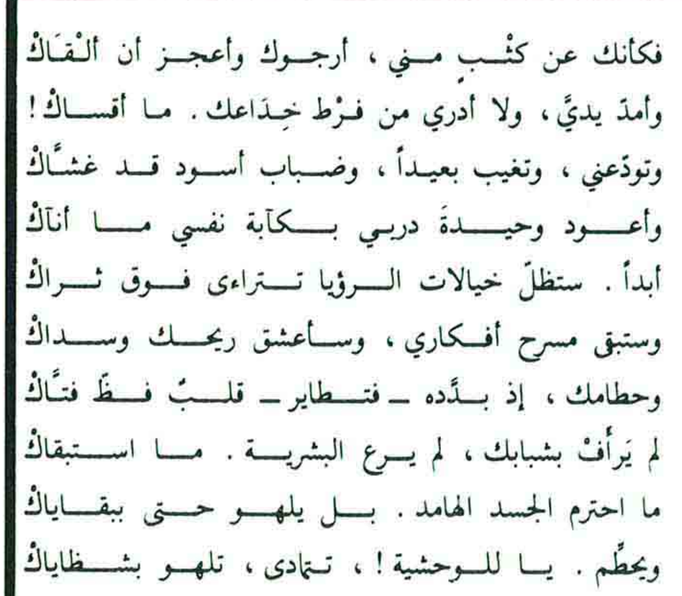
امرأةٌ من بيروت

شعر: د. يوسف حسن نوفل

سأخضِّب بالعطر ثـراكْ ، وأقبِّـل آثـار خـطـاكْ
وألـملم أشـلاءَ الـذكرى تـزاور في مـوكب ذكراكْ
إذ يَصْعَدُ ، يصعدُ لـلآفاق العليـا ينشـدُ أن يلقـاكْ
يلقاكَ وأنت قرين الخلـد قـريراً تحـدوك الأفـلاكْ
يا مبقي النفس ومخلدها بـالبذل غـدت تعـطي يمنـاكْ
روحاً تسـمو ، وهـوًى يـذكو ، يتوقّد يغلي بـدماكْ
يدفعك لتجتـاز الأهـوال ، وتمضي تتخـطى الأشـواكْ
وجَنانك كالصخرة صلبٌ يحميك مـن الجـبن وينهـاكْ
فتغامر لا تعرف خوفاً ، فـكأنَّ لهيـبَ النـارِ منـاكْ
وكأنَّ البـارودَ أنيسٌ ، يحـدوك وتحـدوه لقيـاكْ

* * *

يا لَلأيامِ مضت وأنـا مـا زلـت على عهـدي لأراكْ
وأرى بسْماتـك في ظلّي ، ووجـودي أمسى مـن ذكراكْ
لا أنسى أوقـاتاً خلـدتْ في أعمـق أعماقي بـرؤاكْ
إذ تحـوي كفي قبضتـُك الشمّاء ، وتحنـو ، يـا لقـواكْ !
وتديم النـظرة في عينيّ طـويلاً ، تبسـم لي شـفتاكْ
تسـمعني كلماتٍ تُطْربُ أسمـاعي ، وتـزيد بهـاكْ
نبراتك كانـت تسـحرني ، وتهز كيـاني بصـداكْ
بادرتَ بساعدك المفتـول تـطوّقني ، ويفـوح شـذاكْ
ينتشر ، يهدهد أحـلامي ، ويـداعب أجفـاناً تهواكْ
وتـكرّر وعـدك : لن أنسى ، وتنبّهـني الا أنسـاكْ
أنساك ! وكيف ؟ . . وكل كياني قبسٌ من لـمحات ضيـاكْ
أنساك ! وقلبي لا يفتأ ـ مـن لـوعته ـ يـرجو رؤيـاكْ
أنساك ! وسحنتك الغراء تـطلّ وتبـدو مـن مثـواكْ



فكأنك عن كثـبٍ مـني ، أرجـوك وأعجـز أن الْقـاكْ
وأمدّ يديَّ ، ولا أدري من فـرْط خِـدَاعك . مـا أقسـاكْ !
وتودّعني ، وتغيب بعيـداً ، وضـباب أسـود قـد غشّـاكْ
وأعـود وحيـدةَ دربـي بـكآبة نفسي مـا أنآكْ
أبداً . ستظلّ خيالات الـرؤيا تـتراءى فـوق ثـراكْ
وستبق مسرح أفـكاري ، وسـأعشق ريحـك وسـداكْ
وحطامك ، إذ بـدّده ـ فتـطاير ـ قلـبٌ فـظّ فتّـاكْ
لم يَرأفْ بشبابك ، لم يـرع البشريـة . مـا استبقاكْ
ما احترم الجسد الهامد . بـل يلهـو حـتى ببقـاياكْ
ويحطّم . يـا للـوحشية ! ، تـمادى ، تلهـو بشـظاياكْ





رحلة في كتاب العلم عبر العصور

تأليف :
ماريون فلورنس لانسنج
عرض وتقديم :
مهندس. حسن الشامي

هذا الكتاب طبع لأول مرة في مايو (أيار) عام ١٩٢٧ م ، وأعيد طبعه في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٢٨ م ، ثم في يونيو (حزيران) عام ١٩٣٠ م . . وعدد صفحات الكتاب (٢٥٤) صفحة من القطع المتوسط . . وقد صدر في سلسلة (حكاية العلم عبر العصور) . . . Told Through The Ages وهذه السلسلة شهيرة ، وصدر منها عدد من الكتب في مجال التاريخ مثلاً : كتاب عن عصر النهضة في أوروبا Renaissance ، وكتاب عن الثورة الفرنسية ، وكتاب عن التاريخ الفرنسي ، وكتاب عن التاريخ الإنجليزي ، وكتاب عن تاريخ اسكوتلندا ، وكتب تناولت أبطال العصور الوسطى ، وأبطال أوروبا الحديثة .

وفي الأدب مثلاً ، صدر منها : قصص لشكسبير Shakespeare ، وقصص لديكنز Dickens ، ودانتي Dante ، وجورج إليوت G. Eliot ، وتراجيديا الإغريق ، وكذلك أشهر أساطير الإغريق .

وفي التراجم الذاتية صدرت كتب عن اللورد كتشنر Kitchener ، ونلسون Nelson ، ونابليون Napoleon ، وقصص الطفولة لمشاهير الرجال وغيرها .

محتويات الكتاب

يحتوي كتاب **العلم عبر العصور** (Science Through The Ages) بقلم : **ماريون فلورنس لانسنج** على مقدمة يوضح فيها المؤلف هدف الكتاب . وكذلك يحتوي على عشرة فصول ، وملحق في نهاية الكتاب عبارة عن لوحة زمنية A time – table ، توضح القفزات الهائلة في العلم ، مؤرخة بالسنة التي تم فيها الاختراع ، والبلد الذي أسهم في هذا الاختراع ، وكذلك العالم أو العلماء أصحاب الفضل الأول في هذا المجال . ويعتبر المؤلف هذه اللوحة دليلاً ومرشداً للقارئ يلخص فيه القفزات الهائلة في العلم التي تضمنها هذا الكتاب حتى عام ١٩٢٦ م ، عندما بدأ الطيران إلى ومن أستراليا على يد **سير ألن كوبهام** Sir Alan Cobham .

كتاب جدير بالقراءة

إن العلم استحدث أدوات الحياة الحديثة الذي تعزى إليه وسائل الراحة والرفاهية والمقدرة لم ينبع من فراغ .

فالعلم هو معلومات إنسانية تم تحصيلها والوصول إليها ببطء وعناء بواسطة رجال مثلنا ، سخروا العلم لخدمة البشرية جميعاً .

وهذا الكتاب يقدم لنا هؤلاء الرواد في العلم ، الذين قدموا خدمات جليلة للعلم ، ففي قصصهم نتعرف عليهم في قممهم الشامخة . وعبر العصور ، فهم الذين يصنعون التاريخ .

مقدمة الكتاب

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب : « إن الطباعة والماكينات المسيرة ذاتياً ، والاتصالات السلكية واللاسلكية عبر الفضاء ، ما هي إلا أمثلة لهذه الاكتشافات التي غيَّرت العالم . وهناك وراء كل اكتشاف رجل أو مجموعة من الرجال المهرة المبدعين .





في هذه الصفحات سنلتقي بهؤلاء الرجال ، بعضهم حاز الشهرة ، وبعضهم لم يكن مشهوراً ، ولكن كل هؤلاء الرجال نحن مدينون لهم بدين كبير . سنلتقي معهم في لحظة اهتزاز المشاعر عند انتصارهم وتحقيق نجاحهم » .

ويؤكد المؤلف أننا نفخر بأنفسنا وبالتالي نفخر بعالمنا . فكل مجموعة من القصص تمس وتراً حساساً وأفكاراً إنسانية ترتبط بشيء من حياتنا المعاصرة .

فالاكتشاف المبكر للنار والفوائد التي ترتبت على ذلك ، جعلنا نطلق على العصر كله : (**عصر النار**) الذي أدى بنا وبأولادنا وأحفادنا فيما بعد إلى : (**عصر الكهرباء**) .

فإذا كان الإنسان الأول قد سيَّر **العجلات** Wheels بنفسه أولا ، فالإنسان المعاصر جعل الآلات تقوم بالمهمة ، حيث اكتشف كيف يستخدم **الوقود وطاقة الماء والكهرباء** ، لتؤدي هذا الغرض . وحينما أراد الإنسان الطيران ، فإن الآلات التي تستخدم البترول كوقود جعلت هذا ممكناً .

وقد بذلت محاولات عديدة للتغلب على المشكلات المتراكمة في الزمان والمكان ، حتى لا يضطر الإنسان إلى المعيشة في عالم مغلق محدود .

إن الكتابة والطباعة والتصوير الفوتوغرافي ، وتسجيل الأصوات ، ثم إعادة سماعها مرة أخرى ، مَكَّنَت الإنسان من السيطرة Control ، أما اللاسلكي ، والآلات البخارية ، والسيارات ذات المحركات ، والطائرات فقد جعلت الإنسان يتغلب على المسافات والوقت .

لماذا هذا الكتاب ؟

ومن خلال تصفحنا لموضوعات الكتاب ، نجد أن غيرة المؤلف **ماريون فلورنس لانسنج M. F. Lansing** على العلم والعلماء جعلته **يؤلف هذا الكتاب** .

وقال : إن الشباب والفتيات الذين وجدوا أنفسهم في هذا العالم الجديد والمدهش ، يجب أن يعلموا كيف قامت حضارتنا الحديثة ليقرأوا عن هؤلاء الرواد .

ففي رأيه أن ما يجعل الشباب فخورين لانتسابهم إلى البشرية هو أن يعرفوا كيف كافح هؤلاء الرجال والنساء الذين يشبهونهم في معركة (العلم عبر العصور) .

والمؤلف من خلال كتابه يلقي الضوء في محاولة لإعادة عرض (سينمائي) للشباب ليمسكوا ليس بالماضي والحاضر فحسب بل أيضاً ليسهموا بجزء في الاكتشافات العظيمة التي يمكن أن تتم مستقبلاً .

محتويات الكتاب

يحتوي الكتاب على عشرة فصول :

- ★ **الفصل الأول** : عصر النار .
- ★ **الفصل الثاني** : دورة الغذاء .
- ★ **الفصل الثالث** : استخدام العجلات Wheels .
- ★ **الفصل الرابع** : من الألياف Fibers إلى الملابس .
- ★ **الفصل الخامس** : قصص عن الزمان والمكان Time and Space .
- ★ **الفصل السادس** : الوقود كمصدر للطاقة .
- ★ **الفصل السابع** : قصص أخرى عن الزمان والمكان .
- ★ **الفصل الثامن** : عجائب الضوء .
- ★ **الفصل التاسع** : مصادر جديدة للطاقة .
- ★ **الفصل العاشر** : العالم الواحد .

من حق مؤلف هذا الكتاب أن نعترف له بأنه كان محقاً في اعترافه بفضل العلماء والمكتشفين الذين يَسَّروا لنا حياتنا المعاصرة من خلال العديد من الاكتشافات التي أضافوها إلى رصيد البشرية . كل هذه الاختراعات بذل فيها من الجهد البشري : بدنياً وفكرياً . . الكثير الذي يستحقون من أجله التقدير والاحترام .

ومن حق المؤلف أن نذكر أنه كان عادلا في سرده لتاريخ (العلم عبر العصور) حيث تناول تاريخ العلم بموضوعية ، ونسب كل اختراع إلى الشعوب التي ساهمت فيه بقدر أو بآخر .

* قبل التاريخ Prehistoric :

استطاع الإنسان الأول Early man التوصل إلى سر النار . حيث استخدمها منذ نصف مليون عام . . صحيح أنه لا يوجد ما يؤكد أنه عرف طريقة إشعالها . . لكنه استخدمها على أية حال . . ومن المحتمل أنه اعتمد في ذلك على المصادر الطبيعية للنار مثل البرق أو الرماد المتوهج بالحرارة الذي تقذف به البراكين . وهناك طريقتان بسيطتان لإنتاج النار : إما بالقدح . . وإما باحتكاك الخشب .

ولا بد أن الإنسان قد اكتشف منذ القدم أن حجر الصوان وبيريت الحديد (وهو صورة معروفة من خامات الحديد) قد ولَّدا شرارات عند

اصطدامها ببعضها بعضاً . . نظراً لأن كل الأدوات الحجرية البدائية كان يتم صنعها بنحت حجر الصوان وقد تم استخراج حجر الصوان مع أداة حديدية لإشعال النار من « **ريونيوليثيك** » بإنجلترا ، ويدل ذلك على أن هذه الطريقة عرفت منذ ٣٥٠٠ عام تقريباً . وظلت مجموعة حجر الصوان والحديد بمثابة الطريقة القياسية للحصول على النار . . إلى أن تم اكتشاف الكبريت الذي يشتعل بالاحتكاك عام ١٨٢٧ م .

كذلك اخترع الإنسان الأول الأسلحة Weapons ، والآلات Tools ، وذلك من خلال اكتشاف المعدن المصهور . وتوصل الإنسان الأول إلى صناعة الخزف من الطمي ، وصنع من هذا الخزف الأواني الفخارية التي تصلح لمختلف الاستخدامات . كل هذا إلى جانب اختراع **المزولة الشمسية** Sun dial **والمصباح** Lamp ، كوسائل ساعدت على تقدم البشرية .

* قديماً وحتى سنة ٤٧٦ ق . م :

استطاع **البابليون** Babylonians التوصل إلى صناعة آلة صقل الورق أو القماش Calender ، أما **المصريون والصينيون** فقد توصلوا كل على حدة إلى **اختراع ساعات الماء** . وتوصل المصريون بمفردهم إلى **الساعات الزجاجية** ، وكذلك عجلات الماء .

معرفة حروف الهجاء

يمكن القول إن جميع البشر ساهموا في التوصل إلى حروف الهجاء كوسيلة للتفاهم ، ولكن كان الإسهام الأكبر للحضارة البابلية وقدماء المصريين والإغريق Greeks . وقد انفرد قدماء المصريين دون غيرهم بالتوصل إلى استخلاص **ورق البردي** للكتابة عليه . أما الصينيون فقد توصلوا إلى سر **صناعة الورق** وكذلك الاستفادة من الطفلة China وغزل الحرير Silk واختراع البوصلة Compass وتوصل **الفينيقيون** إلى صناعة الشموع Candles وقوالب الشمع حيث استخدموها في الكتابة عليها ، ثم إعادة صهرها عندما ينتهي الغرض منها .

العصور المظلمة Dark Ages

كانت الفترة من القرن السادس وحتى القرن الخامس عشر تسمى في أوروبا بالعصور المظلمة ، حيث كانت أوروبا تعيش في سبات عميق ولم تساهم في تاريخ العلم في ذلك الوقت بأي قدر . بينما هناك شعوب أخرى ذات حضارة عريقة ـ مثل **الحضارة العربية في ظل الإسلام** ـ كان لها دور كبير في تاريخ العلم . هذا ما اعترف به ماريون فلورنس لانسنج مؤلف هذا الكتاب .

فالعرب في عام ٧٥١ م ، استطاعوا **فتح سمرقند** Samarkand على حدود الصين الغربية وعرفوا عن طريق الصينين صناعة الورق Paper-making التي كانت سراً من أسرار الصينيين الخاصة لم يعرفه العالم إلا على أيدي العرب المسلمين ، الذين قاموا بنشر هذه الصناعة في البلاد المفتوحة في شمالي إفريقيا ثم وصلت أوروبا . **وأنشئ أول مركز لصناعة الورق في أوروبا في مدينة فبريانو بإيطاليا عام ١١٥٠ م .**

وكذلك حوالي عام ١٠٠٠ م ، **توصل العرب إلى اختراع البوصلة** Compass التي سهلت ارتياد البحار ومجاهل الصحراء وساعدت كثيراً في تقدم البشرية .

وحوالي عام ١٣٩٢ م ، توصل **الإيطاليون** إلى تجهيز الحجرة المظلمة لعرض الصور الفوتوغرافية Camera Obscura التي تعتبر البداية الأولى لدور العرض السينمائي .

العصور الوسطى Middle Ages

وهي فترة القرنين الرابع عشر والخامس عشر . في عام ١٤٠٨ م ، توصل **الهولنديون إلى اختراع طواحين الهواء** Wind mill حيث استفادوا من طاقة الرياح .

وأبرز اختراع في هذه الفترة هو **اختراع آلة الطباعة الحديثة** ، حيث توصل **جوتنبرج** Gutenberg **وكوستر** Coster عام ١٤٤٠ ـ ١٤٥٠ م ، إلى اختراع آلة الطباعة الحديثة التي كانت فتحاً كبيراً في تاريخ العلم وتطور وسائل الاتصال وتبادل المعلومات المكتوبة .

عصر النهضة Renaissance

وهذا التعبير شاع وانتشر كتعبير عن فترة النهضة التي مرت بها أوروبا نتيجة الاكتشافات العلمية والثورة التي أحدثها البخار والآلات البخارية .

يذكر المؤلف في هذا الكتاب ، **اختراع البندول** عام ١٥٨١ م ، على يد **جاليليو** Galileo وكذلك التطبيقات العديدة التي استخدم فيها البندول .

وفي عام ١٦٠٩ ـ ١٦١٠ م ، توصل كل من **ليبرشي** Lippershey وجاليليو إلى اكتشافات عديدة في مجال الفلك . ودعا جاليليو إلى هدم النظرية القديمة الشائعة عن أن الأرض هي مركز الكون . وقال : إن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية حيث تدور حول الشمس مجموعة



من الكواكب ، منها كوكب الأرض . وقال : إن الأرض كروية تدور حول الشمس فتنتج الفصول الأربعة ، وتدور الأرض حول محورها فينتج عن ذلك الليل والنهار . والحقيقة أن هذه الحقائق العلمية توصل إليها العلماء العرب والمسلمون من قبله بعدة قرون .

وفي عام ١٦٥٧ ـ ١٦٦٥ م ، توصل **كريستيان هيونز** Christian Huyghens إلى اختراع الساعة ذات البندول .

العصور الحديثة Modern - Times

في عام ١٧٠٠ ـ ١٧١٠ م ، توصل **بوطجر** Bottger إلى صناعة الخزف والصيني China-Making وتوصل **فرانكلين** Franklin عام ١٧٥٢ م ، إلى تعيين الإضاءة Lightning identified التي أفادت في مجال تقدم علوم الطيران .

وفي عام ١٧٦٩ م ، توصل **وات** Watt إلى **اختراع الآلة البخارية** Steam Engine التي أدت إلى تقدم عدد كبير من الصناعات الهامة . ونقلت أوروبا من العصور الوسطى إلى العصر الحديث .

وفي عام ١٧٨٣ م ، توصل **مونتجولفيرز** Montgolfiers إلى اختراع البالون واستخداماته العلمية العديدة . أما في عام ١٨١٠ م ، فقد توصل **أبرت** Appert إلى عمليات التعليب Canning . وفي عام ١٨٢٠ م ، توصل **أورستيد** Oersted إلى أسس **المغناطيسية** Magnetism identified . وتوصل **ستيفنسون** Stephenson إلى **اختراع القطار** Locomotive عام ١٨٢٩ م . وفي عام ١٨٣١ م ، توصل **فاراداي** Faraday إلى **نظرية المولد الكهربي** Dynamo .

وكان اكتشاف **مورس** Morse سنة ١٨٣٨ ـ ١٨٤٤ م ، **لجهاز التلغراف** Telegraph فتحاً جديداً في العلم . وفي عام ١٨٣٩ م ، توصل **داجير** Daguerre إلى نظريات التصوير الفوتوغرافي .

وفي عام ١٨٥٦ م ، توصل **بيركن** Perkin إلى صبغة الأنيلين Aniline Dyea . وفي عام ١٨٥٨ م ، استطاع **سيروس فيلد** Cyrus Field اختراع الكابل التلغرافي البحري عبر الأطلنطي .

في ٥ أغسطس (آب) ١٨٥٨ م ، تلقى **الرئيس الأمريكي بوكنن** Buchanan هذه الرسالة التي تعتبر **أول برقية أرسلت بالتلغراف البحري عبر الأطلنطي** :

إلى رئيس الولايات المتحدة ـ واشنطن

سيدي الرئيس :

في التاسع والعشرين من يوليو (تموز) ، تم في وسط المحيط الأطلنطي ربط الكابل التلغرافي المحمول على متن **البارجة البخارية الأمريكية (نياجرا) ، وبارجة بريطانيا العظمى (أجاممنون)** .

ولقد تم وضع الكابل بنجاح في قاع المحيط بمجرد أن تم ربطه بالخطوط الأرضية . ستبعث إليكم الملكة فيكتوريا رسالة ، وسوف نترك الخط مفتوحاً حتى ترسلوا ردكم .

مع عظيم احترامي «««

سأظل خادمكم المطيع

سيروس فيلد

وفي عام ١٨٥٩ م ، استطاع **دراك** Drake أن يفيد مجال البترول Oil . وفي أوروبا وأمريكا وبريطانيا توصلوا عام ١٨٦٠ ـ ١٨٨٠ م ، لصناعة ماكينات البترول Petrol-Engines . وجاء عام ١٨٦٠ م ، توصل **باستير** Pasteur لسر **البكتيريا** Bacteria . وكان إسهام **ألكسندر جراهام بل** A.G. Bell **لاختراع التليفون** عام ١٨٧٦ م ، من أهم الإضافات العلمية الحديثة .

وجاء عام ١٨٧٧ م ، ليضيف **أديسون** Edison اكتشافاً جديداً هاماً وهو **اختراع الفونوغراف** ، أما عام ١٨٨٥ م ، فكانت السيارات ذات المحركات تسير في شوارع أوروبا وأمريكا .

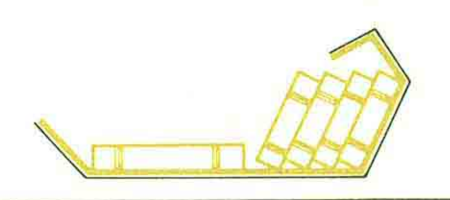
وجاء عام ١٨٩٥ م ، ليكتشف **رونتجن** Roentgen **الأشعة السينية** (X-Ray) وسميت باسمه بعد ذلك : واستخدمت في تطبيقات عديدة .

واكتشف **ماركوني** Marconi اللاسلكي بعد مئات التجارب وذلك عام ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ م . **أما أول طيران ناجح بالطائرة فكان على يد أخوان رايت** Wright Brothers عام ١٩٠٣ م ، وفي إنجلترا نجح **سير الكوك** Sir J. Alcock في الطيران عبر المحيط الأطلنطي وكان ذلك عام ١٩١٩ م ، حيث نجح كذلك **سير روس سميث** Sir Ross Smith في الطيران إلى أستراليا .

وفي عام ١٩٢٦ م ، استطاع **نورواي الطيران للقطب الشمالي . وكذلك نجح سير ألن كوبهام في الطيران إلى ومن أستراليا .**

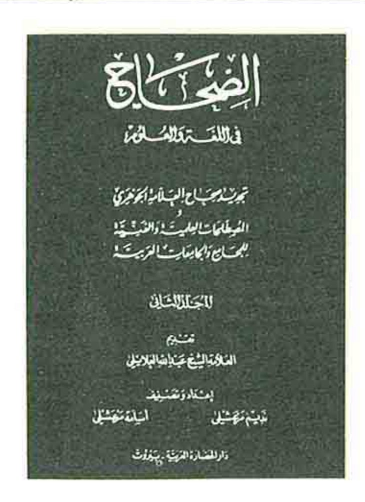
خاتمة

إن هذا الكتاب الذي يلخص لنا رحلة « العلم عبر العصور » بأسلوب بسيط وشيق وبموضوعية شديدة لجدير بالقراءة . وإن مؤلف هذا الكتاب « ماريون فلورنس لانسنج » يستحق التحية على الجهد المبذول من أجل الحقيقة ومن أجل تسجيل أعمال هؤلاء العلماء الذين أثروا حياتنا على مدى التاريخ .



معجم الصحاح
بين الأصالة والحداثة

بقلم: محمد حسن بريغش



مكتبتنا العربية غنية بالتراث العظيم الذي تركه أجدادنا في كل أنواع المعرفة، لكنه ما زال موزعاً في مكتبات العالم ينتظر الجهود المخلصة واليد الحانية الأمينة التي تخرجه من المخطوطات القديمة إلى النور لكي يصل إلى عقول الأحفاد.

والعناية بنشر التراث عمل يستحق كل تقدير، لأنه يعبّر عن وعي الذات على أصالتها، وما يكمن في أحشاء تاريخها من درر يمكن أن تساهم في بناء المستقبل، لذا كان واجب العناية بالتراث ـ تحقيقاً ونشراً ـ أول الخطوات التي توصل الأمة إلى مرحلة النضج والعطاء والمعاصرة بمعناها الإيجابي، وكل مدخل إلى العصر لا يمر من هذا الباب يبقى خاطئاً لأنه يضع الأمة في موضع التبعية والاستجداء، لأنها تدخل بلا هوية.

والعناية بالتراث عملية واعية تخرج عن إطار التقليد الأعمى لتكون شيئاً يشبه حفر الأرض البوار إلى أعماق يصلح فيها الإنبات وبذر للبذور الجافة ليكون بعدها السقي والتعشيب والتقليم والإثمار والتنويع.

وتأتي معاجمنا اللغوية القديمة في قمة هذه الكتب التراثية التي احتضنت لب المعرفة وخلاصة التفكير لهذه الأمة عبر تطورها الطويل، وهي أيضاً أوعية الأفكار والمشاعر، والمَعْبر الذي يصل به الإنسان إلى الإنسان، وتبقى دائماً معبرة عن نشاط الإنسان في المحيط الذي عاشت فيه هذه اللغة.

ويحدد بعض العلماء وظيفتها: بأنها الوسيلة التي يمكن بها تحليل أية فكرة أو صورة ذهنية إلى أجزائها وخصائصها، وتتلخص هذه الوظيفة بالأمور التالية:

١ ـ تجعل للمعارف والأفكار البشرية قيماً اجتماعية.

٢ ـ تحتفظ بالتراث الثقافي جيلاً بعد جيل.

٣ ـ وهي وسيلة تساعد الفرد على تكييف سلوكه وضبطه كي يناسب تقاليد المجتمع وسلوكه.

٤ ـ تزود المرء بأدوات التجريد الفكري والتأملي.

وما دامت اللغة تحتل هذه المكانة، ولا سيما لغتنا العربية التي اختارها الله تعالى وكرمها لينزل بها كتابه الكريم، فحفظها من الضياع، وصانها من عبث التطور الشاذ، فإن العناية بالمعاجم، وكتب اللغة أمر مهم، لأنه يساهم في بناء الأسس العميقة لتطور هذه الأمة ونهضتها في ظل شريعة الله عز وجل، وعلى هدي كتاب الله عز وجل.

ومن المعاجم المهمة التي تركها لنا علماؤنا القدماء معجم «**الصحاح**» لمؤلفه **إسماعيل بن حماد الجوهري** الذي أسمى معجمه «**تاج اللغة وصحاح العربية**»، وهو معجم تميّز بأشياء افتقدتها بقية المعاجم. يقول عنه **الثعالبي** في «يتيمة الدهر»: «وله ـ أي للجوهري ـ كتاب الصحاح في اللغة، وهو أحسن من «الجمهرة». وأوقع من «تهذيب اللغة» وأقرب متناولا من «مجمل اللغة»»[1].

ويقول عنه **الباخرزي** صاحب الدمية:

«وهذا الكتاب ـ يعني الصحاح ـ هو الذي بأيدي الناس اليوم، وعليه اعتمادهم، أحسن تصنيفه، وجوّد تأليفه، وقرّب متناوله، وأبرّ[2] من ترتيبه على من تقدمه، يدل وضعه على قريحة سالمة، ونفس عالمة، فهو أحسن من «الجمهرة» وأوقع من «تهذيب اللغة، وأقرب متناولا من «مجمل اللغة».»

وقال عنه **ابن منظور** في مقدمة معجمه الكبير «لسان العرب»:

«لم أجد في كتب اللغة أجمل من «تهذيب اللغة» **لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري** ولا أكمل من «المحكم» **لأبي الحسن ابن إسماعيل بن سيده الأندلسي** ـ رحمهما الله ـ وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات الطريق، غير أن كلاً منهما مطلب عسر المهلك، ومنهل وعر المسلك، وكأن واضعه شرع للناس مورداً عذباً، وحلاهم عنه، وارتاد لهم مرعى مربعاً، ومنعهم





منه ، قد أخّر وقدّم ، وقصد أن يعرب فأعجم ، فرّق الذهن بين الثنائي المضاعف والمقلوب ، وبدّد الفكر باللفيف والمعتلّ ، والرباعي والخماسي فضاع المطلوب ، فأهمل الناس أمرهما ، وانصرفوا عنهما ، وكادت البلاد ــ لعدم الإقبال عليهما ــ أن تخلو منهما ، وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب ، وتخليط التفصيل والتبويب ، ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن بترتيب مختصره ، وشهره بسهولة وضعه ، فخف على الناس أمره فتناولوه ، وقرُب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه » .

وقال **السيوطي** في كتابه « المزهر » (١ ــ ٩٧) بعد أن سرد طائفة من كتب اللغة ومعاجمها المشهورة :

« وغالب هذه الكتب لم يلتزم مؤلفوها الصحيح ، بل جمعوا فيها ما صح وغيره ، وينبهون على ما لم يثبت غالباً ، وأول من التزم الصحيح مقتصراً عليه الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، ولهذا سمّى كتابه الصحاح » .

وقال عنه **الزبيدي** شارح « القاموس » في مقدمة معجمه « تاج العروس في شرح القاموس » : « أول هذه المصنفات وأعلاها عند ذوي البراعة . وأغلاها كتاب الصحاح للإمام الحجة أبي نصر الجوهري . . . » (المقدمة ٣ ــ ٤) .

وقال **ابن الطيب الفاسي** في مقدمة « التاج » :

« إن الجوهري خطيب المنبر الصرفي ، وإمام المحراب اللغوي » .

وقال أيضاً « إن الله قد رزق الجوهري شهرة فاق بها كل من تقدمه ومن تأخر عنه ، ولم يصل شيء من المصنفات اللغوية في كثرة التداول ، والاعتماد ــ على ما فيه ــ إلى ما وصل إليه كتاب الصحاح ، وإن فيه من الفوائد المهمة التي أهملها صاحب القاموس كثيراً من القواعد الصرفية ، والشواهد المحتاج إليها في العلوم الشرعية والأدبية » .

وقال **ابن بري** : « إن الجوهري أنحى اللغويين »[3] .

منهج الصحاح

ولا بد أن نوضح **منهج الصحاح** لنرى ميزة هذا المعجم بعد رأينا شهادة اللغويين وأصحاب المعاجم فيه .

لقد ابتكر الجوهري طريقة جديدة في التأليف المعجمي سبق بها غيره ، وخالف من سبقه حتى سهل على الباحثين الأخذ منه والاستفادة من مادته .

وهذه الطريقة تعتمد على **ترتيب الكلمات حسب حروف المعجم ، واعتبار آخر حرف في الكلمة بدلا من الأول ، وجعل الباب للحرف الأخير ، والفصل للحرف الأول .** فكلمة (شرف) يبحث عنها في باب الفاء فصل الشين ، ويذكر في الباب كل كلمة في اللغة وصلت إليه ، وصحت لديه عروبتها على أن تكون منتهية بحرفه ، ويوزع الكلمات على الفصول ، وهي ثمانية وعشرون فصلاً ، بعدد حروف المعجم كالأبواب ، وكذلك **يرتب الكلمات داخل الفصل الواحد حسب الحرف الثاني من الكلمة** مثلاً « شرف » تأتي قبل « شطف » وقبل « شغف » وهكذا . .

وسبب اختياره للحرف الأخير راجع إلى علمه الواسع بالصرف كما شهد له اللغويون وكثرة اشتغاله به ، فهو قد رأى أن ميزان الكلمة (الفاء والعين واللام) والتغيير يلحق ما قبل لام الكلمة ، وتنقلب « فعل » بين أحوال كثيرة ، وتأتي في صور شتى وهي : أَفْعَل ، وفَعَّل ، وفاعَل ، وانْفَعَل ، وافْتَعَل ، وافْعَلّ ، وتَفاعل ، وتَفَعَّلَ ، واسْتَفْعَل ، وافْعَوْعل ، وافْعَوْعَل ، وافْعَوَّل ، وافْعَالّ .

وهذه هي أوزان مزيد الثلاثي المجرد ، ويظهر منها أن التغيير تناول الفاعل والعين ، فتارة يتقدم الفاء حرف وتارة حرفان وتارة ثلاثة ، أما العين فقد تنفصل عن الفاء ، وقد تنفصل عن اللام ، وقد تضعّف .

أما لام الكلمة فثابتة لا تتغير مهما اختلفت صورة الكلمة إلا في حالات قليلة ، ومتى لحقها التغيير أو زيد بعدها حرف أو حرفان ، فإن الكلمة تنتقل إلى أوزان أخرى ، ولا تعتبر من الثلاثي ، بل تصير رباعية أو خماسية .

ورأى الجوهري أن الفاء والعين لا تثبتان في موضع ، ولا تبقيان على حال أما اللام فثابتة ، فترك ترتيب الكلمات على أوائل الحروف لأن فيه مَتْيَهة الباحث الذي لا يعرف التصريف والمجرد والمزيد »[4] .

وكذلك التزم طريقة للضبط بالحركات ولم يتبعها أحد قبله ، فإذا أراد ضبط اسم قال : « الكُداد ، بالضم » و « الكُرْد ، بالضم » و « الكُودِيدة ، بالكسر » وهكذا . . .

وإذا كان في الكلمة لغات أشار كقوله « حوب » فيه ثلاث لغات » ويذكر اللغات .

وأهم من هذا كله أن الجوهري **أودع كتابه هذا ما صح عنده من هذه اللغة على ترتيب لم يسبق إليه ، وتهذيب لم يغلب عليه**[5] .

ويلخص لنا **الأستاذ العطار** محقق المعجم الأصلي للصحاح مزايا هذا المعجم فيقول :

« الصحاح خير المعجمات التي سبقته أو عاصرته قاطبة ، لأن له مزايا وخصائص يفضل بها غيره ، ومن هذه المزايا :

التماسه الصحيح الذي لا خلاف فيه ، وسهولة تناوله ومأخذه ، ويسر البحث فيه والوصول إلى الكلمة المقصودة دون جهد أو عناء ، واختصاره في الشرح والتفسير ، وتركه الفضول الذي لا غناء فيه ، وجمال أسلوبه في الشرح وذكره شواهد من الشعر الرفيع وكلام العرب غير المصنوع ، وتجاوزه ذكر أسماء من ينقل عنهم غالباً رغبة في الإيجاز ، وعنايته بمسائل النحو والصرف ، وإشارته إلى الضعيف والمنكر والمتروك والرديء المذموم من

اللغات ، وإلى العامي المولد والمعرّب ، والاتباع والازدواج والمشترك والمغاريد والنوادر والألفاظ التي لم تأت في الشعر الجاهلي ، وذكرها الإسلام ، وإلى الأضداد . وسمة الصحاح ــ بعد هذا كله ــ أنه يجمع الصحيح مع الترتيب المحكم ، والتنسيق المنظم ، والاختيار الموفق »

* * *

لقد استغرقنا هذا الشوط في الحديث عن الصحاح لندرك أثر التغيير الذي تركه تصنيف هذا المعجم المهم ــ للأستاذين : « **نديم مرعشلي ، وأسامة مرعشلي** » على هذا المعجم ، وما له من إيجابات مهمة .

إذ أصدرا طبعتين للمعجم ، الأولى أسموها (**الوسيط**) في مجلد واحد ، والثانية (**الموسع**) في مجلدين ، دون تسمية وكلتاهما تحمل اسم الصحاح « **الصحاح في اللغة والعلوم** » تجديد صحاح العلامة الجوهري و « **المصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية** » .

والذي عمله المصنفان أنهما عمدا إلى مادة الصحاح فأعادا ترتيبها حسب أوائل الكلمات وبذلك أفقدا هذا المعجم الأصيل ميزة من ميزاته المبتكرة التي تضبط الكلمات تحت اسم السهولة .

وكذلك أسقطا بعض الكلمات والشروح من المصنف الجديد ، باسم التهذيب وقالا عنه بأنه « يكاد يكون نسخة مهذبة عن « المنتهى » للعلامة البرمكي إن وجد » ، وكذلك « أسقطا الكثير من القضايا الصرفية والنحوية » ، وأسقطا كلمات الموازين ، ورأيا أن الحروف المشكولة تحل محلها ، وتقوم بدلا عنها ، واختصرا الشواهد الشعرية الموغلة في البداوة أو المتسمة بالسطحية .

وهذه التغييرات التي أدخلها المصنفان أفقدت هذا المعجم أهم ميزاته ، أما ما حذفه المصنفان فهذا لا يتبع قاعدة معيّنة ، بل قد يتعلق برأي ، أو اعتقاد أو معرفة لا يريان الفائدة منها ، أو عدم تناسبها مع العصر وهكذا .



★ أحمد عبد الغفور العطار ★

فمثلاً في باب الراء ــ فصل الحاء ، مادة ــ حسر (*) ، حذف المصنفان في الطبعة الموسعة ما يلي « والجمع حسرى **مثل قتيل وقتلى** » وكذلك الشاهد للشاعر **قيس بن خويلد الهُذلي يصف ناقة** :

إن الحسيرَ بها داء مخامرُها
فشطرَ نظرُ العينين محسورُ

نصبَ شطرَ على الطرف ، أي نحوها .

وكذلك حذفا « **وبطن محسر : بكسر السين : موضع بمنى** » .

وفي مادة حشر ، حذفا ما يلي :

وآذان حَشْرٌ ، لا يثنى ولا يجمع ، **لأنه مصدر في الأصل وهو مثل قولهم ماءُ غورٌ ، وماءُ سكبٌ** .

وقد قيل : أذنٌ حَشْرَةٌ ، **قال النمر بن توكب** :

لها أذن حشرة مشرة
كإعليط مرخ إذا ما صفر

وكذلك : **والحشرة بالتحريك : واحدة الحشرات ، وهي صغار دواب الأرض**

والحاشر : اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، **وقال : « لي خمسة أسماء : أنا محمد وأحمد والماحي يمحو الله بي الكفر والحاشر ، أحشر الناس على قدميّ والعاقب »** .

والحشورُ **مثال الجرول** .

وفي مادة ظهر . حذف نسبة بعض الأقوال إلى أبي عبيد ، وحذف آية قرآنية وردت كشاهد لعدم جمع كلمة ظهير التي على وزن فعيل والتي على وزن فعول التي يستوي فيها المذكر والمؤنث والجمع . وحذف شاهد شعري . وكذلك عبارة « وقريش الظواهر : الذين ينزلون ظاهر مكة » ، وبعض الكلمات الأخرى .

وفي مادة ــ حرم ــ حذف تعريف ثوب الحرم « وكانت العرب تطوف عراة وثيابهم مطروحة بين أيديهم في الطواف وقال :

كفى حَزَناً مَرِّي عليه كأنه
لقى بين أيدي الطائفين حريم

وحريم : الذي في شعر امرئ القيس ، اسم رجل .

وحذف عند قوله (وحَرَمَه الشيء يحرمه حَرِماً ما يلي « **مثال سرقه سَرِقاً بكسر الراء** ») ، وعند قوله ، وأحرمه أيضاً إذا منعه إياه وقال يصف امرأة :

« ونُبِّئْتُها أحرمَتْ قومها
لتنكِحَ في معشر أحزبنا »

وعندما أتى بشاهد لزهير وهو :

وإن أتاه خليلُ يوم مسألة
يقول لا غائب مالي ولا حرم

حذف التعليق التالي : « وإنما رفع يقول وهو جواب الجزاء على معنى التقديم عند سيبويه ، كأنه قال : يقول إن أتاه خليل ، وعند الكوفيين على إضمار الفاء » وعند عبارة أحرم الرجل حذف شاهد لزهير ابن أبي سلمى وهو : « وكم بالقنان من محل ومحرم » : أي ممن يحل وممن لا يحل ذلك منه ، وعند قوله : أحرم : أي دخل في الشهر الحرام حذف شاهد للشاعر الراعي وهو :

« قتلوا ابن عفان الخليفة مُحْرماً





ودعـا فلم أر مثله مخذولا

وكذلك الشاهد :

قتلوا كسرى بليل محرماً
غادروه لم يُمتّع بكفن

يريد قتل شيرويه أباه أبرويز بن هرمز » .

وعندما ذكره معنى الإحرام بمعنى التحريم حذف شاهداً شعرياً وهو : قال يصف بعيراً :

له رئة قد أحرمَتْ حِلَّ ظهره
فما فيه للفُقْرَى ولا الحج مَزْعَمُ »

وعند ذكر معنى الخيرمة حذف ما يلي « وقال : تبدّل أُدْماً من ظباء وخَيْرما » .

* * *

هذه نماذج مما حذفه المصنفان في كل كلمة ، والغريب أنهما عمدا في (الطبعة الوسيطة) إلى حذف آخر .

وإذا عرفنا أن الجوهري أتى بالمختصر المفيد في معجمه كما رأينا في حديث محقق المعجم ، وأنه كان مهذباً مختصراً يعتمد على الصحيح ، ويورد بعض الشواهد المفيدة التي تثبت المعنى ، وتوضحه ، فإن الحذف الذي صنعه المصنفان يفقد المعجم الأصلي هذه الميزات جميعاً .

واللغة العربية بعد ذلك لغة الحياة ، ولسان أهل الجنة ، ولغة كتاب الله ولها من الميزات ما ليس لغيرها ، ولهذا فإن تجريد اللغة من الشواهد يحيل المعجم إلى مادة جافة .

إضافة إلى أن المعجم ينبغي أن يصل بين اللغة كلفظ والحياة بكل ما فيها من فكر ومشاعر ، ولذلك فإن إيضاح المعنى بالشواهد من الآيات والأحاديث والشعر والأقوال الصحيحة تؤدي إلى هذا ، فضلاً عن إعطاء القارئ معلومات مفيدة في أشياء كثيرة .

والمعجم مرجع هام – للغويين والأدباء وغيرهم – فلماذا نجرده من القياسات والملاحظات النحوية والصرفية التي أوردها المؤلف لضرورتها ، ولماذا نصر على أن يكون المعجم عملاً آلياً كالأرقام الجامدة ؟ .

* * *

وقد أضاف المصنفان مصطلحات في العلوم والفنون وفي هذا عدة أمور :

١ – أرادا أن يضفيا على هذه المصطلحات صفة المعجم الأصلي الذي اعتمد فيه صاحبه على الصحيح من الألفاظ ، ويصلا بها إلى مستوى الصحيح المأثور والمؤيد بالشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الصحيح .

٢ – ولدى العودة إلى المراجع اللغوية الحديثة التي ضمت المصطلحات العلمية والفنية والفلسفية والحضارية باللغات المختلفة (العربية والإنجليزية والفرنسية واللاتينية) فإننا نلاحظ أن المصنفين قد اختارا عدداً من المصطلحات التي رأيا أنها تناسب هذا المعجم ، وأضافا ذلك إلى مادة المعجم الأول ومع مادته مع تغيير لحجم الحرف ولون الحبر .

٣ – ولا أدري ضرورة هذا العمل مع وجود معجمات خاصة بالمصطلحات العلمية والفنية التي وافقت عليها المجامع اللغوية أو أصدرتها الجامعات أو كانت من اجتهادات بعض الباحثين ، إلا أن يصدرا عملاً يستحوذ على ثقة الناس وقبولهم ، حتى يأخذه الطالب والدارس الذي يثق بالصحاح ، ويعود إليها ، فتتعدى هذه الثقة إلى هذه المصطلحات التي ما زال كثير منها موضع أخذ ورد واختلاف .

٤ – وقد تبدو خطورة الأمر عندما تتناول هذه المصطلحات أمور العقيدة والدين التي لا مجال فيها عند المسلم للاجتهاد ، لأنها أضحت مصطلحات ثابتة ومتلازمة مع الإسلام ، فإذا بهما يضعان في هذا المعجم إلى جانب المعاني الصحيحة التي وردت في الصحاح هذه المصطلحات الغريبة باسم العلم والفلسفة ولا صلة لها بالعلم والفلسفة .

٥ – وعند العودة إلى المراجع التي اعتمد عليها المصنفان في انتقاد المادة نرى دمجاً غريباً بين مختلف الأشياء ، فلماذا لم نترك هذه المعاجم كما هي ، وبالطريقة التي ارتضتها المجامع والجامعات والباحثين ؟ وما فائدة هذه الخطوة ، وحبذا لو عمد المصنفان إلى إصدار معاجم خاصة بالعلوم تضم ما صدر عن المعاجم والجامعات ، كل علم على حدة .

٦ – وبعد هذا فإذا كان عمل المصنفين يتسم بالجهد في ترتيب المادة وجمعها ولكن ذلك لا يعفيهم من هذه الملاحظات .

وكم رأيت الفرق شاسعاً بين إخراج الصحاح بتحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور العطار ، مع مقدماته الممتازة ، وضبطه الجيد ، وإخراجه الرائع ليستفيد منه محبو العربية ، بطريقة سهلة ميسورة ، وبين هذا العمل .

إن خدمة لغتنا يمكن أن تتم بطرق كثيرة ، بابتكار جديد ، وتصنيف حديث كما فعلت المجامع ، دون أن يكون بهذه الطريقة التي نسطو فيها على ثروات الأقدمين دون أن نرعى لهم حرمة .

الهوامش

١ – انظر مقدمة معجم الصحاح (١ – ١١٢) تحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار .

٢ – أبرّ : غلب وزاد وفي الأصل آثر .

٣ – انظر مقدمة الصحاح ، تحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار (١ – ١١٢) وما بعدها .

٤ – المرجع السابق ، المجلد الأول من معجم الصحاح ، ص ١٢٢ وما بعدها .

٥ – المصدر السابق .

★ – ما ورد بخط أسود مميز ، محذوف من التصنيف الجديد في المعجم .





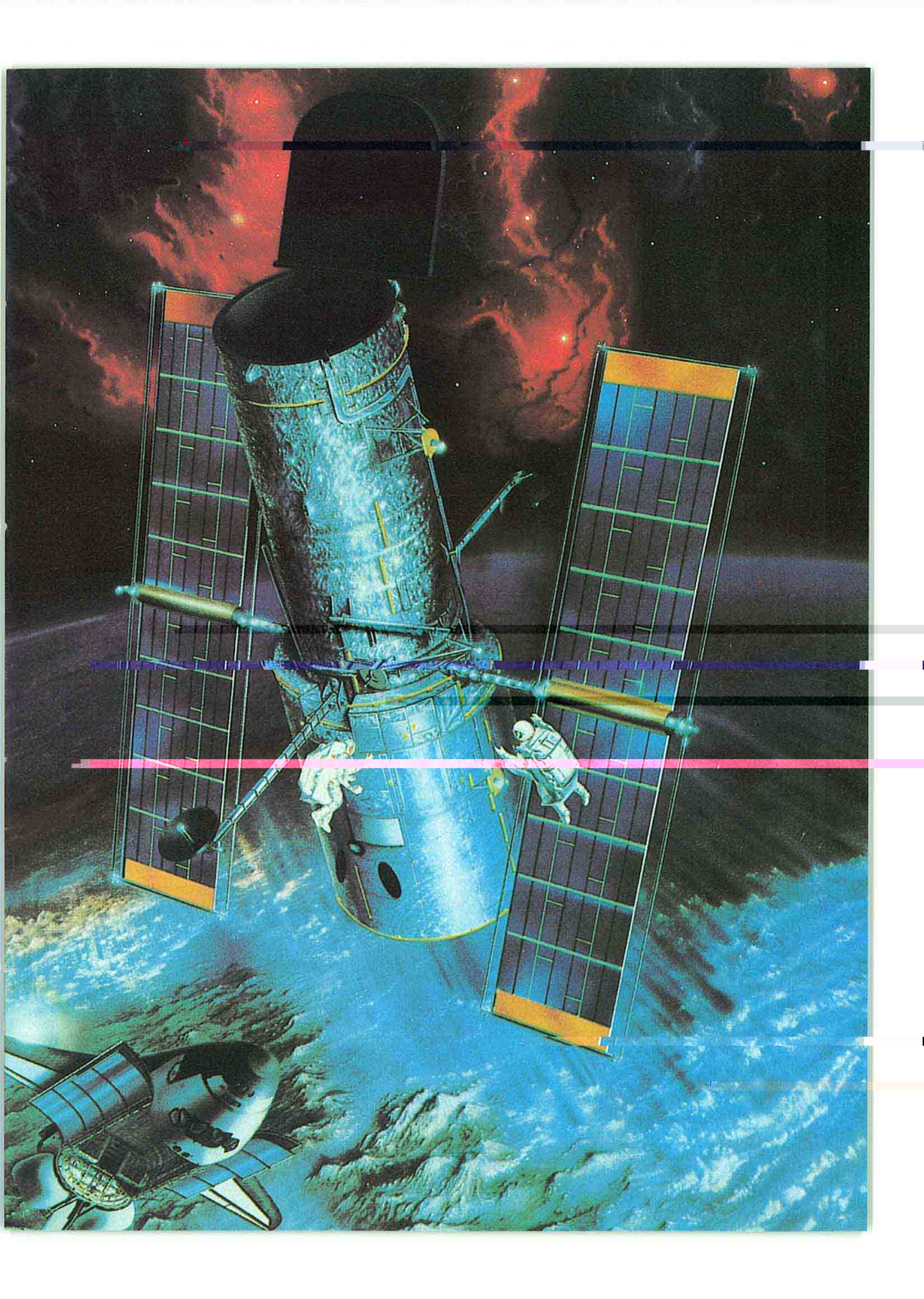
★ تلسكوب الفضاء
لوحده يرصد ويكشف
بعيداً عن الكون ★

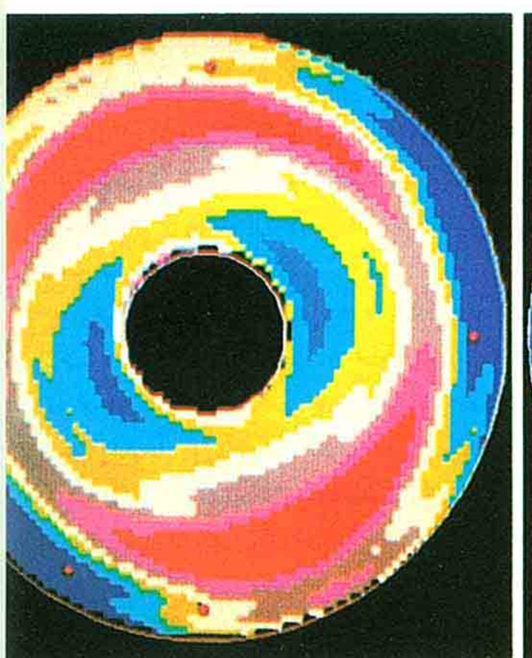


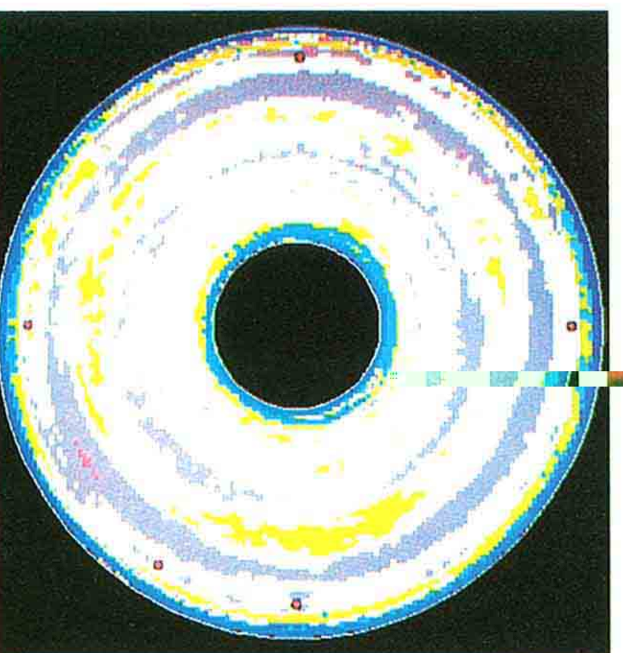
بقلم: عبد الرحمن حريتاني

العالم الفلكي الفيزيائي astrophysicist (ليمان سبيتزر Lyman Spitzer) كتب منذ زمن طويل عن أمانيه بأن تقام مراصد غير أرضية يوماً ما في الفضاء لرصد الكواكب والنجوم والمجرات والأجرام السماوية الأخرى حيث لا يوجد غلاف جوي ولا توجد جاذبية ولا رياح ولا سحب تعيق عمل المنظار (التلسكوب).. ولهذا يسمّيه الكثير من علماء الفلك اليوم بوالد (تلسكوب الفضاء).

وتلسكوب الفضاء الذي كان لدى العلماء مجرّد حلم بات اليوم حقيقة. ويقول العالم (جيمس ويستفال James Westphal) المكلّف بمهمة تطوير كاميرا تلسكوب الفضاء: «إن الناس اعتبروا مشروع إرسال تلسكوب الفضاء مغامرة كبيرة غير مأمونة.. وها نحن فعلاً قد بدأنا المغامرة ونجحنا.. والإثارة الحقيقية انتظروها فسوف تأتي مع المشاهدات الأولى لتلسكوب الفضاء».







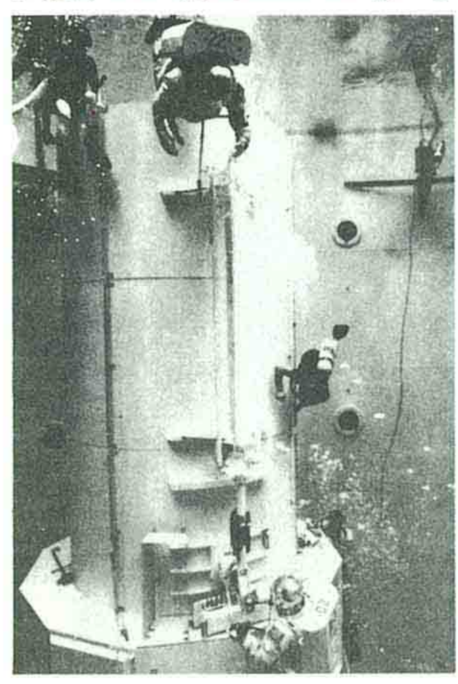
★ خرائط طوبوغرافية للمرآة الكبيرة قبل وبعد صقل وتلميع سطحها بواسطة الكومبيوتر ★

ولكن .. ماذا سيحقق تلسكوب الفضاء عند وضعه في مدار في الفضاء في ربيع عام (١٩٨٦ م)؟ إن تلسكوب الفضاء سيحدث ثورة في مفاهيمنا عن الكون وسيفتح عصراً جديداً كاملاً في فلك الفضاء أقل ما نسميه بثورة فلكية، ذلك أنه أعظم آلة فلكية صنعت في تاريخ البشرية حتى اليوم، وهو المشروع الرائد لبرنامج فلك الفضاء الأميريكي حتى نهاية هذا القرن، فهو سيعطينا (حين يعمل) مشاهدات تفصيلية كاملة لما تحوي السماء من أجرام كونية متنوعة أوضح بمراحل بعيدة من أي تلسكوب أرضي، كما سيمكّن علماء الفلك من مشاهدة أجرام سماوية تبعد أكثر من (١٤) ألف مليون سنة ضوئية (السنة الضوئية = ١٠ مليون مليون كيلومتر)، أي أنه سيُرينا أجرام سماوية تبعد عنا بـ (١٤٠,٠٠٠,٠٠٠٠٠٠,٠٠٠٠٠٠,٠٠٠٠٠٠) كيلومتر، أي أننا سنرى أبعد مما نراه الآن بمراصدنا الأرضية بـ (٧) مرات على الأقل، فهو سيوغل بنا في أعماق سحيقة مجهولة للكون، ورغم أن قطر مرآته أقل من نصف قطر تلسكوب **جبل بالومار** على الأرض إلا أنه سيكون قادراً على كشف وضبط منابع أضواء لأجرام سماوية أخفت بـ (٥٠) مرّة مما تكشفه أية مراصد أرضية، وستكون وضوح رؤيته للأجرام السماوية وتحليلها أكثر ثباتاً بـ (١٠) مرات على الأقل، كما أنه سيكشف مساحات من الفضاء الشاسع أوسع بـ (٣٥٠) مرة مما يستطيع الفلكيون كشفه من مراصدهم الأرضية اليوم .. وإضافة إلى كل هذه الميّزات الهامة جداً فإن تلسكوب الفضاء سيكون صاحب أطول عمر في الفضاء من أي جرم صناعي أرسل إلى الفضاء حتى اليوم، فهو سيبقى يعمل في الفضاء مدة (١٥) عاماً على الأقل كتقدير أولي، ويدين بطول الحياة هذه إلى مكّوك الفضاء space shuttle الذي سيحمله وينطلق به ليضعه في مدار orbit علوّه من (٣٠٠ ـ ٤٠٠) ميل فوق سطح الأرض، كما أن روّاد الفضاء astronauts الذين سيعملون على مكّوك الفضاء سيتمكّنون من استبدال

★ في مدار على علو (٣٢٠) ميلاً فوق سطح الأرض سيضع مكّوك الفضاء تلسكوب الفضاء ★



★ في مركز طيران الفضاء في (ناسا) التقنيون يجرون الاختبارات على تلسكوب الفضاء تحت الماء ليقلّدوا بيئة الفضاء (صفر) ★



أية آلة تضعف أو تتعطّل عن العمل (كالبطارية أو الكاميرا أو غير ذلك . . .) فينزعونها من مكانها على التلسكوب ويستبدلونها مباشرة أو يعيدونها إلى الأرض لإصلاحها أو استبدالها ، وإذا اقتضى الأمر وحصل عطل رئيسي في التلسكوب فباستطاعتهم طيّه بكامله وإيداعه في حجرة حمولة المكّوك ثم إعادته إلى الأرض بكامله لتجرى عليه عملية فحص شاملة من قبل العلماء .

ويقول **العالم (ويستفال)** : «إن تلسكوب الفضاء سيستطيع الرصد في أي اتجاه في الفضاء ، في شمال وجنوب السماء على السواء ، وقد أدخل عليه الفلكيون حتى الآن حوالي عشرة تحسينات هامة مما سيزيد الصور وضوحاً ، وإن المشاهد الكونية التي سيكشفها التلسكوب والتي سنراها من خلال عيونه أثناء فترة عمله الطويلة في الفضاء ستثير فينا الخيال ، بل ربما غيّرت لنا كلّ الواقع الذي نعرفه ونعيشه» .

أجهزة التلسكوب الحساسة

نحن بغنى عن ذكر التفاصيل الدقيقة والكثيرة لبنية تركيب تلسكوب الفضاء وما يحويه من أجهزة وتقنيات متطورة جداً واستعمالاتها ، ولذلك سنلقي نظرة سريعة على أهم ما فيه من أجهزة ومعدّات ، على أن نستعين بالصور التوضيحية لأخذ فكرة عن آلية عملها . يحوي التلسكوب خمسة أجهزة حساسة مرشدة فائقة الدقة . (١) **الكاميرا ذات المجال الواسع** wide – field camera . (٢) **كاميرا لتصوير الأجرام** ذات النور الضعيف The faint – object camera . (٣) **مرسمة الطيف للأجرام السماوية** ذات النور الضعيف faint – object spectrograph . (٤) **مرسمة الطيف ذات التحليل العالي** High – resolution spectrograph . (٥) **أداة قياس الشدة الضوئية عالية السرعة** The high – speed photometer .

أما مرآة التلسكوب العملاقة فقد تم وضع اللمسات الأخيرة عليها في ٥ ديسمبر (كانون الأول) من عام (١٩٨١ م) ، بعد أن أجرى علماء ومهندسو شركة (بيركن – إلمر Perkin – Elmer) أكثر من (٢٦) عملية صقل وتلميع لها مع اختبارات تكنولوجية عديدة في حجرة مفرغة بنيت خصيصاً لها لتقليد بيئة الجاذبية (صفر) ، كما غطّوها بطبقة عاكسة من **الألمنيوم** وفوقها طبقة أخرى من **فلوريد المغنسيوم** لحمايتها ، وهذه المرآة الكبيرة التي سيكون قطرها (٢,٤) أمتار ستكون عين التلسكوب على الكون ، إضافة إلى مرآة ثانية أصغر منها قطرها (متر) واحد ، وهاتان المرآتان سيستقبل عليهما التلسكوب الأنوار الخافتة الواصلة من النجوم البعيدة ويبوّرها focus ثم يرسلها إلى الأرض لتفحص وتحلّل ، ولحماية التلسكوب من البرد الجليدي الذي يتميّز به الفضاء فقد صنع له هيكل أنبوبي طوله حوالي (٤٣) قدماً ، كما أنه يوجد عليه نظام مانع موجات ضوئي وكومبيوتر متطوّر يدير العمل ، وليوضع التلسكوب في مكانه المعيّن في الفضاء وليحافظ على توجّهه وأهدافه ، فإنه يوجد عليه [illegible]

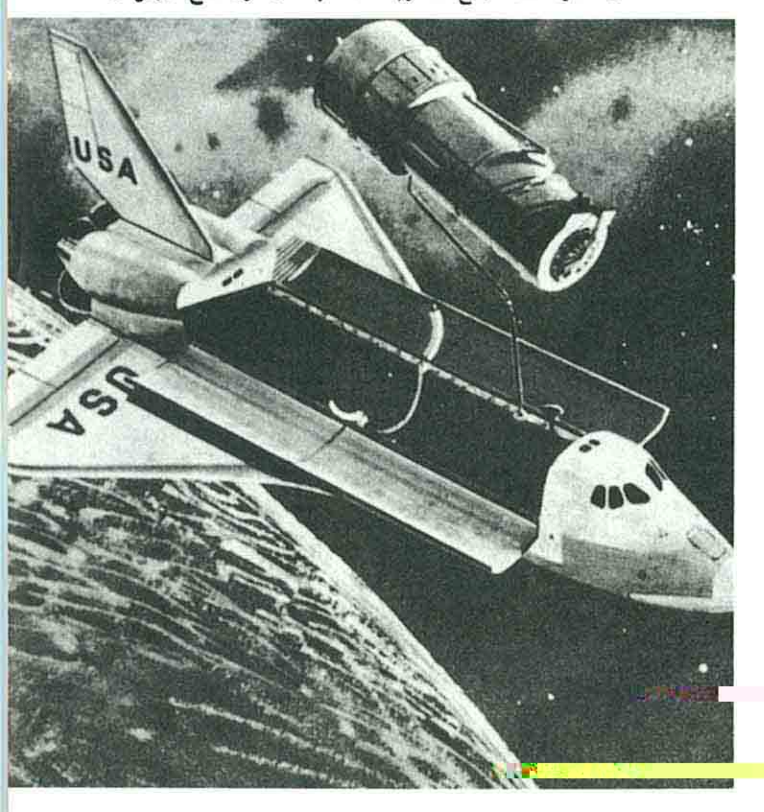
عيّنت أماكنها وبُرمجت على الكمبيوتر مسبقاً ، كما يوجد عليه جهاز إحساس ثالث سيستعمل لقياسات فلكية خاصة ، وكل من هذه الأجهزة الحساسة ستكون له القدرة لقياس المواضع النسبية للأجرام السماوية خلال مجال واسع وبدقة لا تزيد أو تنقص عن (٠,٠٠٢) آرك / ثانية ، وأجهزة التلسكوب حساسة جداً للضوء ، لذلك فقد حُسب لهذا حساباً كبيراً من قبل العلماء ، ولن توجّه أجهزته الحساسة إلى الشمس أو إلى الأرض المضاءة بنور الشمس بتاتاً حتى لا تتضرّر هذه الأجهزة بشكل خطير .

مراقبة للكون لا نهائية Infinity

سيتمكّن تلسكوب الفضاء من كشف النجوم الفردية في المجرّات galaxies التي تبعد عنا مسافة (٥٠) مليون سنة ضوئية بسهولة ، علماً بأن علماء الفلك اليوم لا يستطيعون تقديم المعلومات الدقيقة عن أي نجم star يبعد لبضع مئات من السنين الضوئية ، وجميع معلوماتنا الفلكية عن عدد وكتل النجوم جاءت من الدراسات التي تمت على العدد القليل النسبي لأنظمة النجوم الثنائية binary – star system ، وسيمكّننا التلسكوب من دراسة أعداد هائلة من أنظمة النجوم الثنائية هذه ، فيقيس مداراتها المحجوبة بصرياً عنّا حتى الآن ، كما يمكّننا من دراسة التغيّرات الظاهرية parallax التي تطرأ عليها وتحليل عناصرها الأساسية ، وأيضاً سيمكّننا من دراسة الحركات المميّزة لعناقيد النجوم star clusters بصورة لم يسبق لها مثيل ودراسة سطوع lightness الأجرام السماوية كسطوع النجم cepheids في عنقود virgo الذي يبعد عنّا بـ (٥٠)



★ مكّوك الفضاء يضع تلسكوب الفضاء في مداره فوق سطح الأرض ★





★ صورة لكوكب المشتري التقطتها مركبة الفضاء (فوياجير ـ ١) والتقاط مثل هذه الصورة وأوضح منها بكثير سيكون شيئاً اعتيادياً جداً بالنسبة لتلسكوب الفضاء ★

مليون سنة ضوئية بصورة دقيقة وواضحة وتفصيلية وثابتة ، كما سيمكّننا من دراسة سحب الغاز gas clouds والغبار الكوني وقياس أبعادها ومسافاتها ، وأيضاً دراسة الحجم الحقيقي لمناطق (HII) الكبرى (وهي مناطق تشكّل النجوم حديثة الولادة في سحب الغاز والغبار الكوني) التي نرى مثيلاتها في **سديم الجبّار** orion nebulas **وسديم اللاغون** lagoon nebulas التي تبدو مستقرة نسبياً ، والمراصد الأرضية ليس بإمكانها رصد مناطق (HII) التي تبعد أكثر من (٦٠ ـ ٧٠) مليون سنة ضوئية ، والمدار الذي سيتخذه التلسكوب في الفضاء بعيداً عن الغلاف الجوي atmosphere للأرض وتأثيراته واضطراباته ، إضافة إلى قُدرات أجهزة التحليل الزاوي العالية الكفاءة فيه والأجهزة الحساسة الأخرى والكاميرات ذوات التقنية العالية ، كل هذا سيمكّنه من تحديد أبعاد مناطق (HII) حتى مسافات تقدّر بـ (٥٠٠ ـ ٧٥٠) مليون سنة ضوئية ، كما سيمكنه أيضاً قياس أقطار المجرات التي بدورها يستطيع استخدامها كمقياس عام لمسافات تمتد لما وراء الـ (١٠٠٠) مليون سنة ضوئية أو (١٠,٠٠٠,٠٠٠٠٠٠,٠٠٠٠٠٠,٠٠٠٠٠٠) كيلومتر ، كما أنه سيعتمد على خاصية التغيّر نحو الأحمر redshift لتقدير هذه المسافات البعيدة جداً .. **وعلى العموم فإن تلسكوب الفضاء سيساهم بشكل أساسي ومتطور في تعريفنا بجميع الخواص الأساسية للنجوم التي ما زلنا نجهل معظمها . وبالنسبة لمجموعتنا الشمسية solar system وكواكبها فسيكون تلسكوب الفضاء أعظم وسيلة تستخدم حتى الآن للكشف عن هذه الكواكب ،** ولن نستطيع أن نقارن بين الصور التي ستلتقطها الكاميرات على التلسكوب بالصور التي التقطتها مركبة الفضاء (**فوياجير ١**) لكوكب المشتري وأقماره (**ايوا**) و (**أوروبا**) من مسافة حوالي (١٢) مليون ميل بعيداً عن الكوكب .. فالبون شاسع .

وللمرة الأولى في تاريخ الفضاء سيكون ممكناً تصوير سحب المشتري Jupiter وحلقاته ودوران الغلاف الجوي الكروي فيه بتفاصيل واسعة ودقيقة جداً ، وستكمل هذه الصور ، الصور التي ستلتقطها مركبة الفضاء الجديدة (جاليليو Galileo) التي ستصل المشتري عام (١٩٨٦ م) ، وكاميرا المجال الواسع على تلسكوب الفضاء ستراقب كوكب الزهرة Venus من على بعد (٢٠ ـ ٦٠) ميلاً ، وستراقب كوكب المريخ Mars من على بعد (١٨ ـ ٨٠) ميلاً ، وهذه الصور ستحلّل لتقدّم تفاصيل واسعة ودقيقة عن الأرصاد الجوية لأجواء كلا الكوكبين وعن نشأة وتطوّر العواصف

الغبارية الكروية الدوّارة على كوكب المريخ ، كما أن الصور التي ستلتقط لكوكبي (أورانوس Uranus) و (نبتون Neptune) ستكون ذات تفاصيل أدق وأوسع بـ (١٠) مرات أكثر من أي صور التقطت لهما من على الأرض ، كما ستقدم لنا الصور التي ستلتقط لنظام الكوكب (بلوتو Pluto) أول معلومات أساسية واضحة عن حجمه وكتلته وتركيبه هو وأقماره أو (قمره) . . **وباختصار فإن تلسكوب الفضاء سيرصد ويقدّم لنا صوراً واضحة ومعلومات دقيقة مفصّلة لكل شيء يمكن تخيّله أو حتى لا يمكن تخيّله في الفضاء الواسع ، من ذرة غبار على أي كوكب تنتج الضوء البروجي Zodiacal light إلى أشباه النجوم (الكواسارات quasars) التي تقع على حافة الكون وتبعد بآلاف الملايين من السنين الضوئية وعناقيد المجرات** clusters of galaxies .

وهذه القدرات الفلكية ستقدّم معلومات غير معروفة بتاتاً لبرامج الفضاء ، إضافة إلى أن المركبات الفضائية السابقة لها أعمار محددة قصيرة نسبياً وتستخدم تكنولوجيا معدّات صنعت قبل إطلاقها بسنوات ، بينما تلسكوب الفضاء سيخدم كمرصد طويل العمر في الفضاء ، وسيكون قابلاً لتبديل أجهزته العلمية في كل عصر ، ويرجع الفضل في هذا إلى مكّوك الفضاء الذي سيحمل له الأجهزة الحديثة ويستبدلها بالأجهزة البالية أو المعطوبة كل عامين ونصف تقريباً ، كما أنه كل عشر سنوات سيعود به إلى الأرض لإجراء صيانة وتجديد شامل عليه ، ولن تقل مدة خدمته الفعلية في الفضاء بأي حال من الأحوال عن (١٥) عاماً . . وبسبب التعقيدات الكثيرة التي سيقوم عليها عمل تلسكوب الفضاء فقد توزعت إدارته بين **مركز طيران الفضاء لناسا** NASA (وكالة الطيران والفضاء الأمريكية) في جودارد ، و (**معهد علوم تلسكوب الفضاء**) الذي أنشئ حديثاً لهذا الغرض والذي سيكون مسؤولاً عن أنظمة المراقبة العلمية المتطورة وتقريب المواعيد ، بينما عمل مركز جودارد سيكون مراقبة عمل سفينة الفضاء يوماً بيوم . وسيتناوب المراقبة العملية [illegible] عملوا في صنع وتطوير تلسكوب الفضاء ، وسيكون لهم (٣٠ ٪) من الوقت الكلي للمراقبة في الثلاثين شهراً الأولى من عمل التلسكوب في الفضاء ، و (١٥ ٪) من الوقت الباقي سيكون لعلماء من **وكالة الفضاء الأوروبية** وعلماء آخرون ، وأما الوقت المتبقي فسيكون متاحاً للاستخدام العام .

وعلماء الفلك astronomers سيكونون على الأرض يشاهدون على المراقب التليفزيونية Monitors (الأجهزة المستقبلة للصور التليفزيونية) عوض الصور المعاد تركيبها إلكترونياً التي بثّت من صف من الأجهزة الحساسة من على تلسكوب الفضاء ، وستدرس هذه الصور بعناية وتحلّل وتعطي نتائجها .

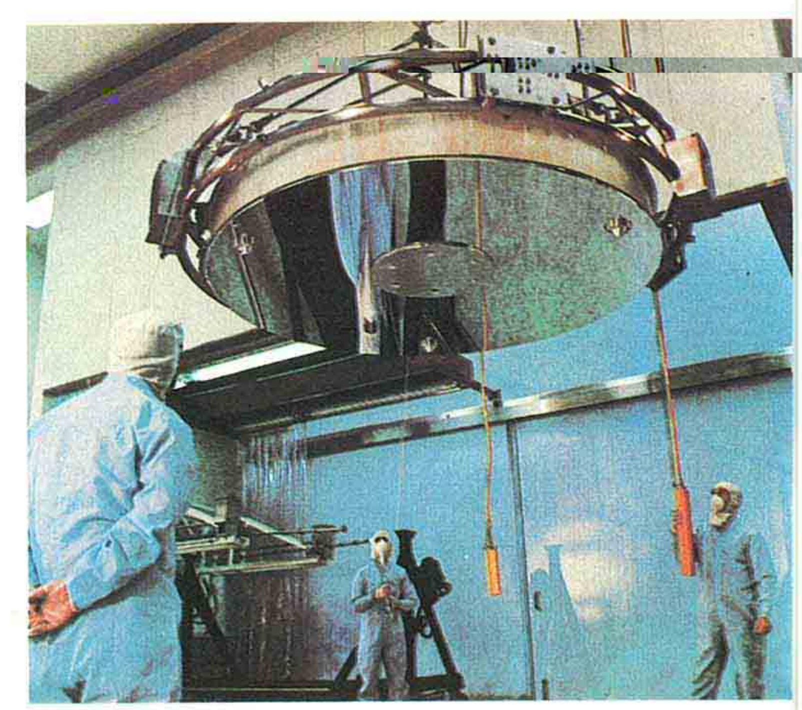
ويقول العالم الفلكي (جيمس ويستفال) : « لا أحد يعلم كيف ستبدو لنا المجرات في التحليل العالي فوق البنفسجي ultraviolet ، ذلك لأن كاميرات مركبة الفضاء (فوياجير ١) لم تكن تستخدم هذه التقنية ، ولا نعلم ماذا سنكشف على الكواكب أو في المجرات بواسطة الأشعة فوق البنفسجية » . ويتابع العالم (ويستفال) ويقول : « إن الصور التي سنراها للمجرة (M87) سترينا من الكشف الأول أو الثاني للتلسكوب مباشرة إن كان جوفها يشكّل ثوراناً عنيفاً من الغازات الملتهبة أو إن كان يحوي ثقباً أسوداً black hole ، ومثل هذه الكشوف ستكون لها آثاراً مذهلة ليس فقط بالنسبة لتركيب وتطوّر المجرات ولكن أيضاً لتركيب وتطوّر الكون بالكامل » . وأطول كشف لتلسكوب الفضاء لن يستغرق أكثر من ساعة ، وستُرى من خلاله خلفية السماء البعيدة الواهنة الضوء إلى أبعد حد التي ينيرها انعكاس أضواء النجوم البعيدة على جزيئات الغبار في النظام الشمسي ، وبوجود البطارية الكهربائية التي تحوي دزينات من المراشح (المصافي) والتي تتراوح أمواجها من (١٢٠٠) أنجستروم angstroms **(الأنجستروم = ١٠ $^{-١٠}$ متر)** في بعد الأشعة فوق البنفسجية إلى (١١٠٠) أنجستروم للأشعة تحت الحمراء فإن تلسكوب الفضاء سيكون قادراً على التقاط صور ملونة كاملة النقاوة وصور مذهلة ساحرة بألوان إضافية وبتفاصيل بارعة لم ترها أي عين إلى الآن .

ولكن خلال بضعة شهور فقط من توارد المعلومات من تلسكوب الفضاء سيرتبك العلماء مع هذا التدفق السريع للمعلومات الجديدة ، ولأن نسبة نقل المعلومات ستكون سريعة جداً وبحدود (مليون جزء في الثانية تقريباً) فإن هذا يعني بأن تلسكوب الفضاء سيبث صوراً نموذجية كاملة تُنقل إلى الأرض في أقل من (٣) دقائق ، ومراقبة عدة ساعات في تلسكوب الفضاء ستقدّم مزيداً من المعلومات التي يلزمها شهوراً عديدة من التحليل والدراسات والمراجعات في المراصد الفلكية والجامعات ، وإن (١٠ ٪) من وقت المراقبة على تلسكوب الفضاء سيصرف لمراقبة أجرام النظام الشمسي ، وحوالي (٢٥ ٪) منه سيصرف لمراقبة أجرام مجرتنا **درب التبّانة** Milky Way ، والبقية من الوقت سيصرف لأهم نشاطات التلسكوب وهي مراقبة الأجرام الكونية التي تقع ما وراء مجرتنا وإلى لا نهاية الكون . ويقول العالم (ويستفال) : « إن حلم كل إنسان في تلسكوب الفضاء صار حقيقة . . وهو حلم طويل سيدوم لسنوات وسنوات » .

(١٨) دقيقة نادرة

حالما يبدأ عمل تلسكوب الفضاء يعتزم العالم (ويستفال) أن يوجّهه إلى النواة الملتهبة للمجرة (M87) التي تنطلق منها انبعاثات غازية غريبة تتدفق خارج مركز المجرة . ويقول العالم (ويستفال) : « أريد أن أكشف سر هذه الانبعاثات الغازية العجيبة ، وفي اعتقادي أن هناك في مركز المجرة (M87) كتل غازية هائلة الكميات وشيئاً ما مظلم غير واضح لنا للآن يتركّز في مركز المجرة تماماً ، والتفسير الأقرب إلى العقل يدلنا على أن هناك شيئاً ما من تكوين ثقب أسود كبير وهائل ومروّع » . والتخطيط لمثل هذه المراقبات وما هي الأجرام الكونية التي يريد العلماء مسحها في السماء بدأت منذ شهور .

والعالم (ويستفال) وفريق العلماء معه طوّروا كاميرات خاصة



★ في الحجرة المفرّغة، التقنيون وبحذر شديد يحرّكون مرآة التلسكوب بعد تغطيتها بطبقة عاكسة من الألمنيوم بسمك (٣) من مليون من الإنش ★

لتلسكوب الفضاء، منها كاميرا كوكبية واسعة المجال ضخمة ذات تقنية عالية، وكل فريق علماء من الفرق السبع التي شاركت في صنع وإنتاج تلسكوب الفضاء له الحق في (٣٦٠) ساعة مراقبة على تلسكوب الفضاء هي بمثابة مكافأة خاصة أهديت لهم، وفي شهر أكتوبر (تشرين الأول) القادم سوف تسلّم فرق العلماء هذه خطط مراقباتها ورصدها إلى **معهد علوم تلسكوب الفضاء في جونز هوبكنز في (بالتيمور)**، الذي سوف يبت في جميع الأمور التي تتعلّق بمشاريع الفضاء المستقبلية لتلسكوب الفضاء، وهو الذي سيقرّر أيضاً كيف سيتم استخدامه، ذلك [illegible]

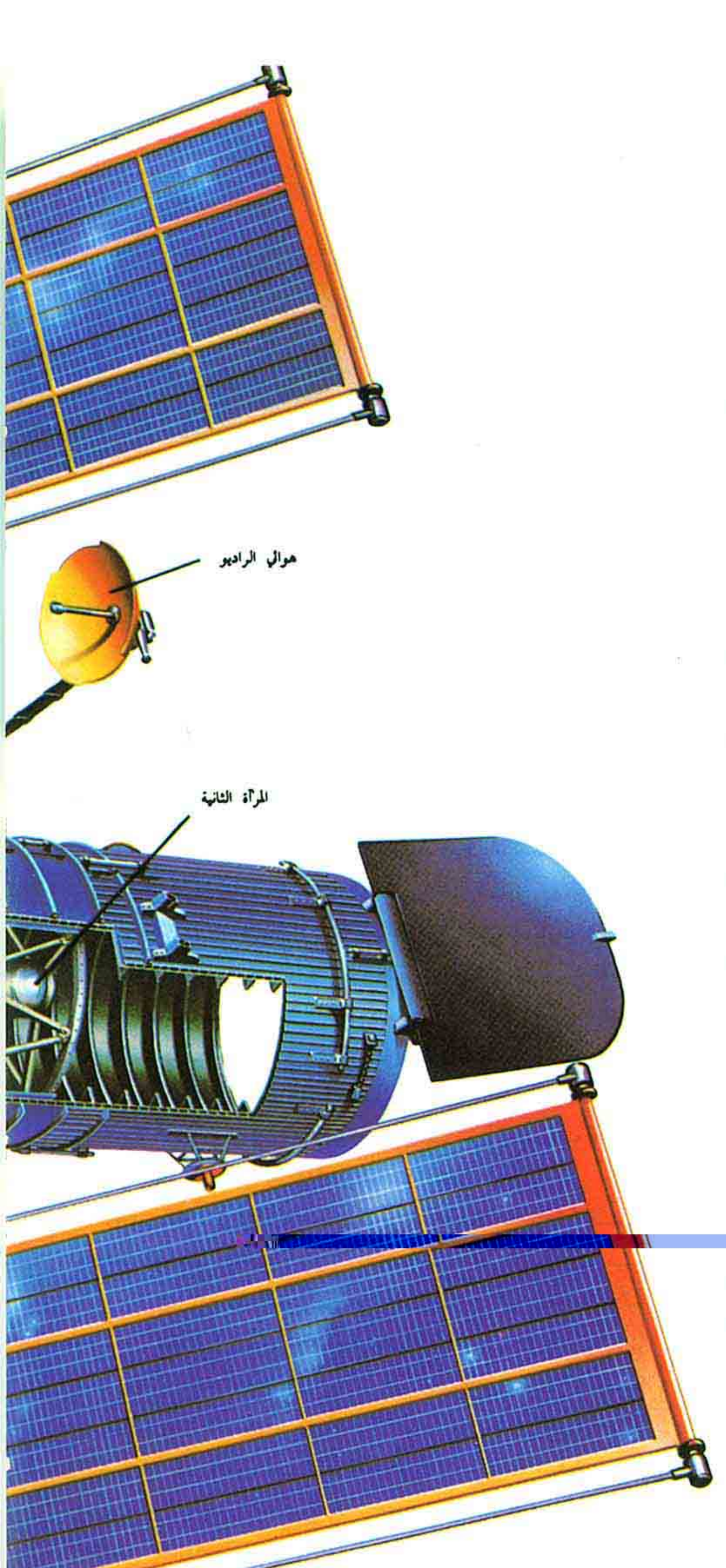
ويقول **العالم (ريكاردو جياكوني Ricardo Giacconi) مدير المعهد الفلكي لأشعة (×)**: «إن الوقت على التلسكوب نفيس جداً، وإن إدارة المعهد ستستلم كل عام حوالي (٢٠٠٠) اقتراح مراقبة ورصد من العلماء، وسوف توافق على ثلثها فقط، لأن جميع المراقبات ستنظر لنفس الجزء من السماء، وعند كل عالم حوالي (١٨) دقيقة ليصرفها في إدارة التلسكوب بزاوية (٩٠) درجة ليبحث عن شيء جديد في السماء.. إنها دقائق نادرة ثمينة لمسح السماء». والعلماء سيكونون أمام أجهزة استقبال الصور التلفزيونية في (معهد علوم تلسكوب الفضاء) لاستقبال المعلومات ومتابعة تحرك سفينة الفضاء.

من التلسكوب إلى الأرض

الكومبيوتر سيدير الأجهزة العلمية على التلسكوب وسيفسّر الخطة التي وضعها العالم (ويستفال) وفريق العلماء معه منذ عدة شهور، وردّ الفعل لدولاب الموازنة flywheel-like قرب التلسكوب سوف يسرع أو يبطئ من حركة التلسكوب ليجعله يشق طريقه بمقدرة وبراعة، وليوجه باتجاه المجرة (M87) تماماً، وليحافظ التلسكوب على اتجاهه المرسوم له نحو الهدف فإن عليه أجهزة إحساس دقيقة عالية التوجيه ستعيّن له مكانة المحدّد الذي سيهتدي بمواقع نجوم اختيرت بعناية من قبل وسمّيت **بالنجوم الهادية** guide stars التي هي في طرف المجال للمشهد، وبعدها فإن الضوء الذي قطع مسافة (٥٠) مليون سنة ضوئية منبعثاً من المجرة (M87) سيمر في أجهزة التلسكوب ويرتدّ من المرايا والكاميرا الكوكبية الضخمة ذات المجال الواسع (W/F/PC) التي هي أعظم تقنية وتقدّماً من الأجهزة العلمية الخمسة على التلسكوب، وهي تعمل بطريقتين، طريقة نموذج الحقل الواسع التي تسمح برؤية مناطق واسعة من الفضاء، وطريقة النموذج الكوكبي الذي يعطي المزيد من المجال الضيق للمشهد ولكن بخيال شديد التركيز، ولأن المجرة (M87) بعيدة جداً فإن خيالها يتوافق مع الطريقة الأولى، وأشعة الضوء الواردة من المجرة سوف تنعكس من المرايا، ثم تصفّى وتجزّء إلى أربعة أجزاء كل جزء يبوّر focus على جهاز زوجي الشحنة (CCD)، ثم تمر الأشعة بأجهزة كثيرة معقّدة وتقنيات أكثر تعقيداً نحن بغنى عن شرحها.. لتأخذ المعلومات طريقها في النهاية إلى معهد علوم تلسكوب الفضاء بعد أن ترسل كحزم ضوئية إلى (TDRSS)، ثم إلى المحطة الأرضية الوحيدة القادرة على استقبال إشارات (TDRSS) في **نيومكسيكو**، ثم من هناك تُرسل بقمر اتصالات تجاري إلى مركز جودارد لملاحة الفضاء، وأخيراً ترسل بخط أرضي إلى معهد علوم تلسكوب الفضاء، حيث إن العلماء فيه بمجرّد نظرهم إلى صور المجرة (M87) الواصلة وقياس اللمعان في مركزها الكثيف يستطيعون أن يقرّروا إن كان هناك فعلاً ثقباً أسوداً فيه أو أنه شيء آخر، وإذا كان هناك حقيقة ثقب أسود في مركز المجرة فإنه يجب أن تكون له كتلة تعادل بليون شمس ومحيط حجمه بقدر مدار الكوكب زحل.

الإحاطة بالمجرة (M 87)

الخواص الفيزيائية للمجرة (M 87) (حرارتها، كثافتها، تكوينها، عناصرها، سرعتها وخطّ اتجاهها بالنسبة لنا)، كل هذه المعلومات ستكشف لنا بتفاصيل دقيقة جداً، وكل واحد من الأجهزة العلمية عالية التقنية في التلسكوب سيمسح المجرة من ناحية مختلفة، ثم تقارن هذه المعلومات مع ما ستكشفه الكاميرات التي ستوجّه كل منها ناحية جزء من المجرة أيضاً، مع التركيز على البقعة المركزية من قلب المجرة الملتهب اللامع والقرص disk والهالة halo، ومرسمة الطيف للنور الضعيف (FOS) ستوزّع الإشعاع القادم من المجرة عبر حزم موجات الضوء المرئي visible والأشعة فوق البنفسجية، بينما مرسمة الطيف للتحليل العالي (HRS) ستركّز فقط على المنطقة فوق البنفسجية من الإشعاع، موزعة الضوء إلى الخارج بتفاصيل دقيقة جداً، وأخيراً فإن أية تغيرات في لمعان المجرة سيقاس بجهاز يدعى **الفوتومتر عالي السرعة** - the high (HSP)



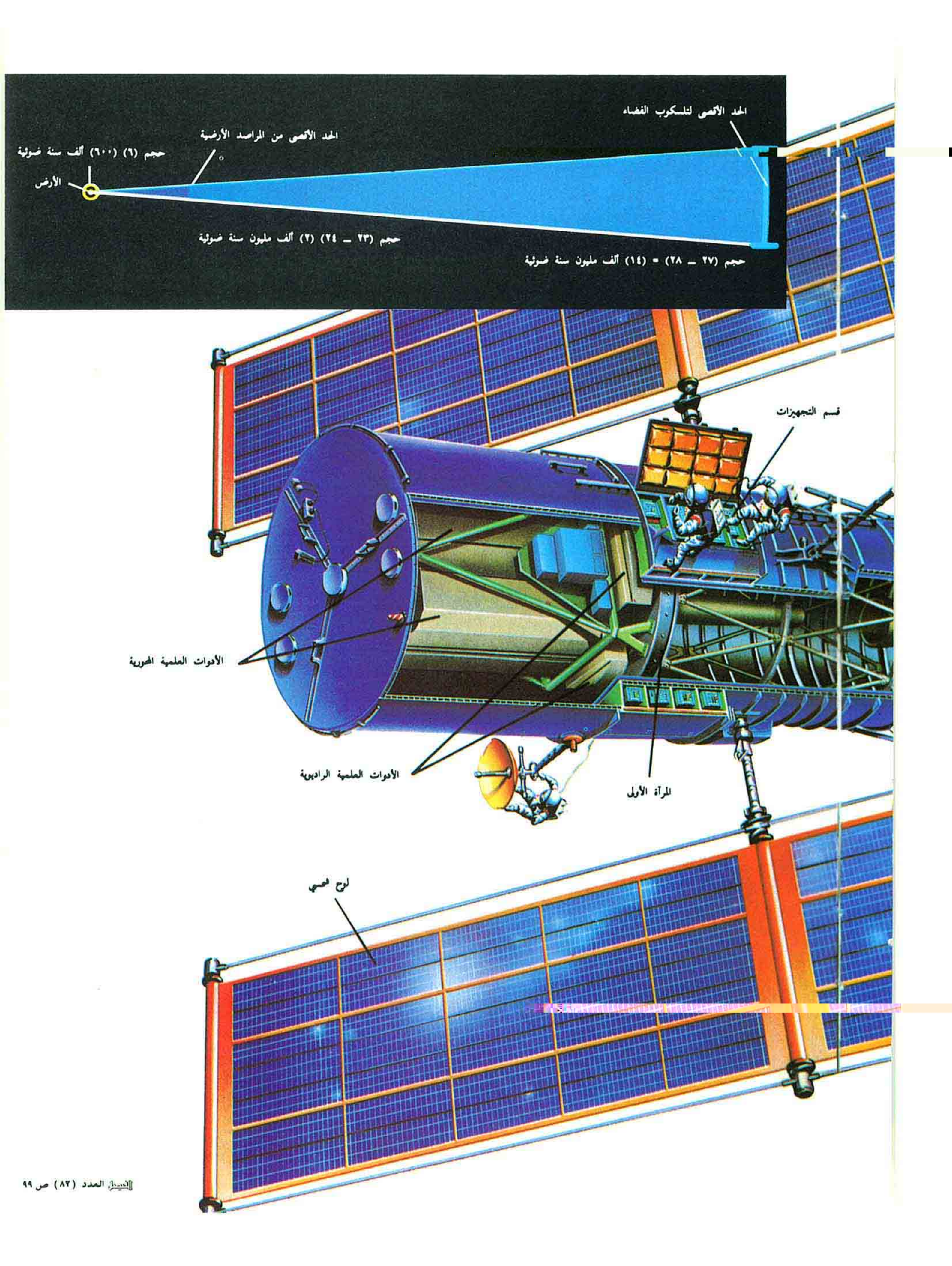
★ الأقسام الرئيسية الثلاثة لتلسكوب الفضاء :
(١) التجميع البصري (المرآتان)
(٢) الأجهزة العلمية المختلفة
(٣) الألواح الشمسية العملاقة (تحت) ★

speed photometer وهو جهاز لقياس الشدّة الضوئية يستطيع كشف الترددات الحاصلة بسرعة (١٠٠,٠٠٠) تردّد كل ثانية . . وعلماء الفلك سيتلقّون هذه المعلومات لمعالجتها في معهد علوم تلسكوب الفضاء ، وكل عالم منهم سيحتفظ بالشريط المغناطيسي الذي ملأه بالجديد من المعلومات ، وربما المعلومات غير المتوقعة التي كانت تعتبر منذ سنين قليلة فقط مجرّد حلم .

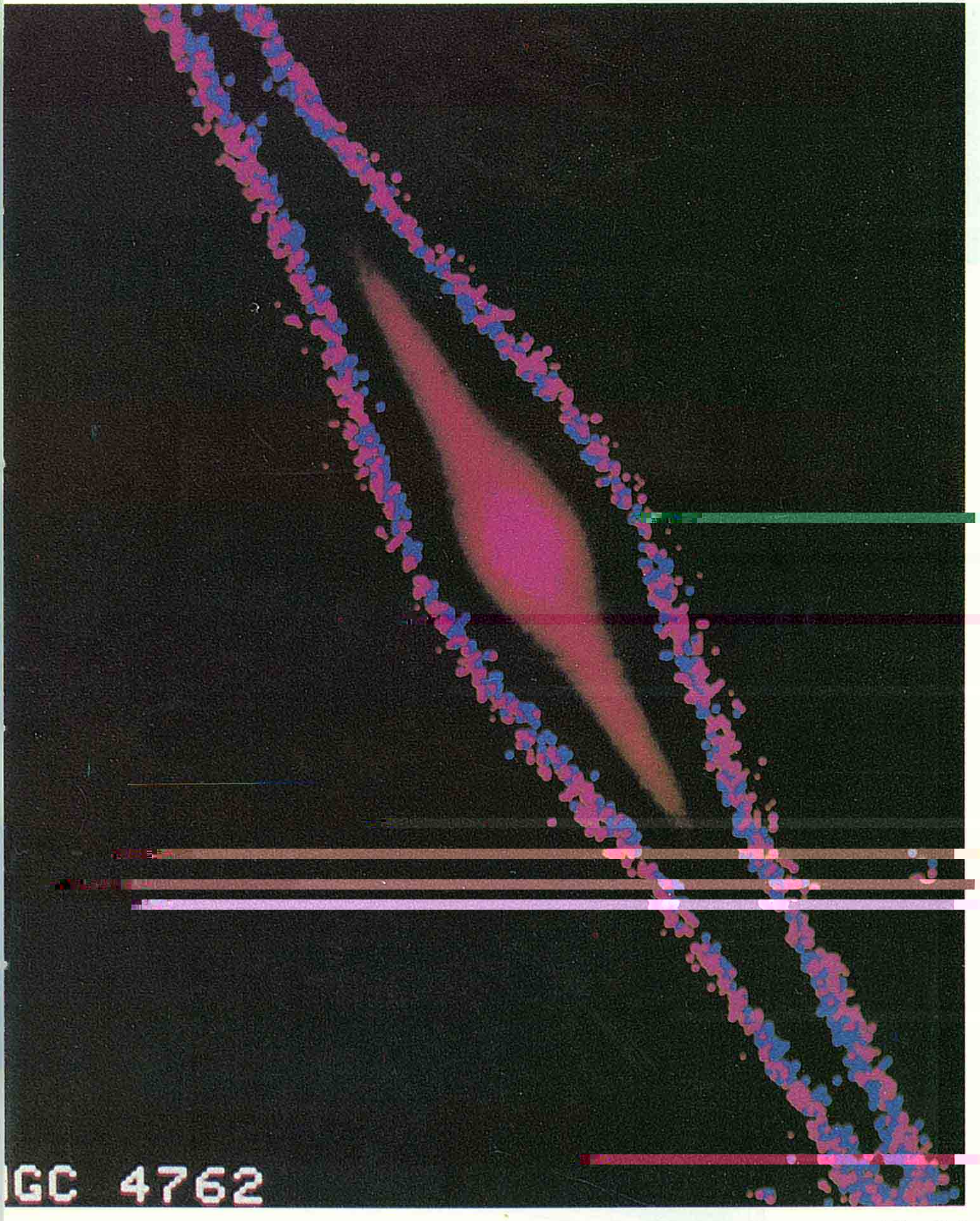
وعالم المشروع (**ليكرون Leckrone**) يقول : « إننا سنحصل على كشوف كثيرة ونجري عليها الدراسات الطويلة لنقدّم بعدها ماذا عرفناه عن نواة المجرة الملتهبة » .

تلسكوب الفضاء والسر الكبير

العالم الفلكي (**جون براندت John Brandt**) الباحث الرئيسي الذي يعمل في مركز جودارد ويسمّى (برجل المذنّبات) متلهّف جداً على استعمال جهاز (HRS) في التلسكوب لمعرفة فيما إذا كان مذنب هالي halley والمذنّبات comets الأخرى قد تشكّلت بقرب أو خارج نظامنا الشمسي ، وهو لذلك يحتاج إلى معرفة كم تحوي المذنّبات من **غاز الديتريوم** deuterium (الهيدروجين الثقيل) ، وكان قد سبق وعرف كم يحوي كوكب المشتري من هذا الغاز وكم يحوي فضاء ما بين النجوم interstellar space منه . ويقول العالم (براندت) : « إن أهمية المادة البين نجمية تكمن في أنها ستظهر لنا إن كانت المذنبات قد تشكّلت خارج الغاز البين نجمي ، وبقليل من الحظ وبمساعدة منظار التحليل الطيفي spectroscopy نحن سنخبركم أين تشكّلت المذنبات » . وعالم الفيزياء الفلكية astrophysicist (**ريشارد هارمس Richard Harms**) **من جامعة كاليفورنيا (سان دييجو)** يقول : « إننا باستعمالنا مرسمة الطيف للأجرام ذات النور الضعيف (FOS) سنكشف أجرام سماوية جديدة ونحدّد أبعادها بدقة متناهية وذلك لأول مرة في تاريخ علم الفلك ، **« أشباه النجوم (الكوازارات quasars)** أبعد أجرام السماء تقع على حافة الكون وتحتوي على طاقات هائلة بحيث إن الضوء الذي ينبعث منها يقطع حوالي (١٠) آلاف مليون عام أو أكثر حتى يصل إلينا ، وعلى هذا فإن الضوء الذي نراه منه هو بنصف عمر الكون تقريباً ، وبمعرفة نسبة **غاز الهليوم** helium في هذه الكواسارات سنتوصّل لمعرفة كم كانت نسبة الهليوم الموجودة في البداية . . ومزية جهاز الفوتومتر عالي السرعة (HSP) الذي طوّره **العالم (روبرت بليس) من جامعة وسكنسون** أنه باستطاعته قياس الاختلافات ذات السرعات العالية والتبدّلات البطيئة جداً في لمعان الأجرام السماوية ، وواحد من الأهداف الأولى للعالم (بليس) سيكون (**بولسار السرطان crab pulsar**) ، **وهو النجم النيوتروني المعروف جيداً لعلماء الأرض الذي يومض (٣٠) مرة كل ثانية** ، وبصورة عامة فإن النجوم عندما تقترب من نهاية حياتها ، كالنجوم النيوترونية والنجوم الأقزام البيضاء والثقوب السوداء تتقلّب في لمعانها الظاهر .


الحد الأقصى لتلسكوب الفضاء
الحد الأقصى من المراصد الأرضية
حجم (٦) (٦٠٠) ألف سنة ضوئية
الأرض
حجم (٢٣ ـ ٢٤) (٢) ألف مليون سنة ضوئية
حجم (٢٧ ـ ٢٨) = (١٤) ألف مليون سنة ضوئية
قسم التجهيزات
الأدوات العلمية المحورية
الأدوات العلمية الراديوية
المرآة الأولى
لوح شمسي

★ صورة مشرقة بالأشعة تحت الحمراء للمجرة (NGC 4762) التقطت بنفس نموذج كاميرة تلسكوب الفضاء ذات التقنية العالية .. واللون الأزرق اللامع والنقاط الحمر تمثل هالة (halo) المجرة التي تحيط بالنواة المضيئة للمجرة (اللون الوردي) والقرص الداخلي الضيق الذي يحيط بالنواة ويمثل إشعاع النجوم ★



العالم (ليمان سبيتزر) متلهّف لـيرى تلك الـكاميرات ذات التقنية العالية في تلسكوب الفضاء وهي تواجه الحشود العملاقة للنجوم التي تتكون من (٢٠٠,٠٠٠) إلى (مليون) نجم في كل عنقود، لأن المناطق الداخلية لهذه العناقيد تبدو كما لو كانت تنهار، وهي مناطق ضبابية مليئة بالسحب ومن الصعب جداً كشفها من الأرض. ويقول العالم (سبيتزر): «إذا استطعنا كشف وتحليل مكوّنات النجوم الفردية في مركز العنقود فسيكون هذا شيئاً عظيماً جداً، وسيستطيع علماء الفلك حساب وتقدير أعمار النجوم الحقيقية بكل دقة». ويبقى السؤال الأخير. فيما إذا كان الكون مفتوحاً open أو مغلقاً closed وهذا الأمر العظيم الأهمية سيحل بتوحيد الجهود للكاميرات ومرسمات الطيف جميعاً، مع التوجيه المتقن لأجهزة الإحساس التي تعمل كأجهزة علمية إضافية، وهذه الأجهزة والمعدّات تعمل في الفضاء أفضل بـ (١٠) مرات ممّا لو كانت على الأرض، والخطوة الأولى في سبيل هذا الكشف الكبير ستكون قياس أبعاد النجوم التي تقع في كل أطراف مجرتنا درب التبّانة Milky Way، ثم استخدام هذه المعلومات القيّمة لتقدير أبعاد الأجرام السماوية البعيدة جداً، ثم لتقيس مرسمات الطيف النسبة بين أي جرم سماوي بعيد لأقصى حد في أعماق الكون (كالمجرات والكواسّارات) وبين القياسات السابقة لأبعاد النجوم في أطراف المجرات، ثم تقارن نسب أبعاد القياسات مع نسب أبعاد المجرات المحجوبة عنّا، ثم تحسب العلاقة بين سرعة الابتعاد للمجرة وبعدها عنّا، ليتمكّن علماء الفلك في النهاية وبعد دراسات طويلة مضنية من أن يخبرونا (إذا كان الكون يتوسّع ويستمر في توسعة أم أنه سيأتي اليوم الذي يتوقف فيه توسّعه ثم ينهار على نفسه — Teh universe will continue expanding or someday stop and fallinon itself).

كواكب أخرى .. ومدنيات

في عمليات البحث التي ستقوم بها كاميرات تلسكوب الفضاء ربما تكتشف مدارات كواكب لنجوم أخرى غير الشمس، وربما تكون هذه الكواكب أو احدها معموراً ببشر غيرنا وبمدنيات أرقى منّا. ويقول **العالم (هارمس)**: «إذا استطاع التلسكوب كشف هذا التوقّع المنتظر الذي يتنبأ به العلماء منذ زمن طويل ويبحثون عن أي دليل عليه، فسيعتبر مشروع تلسكوب الفضاء أهم مشروع فلكي في تاريخ البشرية على الإطلاق».

تأخير إطلاق تلسكوب الفضاء لربيع عام (١٩٨٦م)

منذ أن نالت وكالة الفضاء والطيران الأمريكية (NASA) — ناسا — الموافقة على صنع تلسكوب الفضاء ووضعه في مدار في عام (١٩٧٧م) وهي في سباق مع الزمن، وبسبب صعاب تقنية عديدة واجهت العلماء فسيتأخّر إرساله إلى الفضاء عن موعده الذي حدّد له سابقاً في أوائل عام (١٩٨٥م) إلى ربيع عام (١٩٨٦م)، وهذا يعني بلغة الفضاء أنه سيتأخّر استخدامه لاستكشاف الكوكب (**أورانوس**) وستسبقه مركبة الفضاء (فوياجير ٢) في الوصول إليه ببداية عام (١٩٨٦م)، وأيضاً سيتأخّر عن موعد مرور مذنب هالي أمام الأرض عام (١٩٨٦م)، ولن يستطيع المشاركة في عملية مراقبته كما كان مأمولا منه.. وأيضاً فقد زادت كلفته الأصلية التي كان مقدراً لها أن تبلغ (مليار) دولار مبلغ (٢٠٠) مليون دولار كنفقات إضافية، ودوائر (ناسا) الآن تطلب الموافقة من **الكونجرس الأميريكي** لصرف هذا المبلغ الإضافي، علماً بأن (٢٠٪) من تكاليفه تشارك به وكالة الفضاء الأوروبية.

بداية المشروع وخطواته التنفيذية

بعد أن وافق الكونجرس الأميركي على تخصيص الاعتمادات المالية لبناء تلسكوب الفضاء في نوفمبر (تشرين الثاني) من عام (١٩٧٧م)، ظفرت شركة (بيركن — إلمر) بمهمة بنائه، كما عهد إلى **شركة (لوكهيد للفضاء والصواريخ)** بمهمة بناء سفينة الفضاء التي ستحمله وبقية الأجهزة العلمية، وشاركت عدة شركات أخرى في صنع بعض الأجهزة المتخصصة، وعلى شركة (بيركن — إلمر) مهمة تجميع أجزاء التلسكوب بعد إتمام صنعها ثم اختبارها للتأكّد من أن كلّ جزء يعمل على نحو موافق ومناسب مع بقية الأجهزة الأخرى.. وحالياً انتهى صنع العديد من أجهزة التلسكوب وسلّمت إلى مركز (جودارد) لملاحة الفضاء لإجراء الاختبارات عليها، كما أن شركة (لوكهيد) جمّعت كامل البنية الأساسية لسفينة الفضاء، وعلماء شركة (بيركن — إلمر) منشغلون الآن بتنظيم تجميع الأجهزة البصرية، كما أن علماء (معهد علوم تلسكوب الفضاء) يعملون على تكملة القائمة الجديدة التي تحدّد مواقع النجوم الهادية الضرورية لعملية تعيين موقع التلسكوب في الفضاء وعمل أجهزة الإحساس الموجّهة. وفي العام القادم (١٩٨٤م)، ستحمل (وبحذر شديد) الأجهزة البصرية على متن طائرة بشكل البصلة من (ناسا) — كانت هذه الطائرة قد استعملت لنقل مركبة الفضاء (سكايلاب) — ثم لتوصلها هذه الطائرة إلى مقر شركة (لوكهيد)، وحالما يتم تجميع أجهزة التلسكوب سيختبر بالكامل قرب الحجرة المفرغة، وحالما يُعلن عن جاهزيته التامّة فسيصار إلى نقله على متن سفينة خاصة تعبر به **قناة بناما** إلى حيث **مركز كينيدي للفضاء** تحت إجراءات حماية بالغة الحذر لتحافظ على الحمولة الغالية.

أهم مراجع الموضوع

1) Science Digest – July 1983.

2) Star and sky – February 1981.

3) Scientific American – July 1982.

وراثة Genetic

الهندسة الوراثية تنتج الفأر العملاق:

(واشنطن Washington).

حدث هام تحقّق في علوم **الهندسة الوراثية** Genetic engineering يمثّل نقطة تحوّل رئيسية وهامة تتخطّى حدود العمل على المتعضّيات البسيطة مثل **البكتريا** Bacteria إلى العمل على نوعين من **الثدييات** Mammal .. ففي تطوّرين كبيرين حديثين استطاع علماء الوراثة استيلاد فئران عمالقة من آباء وأمهات عاديين، الباحثون في جامعة واشنطن وجامعة بنسلفانيا وجامعة كاليفورنيا ومعهد سالك استطاعوا استخلاص **الجينة** gene التي تنتج هرمونات النمو في **الغدة النخامية** pituitary gland ثم دمجوها في fusing التتابع النيكليوتيدي لجينة الفأر التي تنتج هرمون النمو الفأري العادي ـ وكان هذا أصعب وأدق مراحل التجارب ـ ثم أدخلوا (حقنوا injected) هذه الجينات في (١٧٠) بيضة فأر مخصّبة fertilized حديثاً لتنمو أكبر وبسرعة.. وولد من هذه البويض (٢١) فأراً بينهم (٧) فئران أحجام كبيرة يُعادل حجم الواحد منهم حجم فأرين عاديين (ونشاهد في الصورة فأرين أخوين، واحداً منهم عملت فيه هرمونات النمو من الجرذان فصار حجمه بحجم فأرين طبيعيين).. وهذا يشير إلى أن جينة الجرذ اندمجت في جينة الفأر وأنتجت هرمون النمو الذي نمّى الفأر لهذا الحجم، وتستطيع هذه الفئران الكبيرة الآن نقل هذه الهرمونات الجديدة إلى ذرّيتها لتتناسل بأحجام كبيرة.. وهذا النجاح الكبير في **عمليات وصل الجينات** gene-splicing سيوصل لأمور بعيدة في مجال الهندسة الوراثية تتخطّى الحدود المألوفة، فهو سيقدّم لنا فهماً متكاملاً أفضل للأمراض الفطرية والسرطان، كما سيساعدنا في معالجة **أمراض العملقة** gigantism **والتقزم** duvarfism، ويمكنه يوماً ما تسريع نمو حيوانات المزارع لتساهم في تقديم المزيد من الطعام للبشر، كما يمكن أخيراً استعماله في الإنسان.



وفي تطوّر آخر نجح فريق آخر من العلماء في المعهد القومي الأميركي للصحّة وجامعة إلينوي في تعديل altered جينات إنسانية لمعالجة اثنين من أمراض الدم، **أنيميا (فقر الدم) الخلية المنجلية** sickle-cel-lanemia والـ thalassemia وهما مرضان من أكثر أمراض الدم الوراثية أهمّية وخطورة يتسبّب بهما الخلل الجيني في نوع أو نوعين من سلسلة البروتين (الفاجلوبين) و(بيتاجلوبين) اللذين يكوّنان بروتين هيموجلوبين hemoglobin خلية الدم الحمراء، وهذان المرضان لا يمكن علاجهما، والمصابون بهما عن طريق الوراثة من الأبوين يموتون في سن الطفولة ما لم يتم علاجهم بواسطة نقل الدم المستمر.

والعلاج كان بإنتاج عقار جديد يسمّى (٥ ـ أزاسيتيدين) الذي يحوّل جينات إنتاج (البيتاجلوبين) التي تكوّن و(الفاجلوبين) هيموجلوبين الدم من الحالة الساكنة dormant إلى الحالة الفاعلة لتنتج الهيموجلوبين للمرضى (الكبار) الذين يشكون من نقصه (علماً بأن جينات إنتاج الهيموجلوبين تكون فعّالة في الجنين fetus وتكون ساكنة في الكبار).. ونجح العقار تجريبياً في عدّة جامعات ومعامل أبحاث مختلفة، وشهد المرضى الذين أجريت عليهم التجارب تحسّناً كبيراً في إنتاج الهيموجلوبين.. ولعلّ هذا أول علاج سريري يتم عن طريق فهم ميكانيكية عمل الجينات الأساسية في الإنسان.







علم النبات Botany

نقل تقنية فخ النباتات آكلات الحشرات إلى البطاطا وأنواع أخرى من النبات :

(نيويورك .N.Y) .

علماء النبات اكتشفوا سر آليّة فخ إحدى النباتات القاتلة للحشرات وهجّنوا أخرى .. فعلماء حياة النبات في **كلية وادي لبنان وجامعة كورنيل** قرّروا بأن الفخ الذي يمسك بالحشرات عند النبتة القاتلة للحشرات Venus's fly trap **(التي نشاهد صورتها في الأعلى)** إنّما يُغْلَقُ فجأة على الحشرة بسبب نمّو الخلايا في جدران أوراقها الخارجية ، فعندما تحط الذبابة مثلاً عليها وتمشي برفق على طول الورقة تثير بمشيتها هذه الشعيرات الحسّاسة على سطوح الورقة ، التي ترسل بدورها **إشارات كهربائية** electric signals خلال خلايا الورقة التي تتمدّد وتتّسع ، ويؤدّي هذا بدوره إلى إغلاق الفخ على الحشرة في أقل من (٢٧٪) من الثانية بعد أن هُيّئت القوّة اللازمة لحركة مصراعي الفخ .

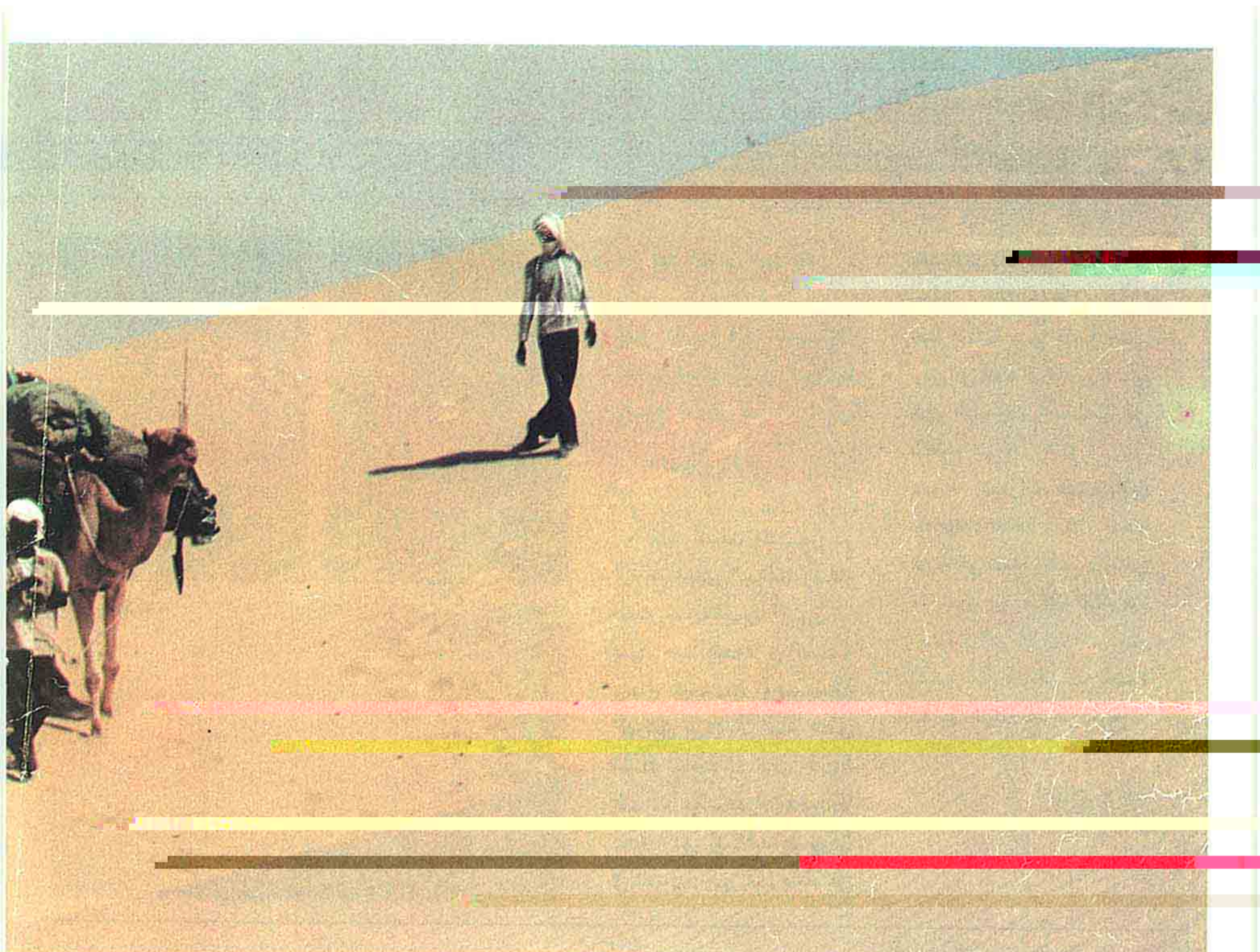


حيوان Animal

خيوط خاصة في نسيج العنكبوت لتخدير الطيور وصغار الثدييات :

نسج العناكب spiders تمتاز بالتعقيد البالغ والجمال الرائع ، تغزلها العناكب عموماً بأشكال دائريّة وبتصميمات منوّعة لا تحصى تُعتبر من أكبر الأعاجيب الهندسية على الأرض ، وعلماء الحيوان عرفوا الهدف الذي يبغيه العنكبوت من وراء نسجه لهذا الفخ الذي يهلك الحشرات الغافلة وتصير طعاماً سائغاً له .. ولكن الذي حيّرهم معرفته هو تلك الخيوط الكثيفة المتعرّجة البيضاء التي تقطع وسط بعض النسج عمودياً وتبرز بوضوح تام من على بُعد .. عالما الحياة (**توماس إيسنر** Thomas Eisner) و(**ستيفن ناويكي** Stephen Nowicki) من جامعة كورنيل كشفا أخيراً سرّ هذه الخيوط الكثيفة وأظهرا بأن العنكبوت ينسجها (كإشارات تحذيرية warning signs) للطيور وصغار الثدييات لتبتعد عن نسيجه ولا تتلفه .. هذا السرّ اكتشفه (إيسنر) لأول مرة عندما كان يقوم برحلات علمية في حقول بناما وفلوريدا ، فقد لاحظ مرّات عديدة بأن الطيور غالباً ما تنحرف عن مساراتها عندما تواجه نسيجاً من هذه النسج ولا تحاول أن تصطدم به .. وليختبر (إيسنر) و(ناويكي) هذه الفرضية راقبا (٣٠) نسيجاً ليس بها هذه الخيوط، و(٣٠) نسيجاً أخرى بها هذه الخيوط علّموها بشريط وَرَقي ، وبحلول مساء ذلك اليوم كان (٦٠٪) من النسج التي بها هذه الخيوط سليمة ، في حين أن (٨٪) فقط من تلك التي بدون الخيوط لم تتعرّض للتلف ، والباقي خرّبتها الطيور والحيوانات البرّية الصغيرة .





تجارة الذهب بين المغرب والسودان الغربي في العصور الوسطى

بقلم: د. الشيخ الأمين عوض الله

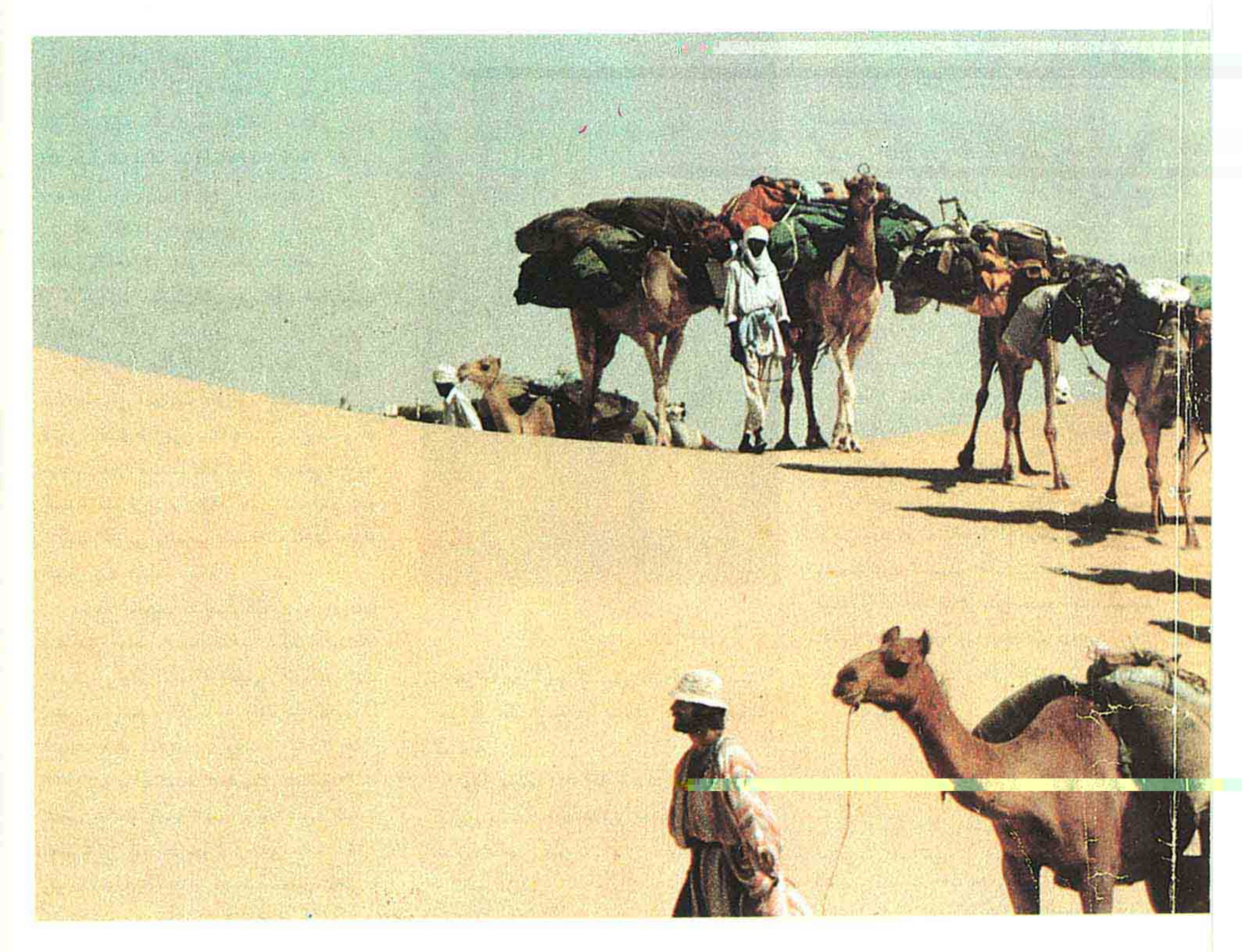
نشأت علاقات حميمة بين المغرب الأقصى والسودان الغربي منذ أقدم العصور، وظلت تجارة القوافل تجوب الصحراء الكبرى شمالا وجنوباً حاملة معها من المغرب العديد من السلع، وكان أهمها الملح، وعائدة من السودان الغربي وهي محملة بسلع أخرى كان أهمها الذهب.

وكانت جميع المدن الساحلية من المحيط الأطلسي إلى طرابلس الغرب مراكز لتجارة واسعة النطاق تصل بين أوروبا والسودان[1]، ويقوم التجار المغاربة بحمل هذه السلع إلى السودان الغربي، ويقومون بدور الوسيط في تصدير البضائع الواردة من الخارج.

وكانت القوافل بعد أن تغادر المدن الساحلية تعرج على واحة تغازه، حيث يكثر الملح[2] فتتزود بحاجتها منه، وتتجه صوب السودان الغربي، وكان الملح بلا شك أهم السلع التي تحملها القوافل التجارية، وظل أهل شمال إفريقية يسيطرون عليه طيلة ألف عام[3].

وتقوم المراكز التجارية في السودان الغربي باستقبال هذه القوافل المتحدرة من الشمال عبر الواحات لتقدّم لها الطعام والماء والمأوى، وتقوم بتصريف المنتجات.

وشهدت طرق القوافل الصحراوية ازدهاراً بالحركة التجارية بصورة غير منقطعة، ويشير «ليو الإفريقي» إلى نشاط التجار في السودان الغربي، إذ كان بكل مدينة سودانية مغاربة مغتربون[4].



وقد بلغت العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد **سلطنتي مالي وسنغي** (ق ٧ ــ ١٠ هـ) أقصاها وبقدر لم يشهده الإقليمان من قبل ، ويقدِّر **ابن خلدون** القوافل التجارية التي تمُرُّ على أيامه بالهقار باثني عشر ألف جمل في أحيانٍ كثيرة[٥] .

لقد كانت هناك عدة وسائل للتعامل التجاري في السودان الغربي ، وقد تطورت هذه الوسائل مع الزمن ، وأول الوسائل التي يذكرها لنا **« هيرودوت »** ، والجغرافيون العرب من بعده ، هو التجارة الصامتة أو تجارة المبادلة ، وظلت المبادلة قائمة حتى عهد سلطنتي مالي وسنغي[٦] .

وكانت المبادلة بالنسبة للملح والذهب بالتساوي ، إلا أنه في حالة قلة ورود التجار ، فإن النسبة كانت تعادل وزناً من الملح بوزنين من الذهب ، إذ يقول **الغرناطي**[٧] : « . . . فإذا وصلوا إلى غانة باعوا الملح وزناً بوزن الذهب ، وربما باعوه وزناً بوزنين أو أكثر على قدر كثرة التجار وقلتهم » .

وأول من أشار من المؤرخين إلى ذهب السودان الغربي ، هو هيرودوت حين أشار إلى فتيات سيرونيس وتجارة القرطاجنيين الصامتة[٨] .

وظل ذهب السودان الغربي سرًّا مكتوماً حيَّر الناس زهاء ألفي عام ، بيْد أن العرب كانوا يعرفون مواضعه منذ وقت بعيد ، ويذكر لنا **ابن حوقل** الذي عاش في القرن الرابع الهجري ذهب السودان الغربي فيقول : « وغانة أيسر مَن على وجه الأرض من ملوكها ، بما لديه من الأموال المدخرة من التبر ــ ويهادي صاحب كوغه ــ وحاجتهم إلى **ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام فإنه لا قوام لهم إلا به »**[٩] .

وقد بذلت جهوداً كثيرة للكشف عن مصادر الذهب ، وأدى البحث إلى اصطدام السفن النصرانية بالجيوش الإسلامية ، وكلف الملوك عروشهم ، والناس حريتهم ،وفقد الآلاف أرواحهم ، وفي النهاية لم يكن أحد أعقل من أخيه[١٠] .

ويوجد الذهب في السودان الغربي في عدة مناطق ، وقد استطاع بوفيل أن يحصر لنا هذه المناطق بعد أن اكتشفت حديثاً ، ومنها :

(١) **بامبوك** التي تقع في أعالي السنغال ونهر فالم .

(٢) **بوري** التي تقع في تقاطع أعالي **النيجر** وعلى فرعه تنكيسو «Tinkisso» .

(٣) **لولي** في فولتا العليا .

(٤) **أشانتي** «Ashanti» في الأراضي الداخلية لساحل الذهب[١١] .

ويصف **ابن بطوطة** في القرن الرابع عشر الميلادي الذهب في **تغازه** بقوله : «وقرية تغازه على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر»[١٢] مما يؤكد لنا كثرة ذهب السودان الغربي ووفرته .

كان الذهب يُحمل على رؤوس الرجال من مناطق إنتاجه إلى **جني** ، ومنها بالقوارب إلى **تنبكت** ، ومن تنبكت ينقل على ظهور الجمال إلى المغرب .

ويُعتبر السودان الغربي منذ القرن الثامن الميلادي وحتى اكتشاف أميريكا ، المصدر الرئيسي لتمويل العالم الغربي بالذهب[١٣] ، ويبدو أن حجم تجارة الذهب كان كبيراً ، واستمرت هذه التجارة لعدة قرون مما يؤكد الدور الهام الذي لعبه السودان الغربي والمغرب بالنسبة للعالم في حركة التمويل بهذه السلعة الهامة .

ونرجع **لموني** ـ العالم الأثري ـ ليلقي لنا ضوءً على حجم تجارة الذهب بالمقارنة بإنتاجه الحديث ، ويقدِّر **الأستاذ موني** بأنه منذ اكتمال تنظيم تجارة الذهب فإن تسعة أطنان من الذهب في المتوسط تصدر سنوياً . . . ويضيف أنه في عام **١٩٣٧م** ، ورغم استخدام الوسائل المتقدمة لآلات التعدين والتقنية الفنية المتيسرة ، فإن كمية الذهب المصدرة من غرب إفريقية لم تزد على عشرين طناً ، وهي نسبة مدهشة إذا ما قورنت بمعدني الماضي ، الذين كانوا يستعملون وسائل مختلفة[١٤] .

أين ذهب الذهب ؟

إنه من الغريب حقاً أن يبادل الملح بالذهب ، وأن تكون المعادلة في عهد مملكة غانه وبعدها بقليل المبادلة بالمثل ، وحدث في بعض الأحيان مبادلة الملح بضعف وزنه من الذهب ، ولقد استمرت هذه التجارة لعدة قرون ، وبحجم قدره تسعة أطنان في المتوسط حسب تقدير العالم الأثري موني ، واستمرت هذه المعادلة الشاذة في استبدال الذهب بالملح ، ولا ندري هل نَصِف أهل السودان الغربي بالجهل أم بالسذاجة ؟ وهل كان الملح يكلفهم كل هذا الجهد ؟ ، ومهما قيل عن بعد البحر ، فليس هو بأبعد عن مَمالح تغازه ، وليس السفر إليه بنفس المشقة ، أم يا ترى لم يدركوا أن الملح يمكن استخراجه من البحر ؟ لعل ذلك هو السبب ، وهل كل هذه القرون لم يدركوا هذه الحقيقة الساذجة .

وإذا افترضنا ذكاء أهل المغرب ، وأهل الشمال الإفريقي عموماً ، ماذا يا ترى فعلوا بالذهب الذي اشتروه بأبخس الأثمان ، بل بتراب الأرض ، أو بملح الأرض .

وقد شهدت الصحراء القوافل التي تحمل الأطنان من هذا المعدن النفيس والتي استمرت لعدة قرون تسير شمالا ، فأين ذهبَ الذهبُ ؟

مما يؤسف له حقاً أن معظم الذهب ذهب **لأوروبا** ، لأنها كانت تبيع السلع للمغرب ولدول شمال إفريقية ، التي كانت تقوم بدور الوسيط حتى في زمن **أحمد المنصور** ، الذي لُقب بالذهبي لكثرة الذهب الذي ورد إليه من السودان ، فكل الدلائل تشير إلى أنه حوَّله لأوروبا ثمناً للسلاح أو لمواد البناء ، أو مرتبات للفنيين ، أو في شراء الكماليات لبلده ولقصوره ، فقد ترك خزينة خالية لابنه من بعده .

والاستنتاج الذي نصل إليه أن أوروبا هي المستفيد الأول والأخير من ذهب السودان الغربي ، وبالتالي فقد فقد السودان الغربي والمغرب ثروة غالية ضاعت دون أن تحسن التصرف فيها .

وبعد أن قام **أحمد المنصور الذهبي ـ سلطان مراكش ـ** بغزو **سلطنة سُنْغي** ، تحطمت تجارة الصحراء ، **ومن المؤكد أن الذهب كان من أهم الإغراءات التي شجعت حركة الكشوف الجغرافية في غرب إفريقية إلى استعمارها فيما بعد على أيدي الأوروبيين** ، وانصب الذهب كله في أيدي الأوروبيين بعد استيلائهم على شواطئ إفريقية الغربية ، وفي هذه الحالة لم يلعب المغاربة دور الوسيط ، فانفردت أوروبا وحدها بالذهب ، وساعدها في تنمية بلادها وازدهارها ، وظهرت فيها النهضة ، وعاق الاحتلال ازدهار دول الغرب نتيجة لسياسة أحمد المنصور الخاطئة .

والجدير بالذكر أن الله سبحانه وتعالى قد عوَّض بلاد العرب بالبترول أو الذهب الأسود كما يسمونه بديلاً للذهب الأصفر ، ونحن لا نشك مطلقاً في أن هذه البلاد التي حباها الله بالذهب الأسود لن تُفرِّط فيه وستستغله لخير بلادها وبلاد العرب والمسلمين . . وبالله التوفيق .

الحواشي

(١) نقولا زيادة : [المغرب والسودان أيام المنصور الذهبي] ، كتاب الصيد ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ١٩٦٧م ، صفحات ٥٧ ـ ٥٨ .

(٢) صلاح الدين العقاد : المغرب العربي ، ص ٥٨ .

(٣) حسن أحمد محمود : الثقافة العربية .

(٤) Bovill, E.W.: The Golden Trade of the Moors, P. 155.

(٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٦ ، ص ٥ ـ ٤ .

(٦) الشيخ الأمين عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ، ص ١٦٦ .

(٧) الغرناطي ، محمد عبد الرحيم : تحفة الألباب ، صفحات ٤١ ـ ٤٢ .

(٨) Bovill, E.W.: The Golden Trade of the Moors, P. 120.

(٩) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص ١٠١ .

(١٠) Bovill, E.W.: The Golden Trade of the Moors, P. 119.

(١١) Bovill, E.W.: The Golden Trade of the Moors, P. 121.

(١٢) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص ١٩١ .

(١٣) Mouny, R.A.: (The Question of Ghana) A.J. of Int. A. Inst. London Vol. 24, 1954, P. 200

(١٤) Mouny, R.A.: Tableau géographique, L'Ouest Africain au Moyen Age P.P. 293-306 I.F.A.N. Dakar 1961 Ajayi & Espie, P. 237.

وتدور المأساة

"من ملف المفاوضات والتصريحات العالمية"

شعر : عبد العزيز نصر



لا تحملْ همَّ الإنسان المشنوق
بفكر الإذلال !!

لا يأخذكَ صراخ الأم الثكلى ،
شهقات الطفل المَرزوع
بوَجهِ الجوع !!

وتأمل كيف تُداسُ الأخلاق
بصَفيْع الأهل ،
بأحذيَة النّاس الموهوبين !!
وَدَع الأوحال
يا شعري ..

فالشمس بوَجهِ الأرض ..
تُجَفّفُ كلُ الأوحال

وعذاب الإنسَانِ يذوب
في عزم الإنسان

والأم الثكلى تغدو هائمة
بجنين آخر

والطفل المفجوع
يُحلّقُ .. يَكبُرُ
يا شعري

لَكِن النّاسَ الموهوبين
لكن الأهلَ
يَفترشون الأخلاق
فيعودُ الإنسان لدُنيا الأسْر
وتدورُ المأساة !!

استراتيجية الماء
في التنمية الاقتصادية والاجتماعية
في المملكة العربية السعودية

بقلم: د. عبد علي الخفاف

تبلغ مساحة المملكة العربية السعودية (٢,٢٥٣,٠٠٠) كم² وهي بذلك أوسع أقطار الشرق الأوسط. ومن خارطتها يتضح أن أبعاد أراضيها من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب تكاد تكون متساوية وهي حوالي (١٢٠٠) كم.

وبالنسبة للشكل الطبغرافي فقد تشكل أساساً نتيجة حركة الاندفاع والانكسار التي حصلت في غرب وجنوب غرب شبه الجزيرة العربية وعند حافاتها. إن معدل ارتفاع هذه الجهات، الجبلية والهضبية هو (١٠٠) م على امتداد الساحل الغربي. من ذلك كان سطح المملكة يتسم بالانحدار البطيء والتدريجي نحو الخليج العربي.

إنه لمن البديهي أن يقودنا تناول الماء في المملكة إلى ضرورة معرفة **الخصائص العامة للمناخ** فيها، فالماء كما هو معروف يوجد في الطبيعة ضمن دورة تدعى **«دورة الماء في الطبيعة»** ولخصائص المناخ تأثير في دينامية هذه الدورة.

وهنا نشير إلى أن دراسة المناخ تواجه بعض الصعوبات لعل في مقدمتها ندرة محطات الأرصاد الجوي حيث يصعب قياس أشكال التساقط بصورة دقيقة. ومع ذلك فإن الدراسات في هذا الميدان تحدد متوسط التساقط السنوي بحوالي (٥٠) ملم.

ولا شك أن يتباين هذا التساقط من جهة لأخرى، ففي الوقت الذي لا تسقط فيه أمطار على بعض أجزاء **الربع الخالي** لعدة سنوات متتالية فإن **الرياح الموسمية** الهابة على الجهات المرتفعة جنوب غربي المملكة تسبب في سقوط الأمطار إلى أكثر من (٨٠٠) ملم خلال فصل واحد (لاحظ شكل ـ ١ ـ).

والحقيقة أن المحطات التي احتوت على معدلات تساقط لعشر سنوات متتالية (وهذه الفترة تمثل التتابع الزمني المفيد للدراسات المناخية) كانت قليلة **(لاحظ الجدول ـ ١ ـ)** وليس من الغريب أن نذكر أن **أقدم محطات الأرصاد الجوي في المملكة هي محطة (الرياض)**، ولا تعود أقدم تسجيلاتها إلى أبعد من بداية الخمسينات. ومن تسجيلات هذه المحطة المحفوظة يظهر أن المتوسط السنوي للتساقط خلال الفترة الممتدة بين (١٩٥٣ - ١٩٧١ م) وهي فترة (١٩) عاماً يبلغ (٢ / ١٠٢) ملم، كما يبدو أن شهر نيسان (أبريل) هو أكثر شهور السنة من حيث كمية التساقط يليه كانون الثاني وآذار (يناير ومارس). أما بالنسبة لذروة التساقط فهي في شهر كانون الثاني (يناير) أو شباط (فبراير) أو آذار (مارس) أو تشرين الثاني (نوفمبر) أو كانون الأول (ديسمبر). ولا تسجل أجهزة الأرصاد أية تساقط خلال شهري أيلول وتشرين الأول (سبتمبر وأكتوبر)، وتسجل كميات قليلة خلال حزيران وتموز وآب (يونيو ويوليو وأغسطس).

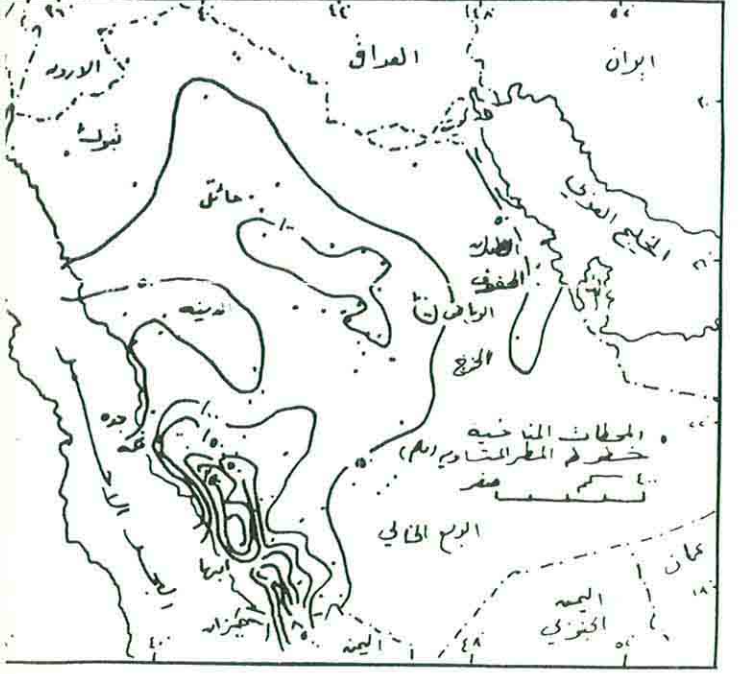
أما **محطة الأرصاد في (المدينة المنورة)** فإنها تشير إلى أن المنطقة المحيطة بها أشد جفافاً إذ يبلغ التساقط فيها (٣٨,١) ملم فقط، وهنا يكون كل من تشرين الثاني وكانون الثاني وآذار ونيسان (نوفمبر ويناير ومارس وأبريل) أكثر شهور السنة من حيث التساقط.

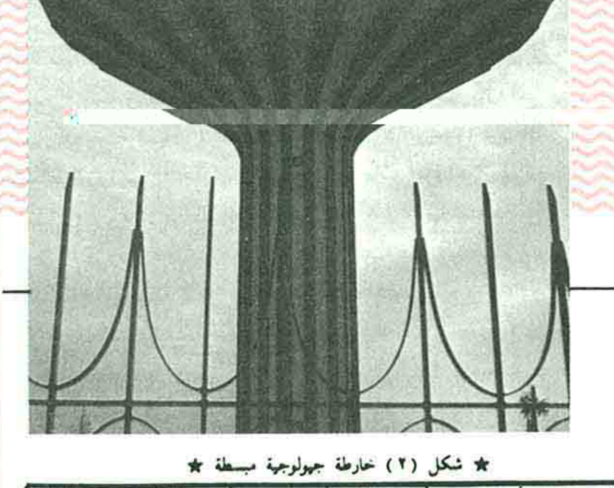
وفي **محطة أرصاد (الطائف)** التي تقع على ارتفاع (١٤٧١) م فوق مستوى سطح البحر تسجل الأجهزة (١٨٠) ملم وهي بذلك أكثر المحطات تسجيلاً، والشهور تشرين الثاني وآذار ونيسان (نوفمبر ومارس وأبريل) تستلم أعلى معدلات التساقط في السنة.

وبالنسبة **للجهات الشمالية** من المملكة فقد وقعت تحت تأثير الأعاصير المتجهة شرقاً نحو مركز الضغط المنخفض على البحر المتوسط لذلك تركز التساقط فيها خلال فصل الشتاء. أما **الجهات التي تقع جنوب الخط الممتد بين المدينة والرياض** فتقع تحت تأثير الرياح الموسمية لحد ما.

وبصورة عامة نذكر أهم ميزة للتساقط في المملكة، وهي أن جهاتها الشمالية تعاني من تباين كبير في معدلات التساقط من عام لآخر لدرجة يصعب تقدير إمكانية الاعتماد عليها، كما أن الأمطار الموسمية تزداد كلما اتجهنا جنوباً، فعلى سبيل المثال يلاحظ أن معدل الأمطار الساقطة في **(الطائف)** خلال ستة شهور تمتد من نيسان (أبريل) إلى أيلول (سبتمبر) هو (٤٠ ٪) في مجموع التساقط السنوي بينما تهبط هذه النسبة إلى (٣٠ ٪) في (المدينة المنورة).

★ **شكل (١) المتوسط السنوي للتساقط ـ مرسومة عن / خرائط المطر في المملكة العربية السعودية، جامعة الرياض (١٩٧٣ م)** ★





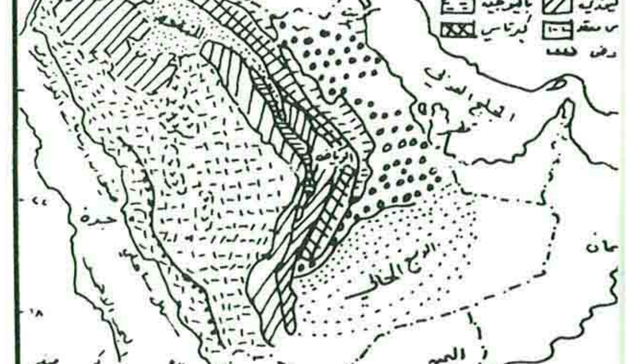
جدول (١)
متوسط التساقط (ملم)

المحطة	الرياض	الظهران	جدة	الطائف	المدينة
الارتفاع (م)	٦٢٤	٢٣	١٧	١٤٧١	٦٤٦
المتوسط الشهري					
كانون الثاني	١٨,٦	٢٣,٥	١٥,٧	١٠,١	٧,٥
شباط	٨,٨	١٥,٨	٩,٤	١٢,٨	٠,٦
آذار	١٦,١	٣,٨	٢,٢	٢٧,١	٦,٨
نيسان	٢٤,٧	١٦,٢	٧,٩	٢٧,٥	٦,٤
آيار	١٢,٨	٢,٢	٢,٤	٢١,٩	٤,٣
حزيران	٠,١	٠,٨	٠,٤	٥,٥	٠,٣
تموز	٠,١	٠,٠	٠,٥	٣,٩	٠,١
آب	٠,١	٠,٠	٠,١	٩,٤	٠,١
أيلول	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٤,٦	٠,٠
تشرين الأول	٠,٠	١,٤	٠,٠	٥,٦	٠,٤
تشرين الثاني	١٠,٣	٣,١	١٤,٢	٤١,٧	٨,١
كانون الأول	١٠,٦	١,٨	١٢,٥	٦,٨	٣,٥
المتوسط السنوي	١٠٢,٢	٧٤,٧	٦٥,٣	١٧٧,٨	٣٨,١
مدة الأرصاد	١٩٥٣ _ ١٩٧١	١٩٥٩ _ ١٩٧١	١٩٥٧ _ ١٩٧١	١٩٦٠ _ ١٩٧١	١٩٥٦ _ ١٩٧١

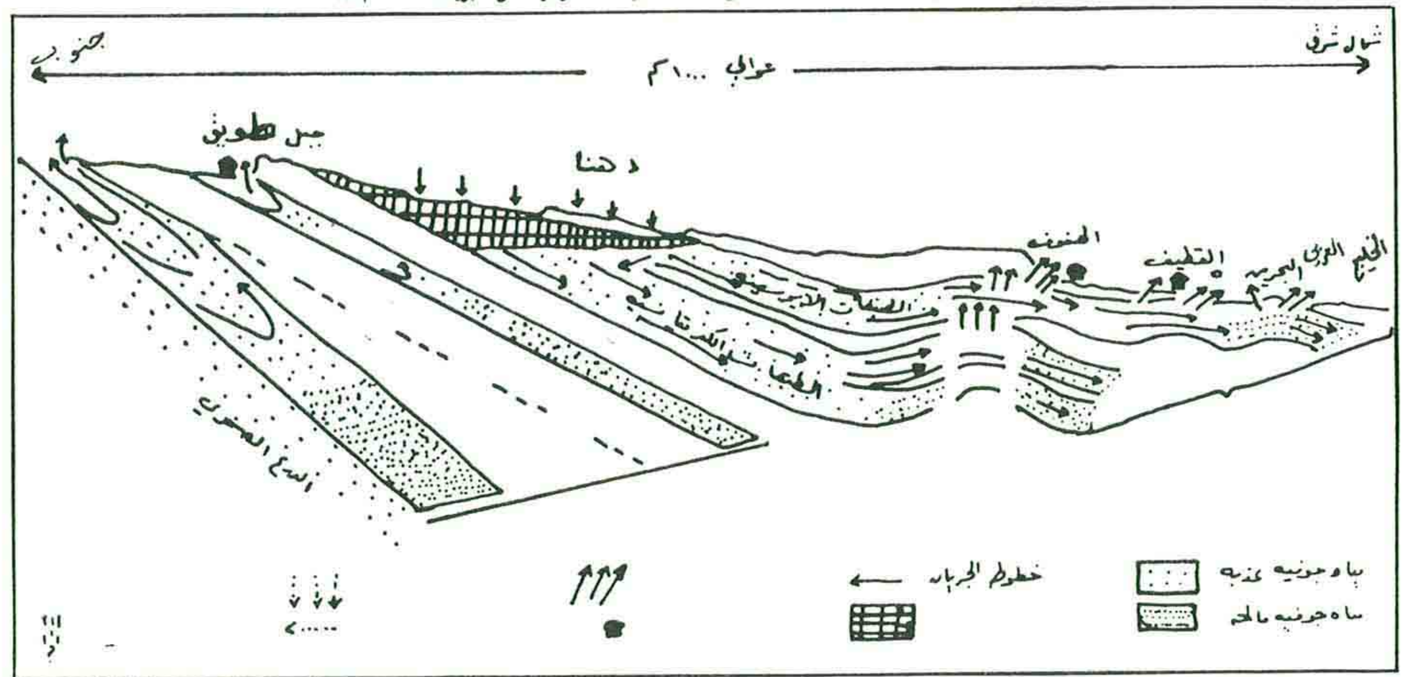
★ **المصدر**: معلومات عن المملكة العربية السعودية _ قسم الأرصاد الجوي _ دائرة المناخ.

★ شكل (٢) خارطة جيولوجية مبسطة ★





★ شكل (٣) النظم الرئيسية للطبقات الحاوية على المياه (المستودعات) مرسومة عن / بوردن / ١٩٧٣م ★



والعنصر المناخي الآخر الذي يجب أن نتناوله لعلاقته بالموارد المائية هو (**درجة الحرارة** Temperature) وهي تتسم بـالارتفاع في فصل الصيف لتصل إلى (٤٠ ـ ٥٠)م° في **الجهات الوسطى** من المملكة وفي **جهاتها الشرقية** أيضاً بينما تنخفض على الجهات المرتفعة الموازية لامتداد ساحل **البحر الأحمر**. وفي **فصل الشتاء** تكون الحرارة معتدلة في كافة الجهات تقريباً. وقد تحصل بعض حالات الانجماد في وسط الصحارى في الشمال وفي بعض الجهات المرتفعة.

يصل المتوسط الشهري لدرجات الحرارة العظمى إلى (٤٥)م° في شهر آب (أغسطس) ويهبط إلى (٣)م° فقط في شهر كانون الثاني (يناير) وذلك حسبما تسجله محطة (الرياض). وطبيعي أن يتضاءل هذا المدى الحراري فوق الجهات الساحلية، ولكن يبرز عامل آخر وهو **ارتفاع نسبة الرطوبة** في هذه الجهات ليجعل مناخها في الصيف غير مريح ومتعب!!

لقد انعكست شدة الحرارة في فصل الصيف في ارتفاع معدلات التبخر فهي كما تشير السجلات تصل إلى (٣٠٠٠)ملم في المسطحات المائية (أو تكن ١٩٦٩م) كما وصلت الدراسات التي أعدها كل من (**ثورنثويت**) و (**ماذر وكارتر**) عام (١٩٥٨م) إلا أن معدل التبخر في معظم جهات المملكة لا يقل عن (١٢٠٠)ملم.

ومرة أخرى نقول إنه لمن البديهي أن تقودنا دراسة الماء إلى التعرف ولو بصورة سريعة على أحوال السكان، ذلك لأنهم هم المعنيون بفهم الاستراتيجية لتطوير الموارد المائية في قطر سبق وأن أشرنا إلى مجمل خواصه المناخية.

السكان وأحوالهم

إن عدد السكان في المملكة لم يعرف بشكل مضبوط وهنا نذكر أن عددهم قدر في الثلاثينات بحوالي (١,٥ ـ ٢) مليون نسمة وقد وقع عام (١٩٦٢ ـ ١٩٦٣م) التعداد الأول، وهو تعداد أريد منه أن يكون شاملاً وينطبق عليه المفهوم الديمغرافي للتعداد، إلا أن نتائجه لم تنشر، بعد ذلك بذلت **الأمم المتحدة (الدائرة السكانية)** جهداً بتخمين عدد السكان عام (١٩٧٣م) وكانت نتيجة التخمين أن قدر العدد بـ (٩) ملايين نسمة (**مكتب الدراسات السكانية ـ الأمم المتحدة ـ ١٩٧٣م**). وفي عام (١٩٧٤م) نشر إحصاء رسمياً ذكر أن عدد السكان (٧,٠١) ملايين نسمة. (**بيركس وسنكلير ـ ١٩٨٠م**).

وبصدد (**ظاهرة التحضر** Urbanisation فقد تطورت واتسعت **المراكز الحضرية** خلال الأربعين سنة الماضية، فقد قدر عدد سكان المدن عام (١٩٣٣م) بحوالي (٠٠٠ / ٣٠٠) نسمة ثم تضاعف هذا العدد لمرة ونصف بل تجاوز ذلك حيث يقدر عددهم بحوالي (٨٠٠,٠٠٠) نسمة عام (١٩٦٢ ـ ١٩٦٣م) (**ميكريكور ـ ١٩٧٢م**). ونذكر نمو أحجام المدن فقد تجاوزت مدن: **الرياض ـ مكة ـ جدة ـ المدينة ـ الطائف ـ الدمام ـ الظهران ـ الخبر ـ الهفوف** (٥٠,٠٠٠) نسمة. والحقيقة إنها قفزة تحضر عند الرجوع إلى الوراء ومعرفة سكان المراكز الحضرية مطلع هذا القرن. (**بومنت ـ ١٩٧٧م**).

ولا شك أن هذا النمو السكاني المطرد والتحول نحو المركز الحضري تعقبه الحاجة إلى الموارد المائية، وإلى توفير المياه الصالحة للشرب ومياه النشاط الزراعي والصناعي!!

وهنا لا بد أن نشير إلى فترة الستينات وما صاحبها من بداية رئيسية لتطور اقتصاد المملكة فقد كانت عناصر الثروة الوطنية تتألف من البترول والإنتاج الزراعي على نطاق محدود، وقد كان السكان الذين يعيشون بطريقة تقليدية حيث يعتمدون على النشاط الزراعي المحدود حول الواحات أو حياة بداوة غير مستقرة، كان هؤلاء يشكلون النسبة الأعظم. إلا أن صادرات البترول الهامة خصصت في معظم عوائدها في تنمية المملكة خاصة تنمية الموارد الأساسية، مشاريع الزراعة والموارد المائية وبرامج التصنيع التي وجهت أساساً إلى الصناعات ذات العلاقة بالبترول، وقد بدأت ملامح هذه الخطط التنموية ونتائجها.

والذي يلاحظ من خصائص التغير الحاصلة في الاقتصاد أن وتائر هذا التغير لم تكن سريعة في قطاع الزراعة وذلك تحت تأثير البيئة الطبيعية الجافة القاسية وإلى النمط التقليدي الذي يميل أن يعيشه السكان، فهم يميلون إلى **النشاط الرعوي** دون أن يتوجهوا نحو **النشاط الزراعي التجاري**. وبصدد **المساحات الزراعية** نذكر أنها تتجاوز نسبة (٠,٢ ٪) قليلاً من المساحة العامة وأن (٨٠ ٪) منها تعتمد على الري وهي توزع على شكل مزارع صغيرة فحوالي (٨٥ ٪) منها هي دون (١,٦) هكتار. **أما المحاصيل الحقلية فأهمها الدخن والخضروات والتمور والفواكه**، ومن جانب آخر فالمملكة أعظم منتج للبترول في الوقت الحاضر وفيها أكبر احتياطي في العالم يقدر بـ (١٩٠٠٠) مليون طن (شركة النفط البريطانية ـ ١٩٧٠م) وتقوم شركة (أرامكو) بمعظم فعاليات صناعة البترول وفي الآونة الأخيرة بدأت شركة النفط الوطنية تتعهد بإنجاز بعض فعاليات هذه الصناعة. وبديهي على إثر ظاهرة التحضر أن تنمو بعض الصناعات المحدودة التي تسد الطلب المحلي لسكان المراكز الحضرية إلى جانب هذه الصناعة العظيمة.

إذن هذه هي الملامح العامة في مناخ وتطور حجم السكان وركائز الاقتصاد في المملكة وجميعها تقود إلى التأكيد حول ضرورة الاهتمام بالماء وتطوير مصادره والتخطيط لاستعمالاته.

★ شكل (٤) الأراضي الزراعية (رسمت بتبسيط عن وزارة الزراعة والمياه). ★

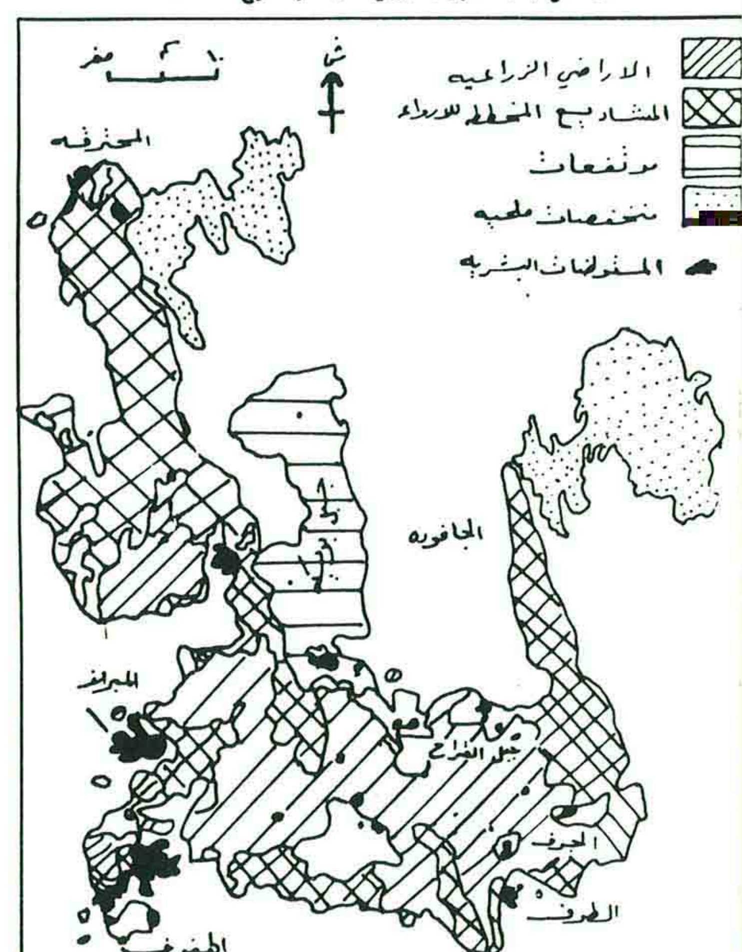
الموارد المائية

إن هذا القطر العربي الواسع المترامي الأطراف لا تجري فيه أنهار ولا أي شكل من أشكال المياه السطحية الجارية ، إلا بعض المسيلات الصغيرة الفصلية التي تعقب زخات المطر الغزيرة عادة في أطرافها الغربية . وهذه المسيلات في الغالب تأخذ لها مجاري ووديان سطحية سبق وأن حفرتها ونحتتها الفيضانات المتسببة عن سقوط الأمطار بزخات سريعة وفجائية وغزيرة . حتى باتت هذه الوديان من الصفات الجيمورفية المعروفة فوق سطح المملكة ، وهي تتجه بانحداراتها نحو الخليج شرقاً ، والبحر الأحمر غرباً ، وخط تقسيم المياه بينها يقع على بعد (١٠٠ ــ ١٥٠) كم فقط عن ساحل البحر ، من ذلك فإن المسيلات التي تتجه غرباً تنصرف بعض الأحيان إلى البحر ، أما تلك التي تتجه شرقاً فنتيجة لبعدها عن الخليج يتم تصريفها داخلياً مكونة الأحواض الداخلية والسبخات حيث تتبخر المياه بفعل ارتفاع درجات الحرارة مخلفة ورائها الأملاح .

المياه الجوفية

هذه المياه يطلق عليها بعض الأحيان « **المياه الباطنية** » « Under Ground Water» هي الأساس في مصدر الماء في المملكة وهي مدار الاهتمام فيها ، وللتركيب الجيولوجي أثره في تجمع هذه المياه وفي توزيعها جغرافياً . **إن المملكة تقسم من الناحية الجيولوجية إلى إقليمين أثرا بدورهما في تقسيم هذه المياه وتوزيعها جغرافياً . وهذان الإقليمان هما :**

★ شكل (٥) استعمالات الأرض المقترحة في مشروع الحسا ★



(١) الإقليم الغربي : ويتميز بتكوينات قديمة صلبة حيث تشكل الصخور النارية والمتحولة الأساس لبناء المرتفعات في هذا الإقليم . ولما كانت هذه الصخور صلدة قليلة المسام لا تسمح بنفوذ المياه لذلك فإن هذه المياه توغلت إلى الباطن من خلال خطوط الانكسار والثقوب التي تملأها الرسوبات الطموية على طول خطوط الوديان الرئيسية .

وفي هذا الإقليم تتميز المياه بمستوى قريب من سطح الأرض فيمكن الحصول عليها بواسطة حفر الآبار القليلة العمق . أما نوعيتها وخصائصها فتختلف لدرجة كبيرة بتأثير خصائص الصخور المحيطة بها ، وبصورة عامة تتميز بارتفاع نسبة الملوحة فيها عند الاقتراب من السهل الساحلي وحيث يكون البحر الأحمر قريباً (**بوردن وأوتكن ــ ١٩٦٨ م**) . ويصادف أحياناً أن تظهر بعض المياه على شكل عيون كبيرة بين كتل الصخور الصلبة يقترن بظهورها وجود المستوطنات البشرية .

(٢) الإقليم الشرقي والجنوبي : ويتميز بوجود طبقة سميكة من التكوينات الرسوبية التي غطت الأساس الأرضي الصلب ، وهذه التكوينات هي التي شكلت المظاهر السطحية الرئيسية في هذا الإقليم (**لاحظ الشكل ٢**) ويظهر أن ثلاثين نوعاً من هذه التكوينات يمتد تاريخها من **العصر الكامبري** إلى العصر الحديث قد ترسبت بعضها فوق بعض حتى تجاوز سمكها (٥٠٠٠) متر ومن أهم الأنواع الصخرية فيها هي الصخور الجيرية والرملية والدولوميت ، وقد استطاعت هذه التكوينات أن تخزن كميات كبيرة من المياه وهي بذلك شكلت المخازن أو المستودعات الواسعة الرئيسية لها .

إن أهم ما تتصف به المياه هنا قلة الملوحة ، فهي صالحة للشرب وللنشاط الزراعي ، ومع ذلك تظهر من بعض الآبار مياه أقل جودة ومياه كاربونية وتفسير ذلك يعود إلى تعرض هذه الجهات لبعض الحركات التكتونية التي تسبب عنها حدوث الشقوق والفواصل التي ساعدت على تسرب مثل هذه المياه إلى هنا (بوردن وأوتكن ــ ١٩٦٨ م) .

وتدل الدراسات أن مكونات الحافة الغربية المرتفعة من أرض المملكة تنحدر تدريجياً باتجاه الشرق وقد أثر ذلك في توجيه حركة المياه الجوفية بنفس الاتجاه ، وهذا يعني أنها تساهم في تغذية المياه الباطنية في المنطقة الشرقية والجنوبية ، يضاف إلى ذلك أن مسيلات المياه السطحية المنحدرة من الغرب إلى الشرق والجنوب هي الأخرى من مصادر التغذية ، ولكن لم تعرف القيمة الفعلية لهذه التغذية إلى الآن .

إن جريان المياه الجوفية إلى الجهات الشرقية في المملكة ساعد على تجمعها في مواضع يمكن استثمارها بواسطة حفر الآبار الارتوازية وقد تظهر أحياناً متدفقة في آبار لتكون الواحات الكبيرة مثل واحات (**الحسا**) . وتدل الدراسات أيضاً إلى أن الطبقات الرسوبية قد احتوت أحد عشر مستودعاً يمتد تاريخ تكونها ما بين **العصر الكامبري إلى العصر الكواترنري (لاحظ الجدول ــ ٢ ــ) .**

ولقد درست مؤخراً معظم المياه الجوفية وعرفت خصائصها الكيميائية فأخذت منها بضعة آلاف من النماذج ، وحللت وعرف تكوينها إلا أنه لم تتم دراسة كافة مصادر المياه حتى الوقت الحاضر . وقد كشفت أعمال التحري في الجهات الشمالية الشرقية أن المياه تزداد ملوحة عند اتجاهها في جريانها نحو البحر (بومنت ــ ١٩٧٧ م) .

المستودعــات

يمكن أن نعتمد الأساس الجيولوجي في تكوين وبناء هذه المستودعات وبذلك نقسمها إلى أربعة أقسام حسب تاريخ تكونها (بوردن ــ ١٩٦٣ م) (**لاحظ الشكل ــ ٣ ــ**) وهي :

١ ــ **مستودعات الباليوزي والترياسي :** ويتحدد امتدادها ضمن

تكوينات من الصخور الرملية التي يمتد عمرها من الكامبري إلى العصر الترياسي ، ودون الباليوزية وهي داخل الهضبة التي تشكل الأساس في بناء أرض المملكة . وقد ظهر أن هذه المستودعات لا ترتبط مع بعضها البعض فلكل منها بناءه الجيولوجي المستقل ويستقبل المياه منذ الماضي وإلى الوقت الحاضر ، ويحتفظ بها ضمن قنواته . ولا شك أن تستلم هذه المستودعات بعض التغذية في الوقت الحاضر ، إلا أن معظم مياهها قد تجمعت خلال **العصر المطير في الكواترنري** . ولتحديد تاريخ تكوينها فقد دلت التحريات التي أجريت على **تكوينات (سوك)** على أنها تعود إلى (٢٨٠٠٠) سنة (أوتكن ـ ١٩٧١ م) ، بينما دلت أن **تكوينات (منجور)** تعود إلى (١٦٠٠٠ ـ ٣٥٠٠٠) سنة . والحقيقة يبدو أن هذه المياه تحتفظ بكمياتها دون تناقص إلا عند استغلالها والاستفادة منها .

٢ ـ **مستودعات العصر الكريتاسي :** وتقع ضمن **مكونات (وازيا وبياده)** ويبدو أنها غير كبيرة وتظهر في بعض الأحيان على شكل عيون طبيعية ، وظهر فيها التناقص حيث هبط مستوى الماء فيها وهي الآن عميقة .

٣ ـ **مستودعات عصر الايرسين :** وتقع ضمن إرسابات البليوسين وهي غير كبيرة أيضاً . ويتدفق منها الماء بصورة عيون على ساحل البحر ، وأهم **العيون** هي تلك الموجودة في الهفوف ويتدفق منها (١٤) م^3 في الثانية . وبصدد تناقصها فهو غير معروف .

والحقيقة يعتقد البعض من الخبراء بوجود موازنة طبيعية حاصلة بين التغذية والتناقص في مياه هذه المستودعات ، أما البعض الآخر فيرى العكس حيث يعتقد أن مستوى المياه بدأ يتناقص فيها خلال الخمسين سنة الماضية ، أي قبل حتى مواصلة الاعتماد عليها واستغلالها بصورة شديدة .

إشراف الدولة

تشرف على المياه في المملكة عدة دوائر وهي :

١ ـ **دائرة صيانة الموارد المائية :** وتقوم بوضع سياسة الاستثمار والإشراف عليه .

٢ ـ **دائرة تطوير الموارد المائية :** وتهتم بإعداد المشاريع والبرامج للتطوير .

٣ ـ **دائرة تنفيذ المشاريع :** وتوكل لها كافة الأعمال الهندسية .

٤ ـ **دائرة الخدمات :** ومهمتها الإشراف على تجهيز المدن ضمن حدودها البلدية ، أي الإشراف على إسالة الماء البلدية .

٥ ـ **دائرة المياه المالحة :** وتشرف على مهمات تحلية المياه سواء في البحر أو في الآبار المالحة .

مستودعات المياه الجوفية الرئيسية في المملكة العربية السعودية

الفترة	الطبقات الحاوية على الماء الرئيسي	التكوين الصخري	السمك (م)
الكواترنري	طموية	طموية	قليل
نيوجين	نيوجين	صخرية	متباين
الأيوسين	الدمام	كاربون	٣٢٠
البليوسين	أم راضوما	كاربون	٤٩٠
الكريتيس المتوسط	وازيا	رملية	٦٠٠ سم
الكريتيس الأسفل	بيادة	رملية	٦٥٠
الجوارسي الأسفل	ضورما	كاربون	٣٧٥
الترياسي الأعلى	مجور	رملية	٤٠٠
الباليوزي	واجد	قليل من الصخور الرملية والكاربون	١٠٠٠ سم
الايدوفيشين (سيليرين)	ثيوك	رملية	٦٠٠ سم
الكامبري	سوك	رملية	١٠٠٠

★ **المصدر :** بوردن ، د . ج (١٩٧٣ م) جدول (٥) ص ٤ .

وكانت هذه الدوائر تابعة إلى **وزارة الزراعة والمياه** التي تشكلت عام (١٩٥٤ م) ، أما في الوقت الحاضر ، فقد تحولت هذه المسؤولية إلى المؤسسة العامة لتحلية المياه .

المؤسسة العامة لتحلية المياه

ويمكن أن يحدد عام (١٩٦٥ م) كبداية جادة لإدارة وإشراف الحكومة لموارد المياه ومن ذلك التاريخ بدأت عمليات المسح والتحري والتصنيف وقد قسمت المملكة لأغراض تنفيذ هذه المهمات إلى (٨) مناطق على أساس بعض الخصائص الهايدولوجية ، وإلى اختيار الشركات الاستشارية لمواضع المشاريع .

إن هذا الاهتمام العلمي أكد عدة حقائق كان فيما بينها أن استثمار هذه المياه يشبه أية عملية تعدين لاستغلال ثروة قابلة للنفاد ، ولا تتجدد كالبترول مثلاً ، وهذه الحقيقة هامة لأنها تحذر من التبذير بهذه الثروة واحتياطيها .

وثمة حقيقة أخرى وهي أن بعض المياه يصعب استغلالها والاستفادة منها من الناحية الاقتصادية وذلك لكون استثمارها يكلف كثيراً بسبب بعد مستوى المياه .

أما الحقيقة الثالثة فهي أن كميات الاحتياطي كبيرة لدرجة أنها يمكن أن تسد حاجة الحاضر والمستقبل المنظور .

والحقيقة الأخيرة هي أنها قابلة للنفاد وهنا يجب مراعاة تطوير أساليب التجهيز المائي الأخرى .

إن المشكلات الهامة التي تقف أمام دوائر الدولة المعنية بالمياه هي حفر الآبار العميقة حيث يصل العمق أحياناً إلى أكثر من (٥٠٠) متر وهذا كما هو معروف لا يتم بسهولة ، ولا ينفذ إلا بأجهزة وتكتيك حديث .

ومشكلة أخرى هي الحد من الضائعات عن طريق التبخر وذلك بواسطة بناء الخزانات غير المكشوفة وأنموذج ذلك الخزان الذي يبعد عن الرياض حوالي (٢٢) كم .

الماء والزراعة

تشغل الأراضي التي يمكن زراعتها وإرواؤها مساحة (١٢١,٠٠٠) هكتار وكان من المؤمل أن تزيد حوالي (٥٠,٠٠٠) هكتار . وبصورة عامة فإن **من المشكلات الرئيسية التي تواجه المملكة إلى جانب قلة المياه هي قلة الأراضي الزراعية والقابلة للزراعة** . ومعظم الأراضي القابلة للزراعة يتركز في الجهات التي تتميز بوفرة المياه وهي الجهات المرتفعة جنوب مدينة (مكة المكرمة) وحول العيون والآبار المنتشرة في الجهات الشرقية **(لاحظ شكل ٤)** .

لقد قدر استغلال المياه لأغراض الري عام (١٩٧٠م) بحوالي (٨٥٠) مليون م^3 سنوياً ، ومع التوسع في عمليات الري ستصل هذه المساحة إلى (٢٥٠٠)

مليون م^3 سنوياً عام (١٩٨٠ م). ومما يزيد من الحاجة إلى مياه الارواء شدة ارتفاع درجة الحرارة هنا مما يدفع إلى التفكير بممارسة التقنية المتطورة في مجال الري كالري بالرش أو بواسطة المطر الاصطناعي، حيث يمكن تقطير المياه حسب حاجة المحصول الزراعي.

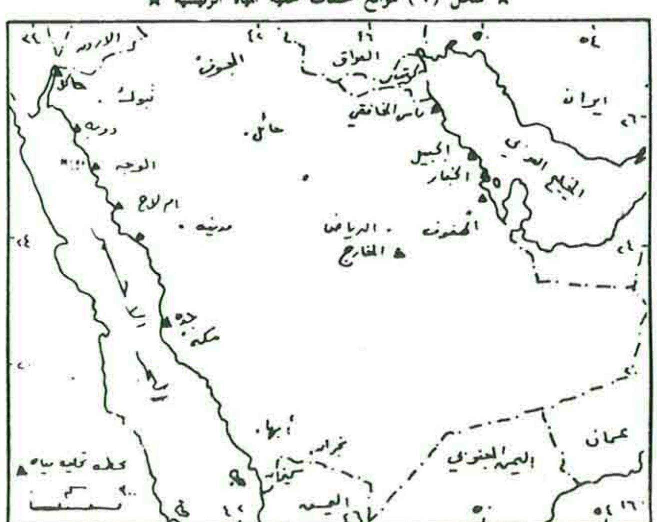
إن توفر كميات مناسبة من المياه وتربة صالحة للنشاط الزراعي في بعض جهات المملكة شجع الحكومة على تنفيذ بعض المشاريع الزراعية التي تعد اليوم من النماذج المتقدمة في زراعة المناطق الجافة. ومن هذه المشاريع: **(الحسا ـ القطيف ـ القصيم ـ الأفلاج ـ الخرج ـ جيزان ـ تهامة ـ وادي فاطمة ـ المدينة).** ومشروع الحسا كان من أوسع المشروعات فهو يصل لمساحة (١٨٠) كم^2 ويقع شرق المملكة والمدينة الرئيسية فيه هي (الهفوف) وتنتشر حولها (٥٠) قرية ويقدر عدد السكان الذين يعتمدون على هذا المشروع حوالي (٢٠٠,٠٠٠) نسمة، أما المحاصيل الزراعية الثلاثة الرئيسية التي تزرع فيه هي: **(التمور والأرز والخضروات)** وبدأت تظهر فيه **تربية الأغنام والماعز.**

ومن المشاريع الضخمة **سد (أبها)** وقد اكتمل تشييده عام (١٩٧٤ م) ويقع في منطقة عسير ويبلغ ارتفاعه (٣٣ م) وقابلية استيعابه تسع لخزن (٢,٤) مليون م^3 والغرض منه توفير مياه الري والشرب لسكان (أبها) وقد كلف تشييده مبلغ (٥٠) مليون ريال سعودي.

ومن أكبر المشاريع أيضاً **سد وادي (جيزان)** والغرض منه ضغط المياه المنحدرة من جبال عسير في فصل الصيف لاستعمالها لأغراض الري من ذلك يؤمل زيادة مساحة الأراضي الزراعية البالغة (١٨٠٠) هكتار لتصل إلى (٢٤٠٠) هكتار. إن متوسط ما يجري في الوادي من مياه يصل إلى (٩٠) مليون م^3 سنوياً وهي تتباين في كمياتها من عام لآخر. أما سعة هذا السد فهي (٧١) مليون م^3. (بومنت ـ ١٩٧٧ م).

الماء والحاجات البلدية

لقد اقترن بارتفاع مردود الثروة النفطية في المملكة سرعة وتائر التحضر كما سبقت الإشارة لذلك، وتنعكس نتائج ذلك في زيادة الطلب على المياه حتى أصبح موضوع توفير المياه الصالحة للشرب لسكان المدن من الموضوعات الهامة أمام سياسة الدولة وبرامجها التنموية. **والمعروف من الدراسات الميدانية أن حاجة الفرد إلى الماء تصل في منطقة الشرق الأوسط وفي المجتمعات الريفية**



★ شكل (٦) مواقع محطات تحلية المياه الرئيسية ★

إلى (٢٠/٤٠) لتر يومياً بينما يصل هذا المعدل إلى (٥٠٠) لتر في مجتمع المدينة.

أما الجهات التي تهتم بتوفير المياه في المدن فهي:

١ ـ وزارة الزراعة والمياه.

٢ ـ وزارة البلديات والشؤون القروية.

٣ ـ المؤسسة العامة لتحلية المياه.

وقد مدت فعلاً الكثير من شبكات إسالة الماء في المدن الكبيرة خلال العقدين الماضيين. وخلال الخطة الخمسية الماضية (١٩٧٥ ـ ١٩٨٠ م) أسست مشاريع إسالة جديدة في كل من الرياض، الخرج، جدة، الطائف، مكة، الهفوف، وأوسع هذه المشاريع هو مشروع مدينة الرياض، وهو يعتمد على مياه «**وادي حنيفة**» الفيضي وروافده ووادي النسا وهو واد ضحل ذو تكوينات رملية وعلى مخزون المياه في مستودعات منجور الباطنية. ويبدو أن المصدر الأخير هو الذي يسد معظم حاجات المدينة وهي مياه عسيرة وحارة وتحتاج إلى تنقية قبل استعمالها. أما مياه المصدرين الآخرين فهي أكثر جودة.

إن تبديل شبكة الإسالة القديمة وتنظيم شبكة لمجاري المياه القذرة سيخلص مصادر المياه السابقة الذكر من التلوث وبذلك تتخلص مدينة الرياض من أكبر مشكلات الماء فيها.

وبالنسبة لمدينة (جدة) فهي من مدن المملكة التي تعاني من موسم ضغط شديد على مصادر المياه وهو موسم الحج وقد فكر **الأتراك** منذ مطلع هذا القرن بتوفير المياه لها وفعلاً أسسوا مشروعاً لإيصال المياه الجوفية من **عين العزيزية** إليها، وقد وضع عليها بعض الدواليب لتسهيل رفع المياه من الآبار وذلك عام (١٩٣١ م) وكانت العين توفر ما متوسطه (٢١٦) م^3 يومياً بينما كانت المصادر الأخرى التي تعتمدها المدينة لا توفر سوى (١١٤) م^3.

وخلال الأربعينات جهزت المدينة بمصدر مائي آخر من **وادي (فاطمة)** بربط عدد من العيون ومنها كان يضخ الماء بواسطة أنبوب قطره (٣٠,٥) سم إلى خزان يسع (٣٨٠٠) م^3 في ضواحي جدة، ومنه ترتبط شبكة أنابيب رئيسية وقد كلف هذا المشروع الذي أنجز أيام **الملك سعود** (٢١١) مليون دولاراً أمريكياً وأضيف لهذا المشروع أنبوب ضخ آخر بقطر (٦١ سم) عام (١٩٥٤ م) وفي عام (١٩٧٨ م) نفذت الحكومة مشروع تحلية المياه من البحر على بعد (١٠ كم) شمال جدة. (بومنت ـ ١٩٧٧ م).

إن المؤشرات الإحصائية توصلت إلى أن وتائر الطلب على المياه في ست مدن هي الرياض، جدة، مكة، المدينة، الطائف، الدمام، ستزداد بين (١٩٧٤ ـ ١٩٨٠ م) بنسبة (١٥٠ ٪) فيبلغ (٥٥٠,٠٠٠) م^3 لليوم الواحد وفي نفس الفترة سيظهر طلب جديد على المياه يقدر بـ (١٠٠,٠٠٠) م^3 يومياً للأغراض الصناعية في **(الجبيل)** و **(ينبع البحر)**. (بومنت ـ ١٩٧٧ م).

الماء من البحر

لقد تأكد لدى المملكة أن تحلية المياه من البحر والاستفادة من التقنية في هذا الميدان كفيل بحل مشكلة الماء فيها.. ومنذ الستينات ظهر أسلوبان في اتباع هذه التقنية:

(١) قصير المدى، (٢) بعيد المدى.

الغرض من الأول توفير المياه للمدن وأقاليمها، أما الثاني تحقيق الحاجة الشاملة للمملكة من مياه الشرب والأغراض المنزلية والصناعية.

ومنذ عام (١٩٧٠ م) أصبحت المملكة المنتج الرئيسي لتحلية المياه حيث بدأ تأسيس المحطة الرئيسية الأولى في جدة، وهذه المحطة بنيت كجزء من **مشروع**

لتوليد الطاقة الكهربائية وذلك على أساس الاستفادة من الطاقة الحرارية الضائعة للمشروع . وبهذا الأسلوب يمكن تحقيق أقل كلفة ممكنة في عمليات تقطير المياه . والمحطة تعمل بقابلية إنتاج (١٩٠٠٠) م٣ يومياً . وقد شيدت محطات أصغر في كل من (الوجه) وغيرها بطاقة إنتاج (٢٢٨) م٣ تقريباً .

أما محطة (الخبار) التي أعلن عنها عام (١٩٧٤ م) فخطط لها أن تنتج (٢٨٥٠٠) م٣ وهي ثاني محطة بعد جدة .

الحقيقة لا تزال خطط التنمية تستهدف زيادة كميات المياه المحلاة ، وإن الكميات التي أجريت تحليتها مطلع السبعينات غير معروفة إلا أنها قد تطورت إلى (٥٠,٠٠٠) م٣ يومياً عام (١٩٧٥ م) ثم تضاعفت هذه الكميات عام (١٩٧٧ م) وقد تتضاعف لتصل إلى (٥٠٠,٠٠٠) م٣ عام (١٩٨٥ م) وبعد هذا العام ستصل إلى (١٢٠٠,٠٠٠) م٣ يومياً (**لاحظ الجدول ــ ٣ ــ**) وإذا ما تحققت هذه الكمية فإن المملكة ستصبح أفضل من غيرها من أقطار العالم التي بدأت معها التحلية بنفس الفترة (بومنت/ ١٩٧٧ م) .

إن مشاريع التحلية وبناء المحطات مكلف جداً فقد صرف خلال الخطة السابقة مبلغ (٣٤٠٠٠) مليون ريال سعودي عليها كانت النسبة العظمى منها لتأسيس وبناء المحطات . والجدول (٤) يشير إلى أهم مشروعات التحلية في المملكة وسنة تأسيسها وقابليتها الإنتاجية .

جدول رقم (٣)
قابلية تحلية المياه الفعلية والمخطط لها

السنة	م٣/ يومياً
١٩٦٩	صفر
١٩٧٠	١٩٤٥٦
١٩٧٤	٤٨٤١١
١٩٧٥	٤٨٨٦٦
١٩٧٦	٤٩٣٢١
١٩٧٧	٩٧٢٧٦
١٩٧٩	٢٤٩٧٣١
١٩٨٠	٥١٥٧٣١
بعد ١٩٨٠	١٢٣٤٤٣١

★ **المصدر:** الجهاز المركزي للتخطيط ــ المملكة العربية السعودية .

جدول (٤)
مشاريع التحلية في المملكة العربية السعودية

الاسم	سنة التأسيس	م٣ماء/يومياً	الكهرباء/ كيلواط
جدة (فيس) ١	١٩٧٠	١٩٠٠٠	٥٠
(فيس) ٢	١٩٧٧	٣٨٠٠٠	٨٠
(فيس) ٣	١٩٨٠	٧٦٠٠٠	٢٠٠
(فيس) ٤	بعد ١٩٨٠	١٩٠,٠٠٠	٥٠٠
الوجه (فيس) ١	١٩٧٠	٢٢٨	٠٠٠
(فيس) ٢	١٩٧٦	٤٥٥	٠٠٠
(فيس) ٣	بعد ١٩٨٠	٥٧٠٠٠	١٥٠
(فيس) ١	١٩٧٥	٤٥٥	٠٠٠
الخبر (فيس) ١	١٩٧٤	٢٨٥٠٠	١٠
(فيس) ٢	١٩٨٠	١٩٠,٠٠٠	٥٠٠
(فيس) ٣	بعد ١٩٨٠	١٥٢٠٠٠	٤٠٠
الخفجي (فيس)	١٩٧٤	٤٥٥	٠٠٠
(فيس) ٢	١٩٧٩	١٩٠٠٠	٥٠
(فيس) ٣	بعد ١٩٨٠	١٥٠٠٠	٢٥٠
ينبع البحر (فيس) ١	١٩٧٩	١٩٠٠٠	٥٠
حاكي (فيس) ١	١٩٧٩	٤٥٥	٠٠
(فيس) ٢	بعد ١٩٨٠	٢٥٠٠	١٥
الجبيل (فيس) ١	١٩٧٧	٩٥٠٠	٢٥
(فيس) ٢	١٩٧٩	٧٦٠٠٠	٣٠٠
(فيس) ٣	بعد ١٩٨٠	١١٤٠٠٠	٣٠٠
(فيس) ١	بعد ١٩٨٠	٩٥٠٠٠	٢٥٠
الخرج (فيس) ١	١٩٧٨	٥٧٠	٠٠٠

★ المصدر : دائرة التخطيط المركزي/ المملكة العربية السعودية (١٩٧٥ م) :

وثمة صعوبات أمام هذا الحل (وهو تحلية المياه) ومنها :

١ ــ **ارتفاع كلفة تشغيلها** وذلك نظراً لارتفاع أثمان مصادر الطاقة كالبترول والغاز وهي كما هو معروف مصادر قابلة للنفاد . وزيادة كلفة الإدارة والإشراف والصيانة والخبرة الأجنبية في إدامتها .

٢ ــ أن عمر هذه المحطات لا يتجاوز (١٥ ــ ٢٥) عاماً وهذا يعني لا بد من تبديلها من حين لآخر وهذه كلفة يجب حسابها أيضاً .

ومما تقدم نخلص أن التنمية الاجتماعية والاقتصادية في المملكة اقترنت وستبق كذلك تقترن بزيادة الطلب على الماء لشتى الأغراض المنزلية والزراعية والصناعية ، وستبق إلى حين مناسب مياه العيون والآبار تسد نسبة كبيرة من حاجات السكان تطرد هذه زمنياً مع ترشيد استعمال الإنسان لها ، وستتطور الحاجة إلى مياه التحلية للوفاء بحاجات النشاطات الزراعية والصناعية رغم الكلفة العالية لها .

المصادر

١ ــ أونكن ــ ١٩٦٩ م ــ التجهيز الشامل من المياه الجوفية في المملكة العربية السعودية ــ المملكة المتحدة .

٢ ــ ماذر وكارتر ــ ١٩٥٨ م ــ ثلاث خرائط للموازنة المائية جنوب غرب آسيا ــ المطبوعات المناخية ــ العدد ــ ٦ ــ نيوجرسي ــ الولايات المتحدة .

٣ ــ ميكريكور ــ ١٩٧٢ م ــ السكان وتأسيس الولايات الجديدة (ضمن كتاب سكان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا) ــ فشر وكلارك ــ المملكة المتحدة .

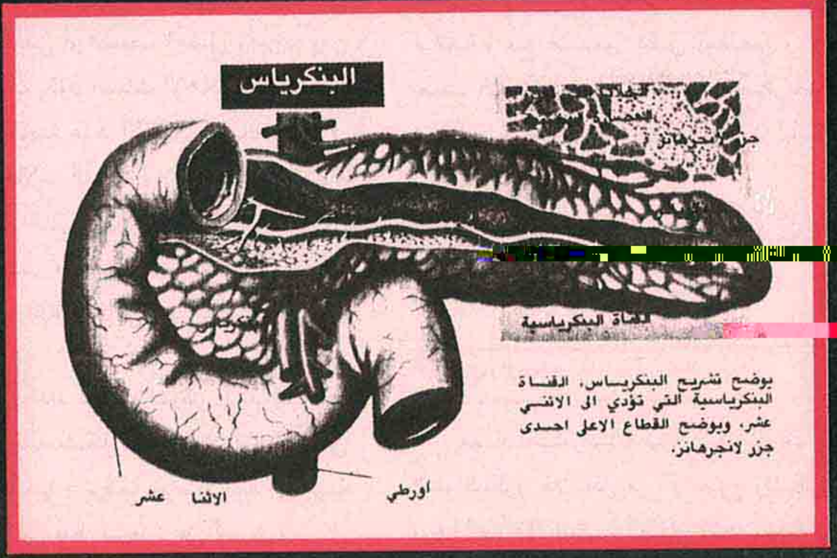
٤ ــ بوردن واونكن ــ ١٩٦٨ م ــ تطور الإشراف على الموارد المائية في المملكة العربية السعودية ــ المؤتمر الجيولوجي العالمي الثامن .

٥ ــ أونكن ــ ١٩٧١ م ــ الطبقات الرسوبية الباليوزية في المملكة العربية السعودية ــ المؤتمر الهايدرولوجي العالمي/ طوكيو ١٩٧١ م .

٦ــ بومنت ــ ١٩٧٧ م ــ الموارد المائية والتقدم في المملكة العربية السعودية ــ المجلة الجغرافية ــ مجلد ١٤٣/ الجزء ــ ١ ــ آذار (مارس) ١٩٧٧ م .

أبحاث السيطرة على السكري إلى أين ؟

بقلم : مازن الزعبي



يوضح تشريح البنكرياس، القناة البنكرياسية التي تؤدي الى الاثني عشر، ويوضح القطاع الاعلى احدى جزر لانجرهانز.

يعرف الدكتور يوسف صائغ ـ الأستاذ في كلية الطب بجامعة دمشق ـ السكري بأنه : « داء يحدث نتيجة لاضطراب في استقلاب المواد السكرية ينجم عادة إما عن خلل في تركيب الأنسولين أو إفرازه وإما عن معاكسة عمل الأنسولين على مستوى الأنسجة نفسها » .

والأنسولين Insulin يعتبر هرموناً بانياً للأنسجة الحيوانية ذلك أنه يحرض تركب كل من **الفليكوجين والدسم والبروتينات** في الجسم فهو يعمل مما يعمل على زيادة النفوذية في الغشاء الخلوي وبالتالي زيادة دخول **الغلوكوز والحموض الأمينية والدهنية** لداخل الخلية .

تاريخ السكري وأسبابه

والسكري إذا كان لا بد من لمحة موجزة عنه **معروف منذ ١٥٠٠ عام ق . م ، عند الفراعنة ، وذلك ما أثبته عالم الآثار الألماني « ليبرز »** ولكن ما يدعو للسخرية هو عدم معرفة أسبابه أو اليته بشكل مؤكد حتى الآن فأنت لو بحثت في هذا الموضوع لوجدت أن المصادر الطبية تذكر أن **الأسباب تتراوح بين وراثية ونفسية وفسيولوجية وغذائية وفيروسية** ، فالإنسان قد يرث الاستعداد للإصابة ثم تقوم العوامل الأخرى بإكمال المشوار .

وإذا كان نقص الأنسولين المطلق أو النسبي هو السبب الفسيولوجي الأهم للداء السكري ، فإن السؤال الذي لا يزال يدور في الفراغ دون إجابة شافية هو : **ما أسباب هذا النقص ؟** والمحاولات للإجابة عن هذا السؤال اللغز تركزت أكثر ما تركزت حول النواحي المناعية للداء بالإضافة للأسباب الوراثية والمحيطية ، وكثيراً ما تضافرت الدراسات

حول هذه الأسباب معاً وخاصة العلاقة بين الاليات المناعية الممرضة ، والوراثة وبينهما معاً من جهة والعوامل المحيطة خاصة (**البدانة ، والإصابة بالأمراض الفيروسية ، والحمل ، وفرط التغذية بالسكريات والسموم الكيماوية والصدمات النفسية . .**) من جهة أخرى .

ولقد أشارت بعض التقارير الطبية لاشتراك هذه العوامل معاً في عملية إضعاف **خلايا بيتا** Beta ضمن جزر لانغرهانس Langerhans المنتشرة في **نسيج البنكرياس** Pancreas وبالتالي إتلافها ، فحدوث السكري ذلك أن هذه الخلايا Beta Cells ، هي التي تفرز الأنسولين . وما دمنا قد ذكرنا الأمراض الفيروسية كأحد الأسباب لحدوث السكري فلا بأس من ذكر هذا الخبر الطبي الآتي من **أستراليا** حيث قام فريق طبي بحقن مجموعة من الأرانب بفيروس **مرض الحصبة** Measles ثم عمدوا لتشريحها فوجدوا أنها قد أصيبت وأجنتها باضطرابات بنكرياسية خاصة ضمن جزر لانغرهانس Langerhans هذا ما حدث أيضاً في أميركا عندما لاحظ بعض العلماء وجود علاقة بين داء السكري وإصابات **الرئة الفيروسية** أو الإصابة **بالنكاف** Mumps (Oreillons) .

المصابون بالسكري

يشاهد هذا الداء في أي عمر وعند كلا الجنسين وخاصة عند البدينين ، ومن هم في سن ٤٠ ــ ٦٠ سنة حيث يبدأ عندهم بالتدرج ، إلا أن خطورته عند الشباب والأطفال يكون فجائياً وأكثر شدة في العادة ، وهو ليس بذي أعراض نوعية خاصة ، ولكن هنالك مجموعة من الأعراض التي تثير الاشتباه به أجملها فيما يلي : **كثرة التبول ، العطش المستمر ، فقدان الوزن رغم زيادة حدة الشهية ، الضعف العام ، العصبية الزائدة ، الحكة الجلدية وخاصة في المنطقة التناسلية ، الدمامل المتكررة ، الجمرة الحميدة ، حب الشباب ، الأكزيما الدهنية ، تساقط الشعر ، الطفح الدموي تحت الجلد ، الضعف الجنسي أو العنه عند الذكور ، أما عند الإناث** فقد يثير الاهتمام حدوث أحد الأمراض التالية : الحكة الفرجية ، تكرر الإجهاضات ، زيادة وزن الوليد ، الانسمام الحملي Toxaemia ، الاستقساء الأمنيوسي ، موت الجنين في الفترة الأخيرة من الحمل . هذا ويجب الانتباه إلى أن الداء قد لا يترافق بأية أعراض تذكر في ١٠ ــ ١٥ ٪ من الحالات حيث يكشف آنذاك بطريق الصدفة إلا أن الداء قد يعلن عن نفسه بشكل عرض عصبي بسيط كالمغص أو الضعف العضلي وغيره . ومن الممكن أن يكون السبات الإسماضي هو العرض الأول وخاصة عند الأطفال واليافعين ، وفي بعض الحالات النادرة فإن احتشاء العضلة القلبية أو الخناق الصدري قد يكون الباب الأول الذي يكشف من خلاله الداء السكري خاصة في النوع الكامن المزمن غير ذي الأعراض .

أبحاث السيطرة على السكري إلى أين ؟

يسير الداء بشكل فرض مع إمكانية السيطرة عليه بشكل معقول إلا أنه لا يشفى [illegible] الحياة ، ليس فقط للسيطرة على أعراضه ، بل ولقطع الطريق أمام اختلاطاته الأكثر خطورة .

هذه الاختلاطات يمكننا من **الناحية الإكلينيكية** أن نقسمها إلى اختلاطات حادة مثل الالتهابات بشتى أنواعها (فيروسية ، بكتيريا ، فطرية) والسبات الإسماضي ، علماً بأن الاختلاطات الأولى كثيراً ما تكون السبب الأساسي للاختلاط الثاني أو السبات الذي يعتبر إصابة إسعافية حادة تستوجب المعالجة الفورية ذلك أنه بلا منازع أخطر اختلاطات الداء وكثيراً ما يؤدي إلى الوفاة .

أما الاختلاطات المزمنة فهي أكثر عدداً وشيوعاً وتشمل :

(أ) **الاضطرابات الوعائية** والدموية وأكثر ما تصاب الشرايين الإكليلية في القلب والشرايين الدماغية وشرايين الأطراف **السفلية** مما يؤدي لحدوث الخناق الصدري والاحتشاء القلبي والاضطرابات الدماغية والغنغرين وغيرها .

(ب) **الاضطرابات العينية** وتشمل اعتلال شبكية العين Retina التي قد تؤدي للعمى ، إصابة العدسة العينية وحدوث الساد العيني Cataeacta والتعصب عند القراءة واضطراب الرؤية ، بالإضافة لإمكانية حدوث حلقة وعائية في القزحية تسمى Rubeosix-Iridis - وغيرها .

(جـ) **الاضطرابات العصبية** وتتميز بفقد الألياف العصبية لمادتها النخاعية فيحدث نقص في الإحساس المحيطي ثم تحدث آلام غامضة ، مع ضمور عضلي ومضض ، ثم تصاب الأعصاب الحشوية فتحدث اضطرابات في التعرق أو عنه عند الذكور وإسهالات ليلية أو إمساك وغيرها .

(د) **وهنالك اختلاطات كلوية وجلدية مختلفة .**

أساليب العلاج

بعد أن استعرضنا النقاط الرئيسية عن [illegible] بشكل موجز أيضاً على أساليب العلاج الكلاسيكية :

وكما يقال فدرهم وقاية خير من قنطار علاج ، في البدء يكون من الأفضل عدم زواج من أسر ظهرت بين بعض أفرادها حالات إصابة بالداء ، ثم إنه يجب مكافحة الظروف المحيطة المساعدة لظهور الداء ، أما المعالجة الفعلية فتبدأ خطواتها الجادة والهامة بالحمية الغذائية المنظمة المدروسة وهي تستمر لمدى الحياة وقد تكون كافية وحدها للسيطرة على الداء .

أما الخطوات التالية الهامة فتعتمد على المعالجة الدوائية التي تنقسم بدورها إلى شكلين : **معالجة بالمركبات الكيماوية** التي تعطى عبر الفم ، **والمعالجة بالأنسولين** وتعتمد الأولى على استخدام **مركبات السلفونيل يوريا** Sulfonylurea **ومركبات البيكوانيد** Biguanide والمركبات الأولى تقوم بتحريض خلايا بيتا في **جزر لانغرهانس** على إفراز الأنسولين ، كما أنها تؤثر على العتبة الدنيا لتأثير الأنسولين على جدار الخلية ولقد طرح كثير من هذه المركبات تجارياً اذكر منها : Gandofon, Daonil, Orinase, Diabenese, Dimelor, Euglacon وغيرها . أما مركبات Biguanide فإنها تزيد من عملية استقلاب الغلوكوز كما أنها تنقص من عملية امتصاصه معوياً ، من مركباتها التجارية Phenformin, Silubin .

أما الأنسولين فإنه من الناحية العملية ما يزال يشكل العمود الفقري لأدوية السكري منذ اكتشافه في عام ١٩٢١ م ، حيث يستخدم بأنماط مختلفة ، غير أنه يستخرج علاجياً من البقر والخنزير ، أما الآن فتأتينا الأخبار الطبية بخبرين من **كاليفورنيا** حول إنتاجه طبيعياً الأول وقد نشر في شهر آب (أغسطس) من عام ١٩٧٨ م ، من **مركز البحوث الطبية التابع لجامعة ديورت** ويدعي بأنهم تمكنوا من إنتاج الأنسولين الطبيعي عن طريق إجراء عملية بكتيرية تتضمن القيام بزرع جينات Genes صناعية تمكن الجسم من إنتاج ما يحتاجه من الأنسولين لامتصاص وهضم المواد السكرية . أما الخبر الثاني فقد جاء من **المركز الطبي القومي «ستي أوف هوب» في لوس أنجلوس** حيث أفاد بأن فريقاً من الباحثين يتكون من أربعة أطباء قد تمكن من تخليق جينة صناعية بإمكانها تركيب الأنسولين الإنساني في المختبر ، حيث يفترض أن يتم إنتاج الأنسولين على نطاق تجاري في خلال السنوات الخمس القادمة .

والأنسولين ـ دفة القيادة في علاج السكري ـ يستخدم علاجياً في ثلاثة أشكال : **الأنسولين العادي** (النظامي) ومدة تأثيره حوالي خمس ساعات ، **والأنسولين ذو العمل المتوسط** ويرمز له بـ NPH أو Rapirtard ، **والأنسولين المديد** PZL أو Ultra Lente وتصل مدة عمل الأخير لحدود ثلاثين ساعة .

من الناحية العملية والنفسية والفسيولوجية فإن مجال التفضيل قد يميل لصالح استخدام الأنسولين NPH الذي تدوم مدة عمله ما بين ٨ ـ ٢٤ ساعة وذلك بجرعتين صباحية رئيسية ومسائية صغيرة ، أما تحديد كمية الأنسولين المعطاة فتعود إلى حالة المريض وتقدر اعتماداً على التجربة العلاجية للمصاب وهي بحدود ٤٠ وحدو لكل يوم وسطياً . الأبحاث الأخيرة ومنذ بضعة سنوات أدت إلى إنتاج نوعين من الأنسولين الخنزيري فسمي الأول **بالأنسولين وحيد الذروة** Single Peak Insulin (SPI) وسمي الثاني **الأنسولين وحيد التكوين** Single Componant Insulin (SCI) وهو الأكثر نقاء . هذا ولقد أدى استخدامهما إلى إنقاص جرعة الأنسولين اللازمة بحدود ٣٠ ٪ .

كما أن هذين المركبين قد خفضا من حجم الاختلاطات الثانوية لإعطاء الأنسولين مثل الضمور الشحمي ، التحسس ، المقاومة للأنسولين وتعديل الأضداد التي يفترض أن لها علاقة بتطور الاختلاطات المتأخرة مثل إصابة الأعصاب والأوعية وشبكية العين إلا أنهما لم ينهيا المشكلة التي يبدو أنها تقترب من نهايتها .

فمحاولات زرع البنكرياس وجزر Langerhans قائمة على قدم وساق وتتبارز مشاكلها ليس فقط بعملية رفض الجسم للجزء المزروع بل وأيضاً بعملية التقنية الجراحية وكيفية إجراء الزرع . والعمليات المجراة تتم عادة **بزرع البنكرياس** مع جزء من **الاثني عشر** ، ولكن النجاح لم يكن ليستمر أكثر من عدة أسابيع حيث يموت البنكرياس في النهاية . غير أننا قد بدأنا نرى بصيص الأمل يلوح في الأفق .

في ألمانيا الغربية أعلن في العام ١٩٧٧ م ، خلال الاجتماع السنوي الذي عقدته **جمعية بحوث مرض السكر الألمانية في هامبورغ** أن زراعة غدة البنكرياس في أجسام مرضى السكري بهدف شفائهم منه ستكون ممكنة خلال السنوات العشر القادمة غير أن الأمل كما يبدو أكثر قرباً من توقعات الألمان **في** الولايات المتحدة تقدمت زراعة البنكرياس بشكل يدعو للتفاؤل ، وقد عاش من أجريت له العملية مدة ثمانية عشر شهراً ، أما في **الاتحاد السوفياتي** فقد أعلن **البروفسور «فاليري شوماكوف» مدير معهد موسكو المختص بنقل وزرع الأعضاء والأنسجة** عن نجاح أول عملية لزراعة بنكرياس طبيعي في جسم مصاب بالسكري . في الاتحاد السوفياتي أيضاً أجريت التجارب الأولى لزراعة بنكرياس صناعي وقد تمت عملية الزرع في أجسام مرضى يعانون حالات عصبية من مرض السكري ، هذا ما يجري أيضاً في أماكن أخرى من العالم ، **في الولايات المتحدة** تجرى المحاولات لزراعة بنكرياس صناعي صغير الحجم مع **كمبيوتر** يحلل المعلومات التي تصله من الجهاز ثم يقوم بتزويد الجسم بحاجته من الأنسولين **وفي جامعة Yale** طور مجموعة من العلماء برئاسة **الدكتور «فيليب فيليج** Dr. Ph. Felig » بنكرياساً صناعياً يزيد حوالي ٤٥٠ غم يقوم بحقن الجسم بحاجته من الأنسولين أوتوماتيكياً بعد أن يقوم بتحليل دمه آلياً وعند الحاجة لجرعة أكبر من الأنسولين فإن المريض يقوم بالضغط على زر خاص في الجهاز ولكن مصمموا الجهاز اعترفوا بأنه ما يزال بحاجة لمزيد من التجارب قبل دفعه إلى السوق . أما في **جامعة أولم بألمانيا الغربية** فقد أعلن **الدكتور (ب . فيفر) أستاذ ورئيس قسم الغدد الصماء والسكر** أن هناك بنكرياساً صناعياً تجرى التحسينات عليه الآن بهدف تحليل كلية السكر في الدم وإعطاء المريض حاجته من الأنسولين

أو البنلوكوز في حالة انخفاض مستواه أو زيادة كمية الأنسولين .

والبنكرياس الصناعي ليس فقط يقوم بإراحة البنكرياس الطبيعي بل إنه يقوم بتنشيطه كما إنه يقلل من أخطار حدوث الاختلاطات المختلفة وخاصة على العين .

ليس هذا فحسب بل إن هنالك شيئاً آخر يلوح في الأفق هذا على الأقل ما ينبهنا إليه **الدكتور « أسان » مدير مركز أبحاث السكر في باريس** إذ يقول إن زراعة أنسجة البنكرياس قد أجريت على الفئران بل وأيضاً على اثنين من البشر ، **والدكتور « أسلك »** يحذر من أن المشكلة تبقى هي المشكلة ذلك أن الجسم لا يزال مصراً على رفض كل غريب ، أما **السويسري « جالتي »** الذي أبى إلا أن يدخل المعمعة هو الآخر فقد نجح في وضع خلايا البنكرياس داخل صندوق صغير وزرعها لحيوانات مريضة بالسكري مثل الكلاب وهو يأمل أن يتم ذلك في الإنسان أيضاً . وتبدو فائدة هذه الطريقة في أن الخلايا البنكرياسية تكون في مأمن تقريباً عن هجمات الكريات البيضاء Leucocytes والأضداد Antibiotic .

أما الذين أبوا إلا أن يعيدوا البنكرياس الأصلي لكامل قدرته دون الحاجة لإضافات أخرى فكان لهم نجاحهم أيضا إذ قدم مجموعة من العلماء الأمريكان طريقة حديثة تتضمن حقن البنكرياس الخامل بتركيبة كيماوية معقدة من الأحماض الأمينية ومادة الكولي باكستريا التي تعد المادة الأساسية بتكوين بنية الخلايا الجينية حيث تبدأ خلايا البنكرياس الخاملة بعد مدة معينة من حقنها بانتظام وبجرعات متزايدة باستعادة نشاطها وإفرازها .

أما **الهند** ــ بلد الغرائب ــ فلها منهج آخر إذ إنها قدمت لنا نباتاً يسمى **جوار** (Guar) وهو ذو ثمر يشبه الفول شائع الاستعمال هناك ويحتوي على مادة صمغية ذات أثر فعال في خفض السكر . وقد حاول فريقان بريطانيان التثبت من صحة ذلك وخرجا بنتائج مرضية أحدهما من **مستشفى مدلنكس Middlesex في لندن برئاسة الدكتور**

أبحاث السيطرة على السكري إلى أين ؟

دافيد جنكنز Dr. Jenkins والفريق الآخر من **مستوصف رادكليف** Radcliffe **باكسفورد** وذلك بإعطاء سبعة من مرضى السكري الذين لا يستغنون عن الحقنة اليومية للأنسولين جرعة من المادة الصمغية حيث هبطت نسبة السكر في الدم بعد أيام إلى الضعف ثم استطاع ثلاثة منهم التخلص من كابوس الحقنة اليومية المؤلمة .

هذا الجوار (Guar) يضع الآن لغرض التجارب في كل من **جامعتي أكسفورد وريدنج** **Reading** كما أنه بدأ يعرض تجارياً بعد أن صنعته **شركة هينز** **Heins** تجارياً تحت رقم ٥٨ هو عبارة عن شوربة الجوار . قد يسألنا سائل ولكن **ألم يقدم العرب شيئاً في هذا المجال ؟** .

ويأتينا الجواب من **المجلس العلمي الملكي البريطاني** بأن العالمين المصريين : **الدكتور عز الدين الدنشاوي أستاذ الفارماكولوجي بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة ، والدكتورة نبيلة عبد الفتاح إسماعيل أستاذة الكيمياء الحيوية في الجامعة المذكورة** بالاشتراك مع **الدكتور « وليم مونتاجي » أستاذ الكيمياء الحيوية بجامعة « ليسستر »** قد قدما بحوثاً نتيجة دراسات استمرت سنتين أكدت على خطورة استخدام المهدئات أو المسكنات أو المضادات الحيوية أو السلفا لدى مرضى السكر الذين يعالجون بالعقاقير خاصة (الراستينون) وذلك لحدوث تفاعلات يصعب السيطرة عليها وقد وجد تجريبياً أن الحيوانات الخاضعة للتجربة كانت تصاب بالإغماء والهبوط المفاجئ عندما تعطى أحد المركبات المذكورة مع المعالجة بأحد العقاقير المضادة للسكري . وفي **معهد هارفارد** كان لهم توجه آخر فقد قدم **الدكتور (كينث غاباي)** نتائج أبحاثه التي دلت على أن الدواء التجريبي المسمى بالرستاتين يمنع إصابة الأعصاب والأجزاء المهمة الأخرى كالشبكية وعدسة العين والكلى بالعطب .

أما في **أوكلاند بكاليفورنيا** فتقول **مجلة الجمعية الطبية الأمريكية** إن استخدام التجريبي لعقار **أميتوبيستيلاين هيدروكلويد** ولعقار **فلوفينا هيدروكلوريد** قد أديا لنقص شدة الألم عند المصابين بالسكري المعقد في الساقين والذراعين .

ولكن بعد كل ما قد رأينا من أبحاث وانتصارات على هذا الداء إذا عرفنا أن **جائزة نوبل في الطب** لعام ١٩٧٧ م ، قد منحت **للدكتورة « روزالين بالو »** لأبحاثها الحديثة في السكري ، وخاصة اكتشافها أن المصاب بالسكري لا يعاني من نقص الأنسولين بل إن المرض يحدث بسبب عدم استخدام المريض للأنسولين استخداماً صحيحاً . ألا ينبهنا ذلك لضرورة تغيير أكثر أفكارنا عن السكري ؟ !! . . .





وجدان لعملة..

إنها الحياة

شعر: سعد البواردي

أيها الراقصون في موكب (الأ..
عراس).. مهلاً.. مواكب الحزنِ أقربْ
إن «أغرودةً» على شفةٍ جذلى
«نشيجُ» على لسانِ مُعَذَّبْ
«ساعة» عمرها.. وتفضي إلى «الأ
خْرَى» ـ رحيلاً ـ وما منَ الدرب مَهْرَبْ
إنَّ تلك الحياة «رُوحٌ» من الحبِّ..
و«رِيحٌ» تذرو الضحايا بِمَخْلَبْ
إنَّ «شمساً» تأتي إلينا رويداً
تنهبُ الخَطْوَ في الرحيلِ لتغرب.

المضادات الحيوية

نعمة أم نقمة؟

بقلم: عدنان عضيمة



المضادات الحيوية Anti-biotics هي مركبات كيميائية ذات تركيب معقد، تفرزها بعض الأحياء الدقيقة كالفطور، وتمثل هذه المركبات من "الناحية" "الطبية" أوساطاً قاتلة لأغلب أنواع البكتيريات. لذا استعملت منذ اكتشافها في علاج الأمراض الالتهابية البكتيرية المختلفة.

وخلال العقود الأربعة الماضية شهدت صناعة المضادات الحيوية ازدهاراً كبيراً، نظراً للنجاحات التي حققتها في علاج بعض الأمراض الالتهابية الخطيرة كالحمى القرمزية والزهري، بحيث حدت من خطورة هذه الأمراض التي كانت تتسبب في تشويه المرضى أو شللهم أو موتهم.

ولكن الأبحاث الطبية أظهرت الكثير من العوامل السلبية الكامنة وراء استخدام هذه المركبات الدوائية. حيث إن أغلب أنواع البكتيريات الالتهابية استطاعت، أن تتكيف مع الحياة في الأوساط التي تحتوي على هذه المضادات. وأصبحت لأغلب هذه البكتيريات القدرة على مقاومة جرعات المضادات الحيوية.

ويعود السبب في ذلك إلى الاستخدام الفوضوي لهذه المضادات خلال السنوات الماضية، من حيث عدم تحديد الجرعة الموصوفة بشكل دقيق أو لعدم التقيد بتناول هذه الجرعة.

وقبل فترة عقدت ندوة طبية، اشترك فيها أكثر من مائة وخمسين عالماً يمثلون ستة وعشرون بلداً، بهدف دراسة النتائج غير المحمودة لاستعمال المضادات الحيوية بالطريقة العشوائية التي نشهدها اليوم. ثم صدر عن هذه الندوة نداء يناشد أجهزة الرقابة الصحية في العالم أن تنظم طرق استعمال المضادات الحيوية.

ويقول الباحثون إن السبب في تكيف البكتيريا مع المضادات الحيوية وعدم تأثرها يعود لسببين رئيسيين، أولهما: المبالغة في وصف هذه المركبات الدوائية. وثانيهما يعود إلى الأخطاء الشائعة في تطبيقات العلاج.

ففي دول العالم الثالث يمكن أن تصرف المضادات الحيوية دون وصفة طبية، ودون استشارة الطبيب، وغالباً ما تكون الجرعات غير كافية للقضاء تماماً على العامل المرضي مما يبقي على بعض الجراثيم التي تكون قد اكتسبت المناعة الكافية فتزداد صعوبة علاجها، أو أن يتناول المريض جرعات أكبر من الحد المطلوب للعلاج مما يؤدي إلى نتائج عكسية وتأثيرات جانبية خطيرة. لقد أدت هذه المناعة التي اكتسبتها البكتيريات الشائعة إلى صعوبة علاج الأمراض التي تسببها بالمضادات الحيوية التي استنبطت لهذا الغرض.

فالبنسيلين Penicilin الذي أظهر نتائج باهرة في علاج كل الأمراض الالتهابية التي تسببها بكتيريات «ستافيلوكوكس أيوريوس» Staphylococcus Aureus، فإنه الآن لا يقضي سوى على عشرة بالمائة منها. وفي إنكلترا وويلز، وجد أن بكتيريات «إ. كولي E. COLI» التي تسبب التهابات المجاري البولية، قد تضاعف انتشارها خمسمائة مرة في خلال عقد واحد، بالرغم من انتشار استعمال المضادات الحيوية على نطاق واسع. ويقول **والترجيلبرت** من باحثي جامعة هارفارد:

«إذا استمر استعمال المضادات الحيوية بنفس الطريقة العشوائية التي نشهدها اليوم فإن نسبة ٨٠ ــ ٩٠٪ من البكتيريات ستصبح منيعة، مما يخلق الحاجة الدائمة إلى استنباط مضادات حيوية أكثر قوة. وإذا كانت هناك ثمة ثلاث أو أربع درجات بلغتها المضادات الحيوية من حيث زيادة قوة فعاليتها في قتل البكتيريا، إلا أنها ــ مع ذلك ــ غدت ضعيفة التأثير بسبب سوء استخدامها».

كما أن كلفة إنتاج هذه المضادات الجديدة تبلغ عشرة أضعاف كلفة إنتاج المضادات الحيوية التقليدية. وهي تتميز بتأثيراتها الجانبية الخطيرة إذ إن أغلبها يسبب أعراضاً مرضية في القلب والكبد والكلية والدم.

وفي هذا الصدد يضيف جيلبرت: «هناك خيط رفيع جداً يفصل بين قدرة المضادات الحيوية على إيذاء البكتيريات وبين قدرتها على إيذاء الإنسان نفسه».

ولقد يكون من المهم هنا الإشارة إلى ما بينته الإحصائيات بشأن الأنواع الكثيرة من المضادات الحيوية التي تزخر بها الصيدليات والمصحات الطبية في الدول النامية، والتي منع استعمال أغلبها في الدول التي تنتجها، أو في الدول المتقدمة بشكل عام، ففي حين نجد ٤٣٠ نوعاً من هذه المستحضرات تباع في المكسيك نجد منها ٩٠ نوعاً فقط سمح ببيعها في السويد.

والكثير من هذه المضادات أصبحت تتألف من خلائط لأنواع مختلفة من المضادات الحيوية

بهدف زيادة «طيف» التأثير على البكتيريات المنيعة. وبينما نجد أن الباحثين المتخصصين في الدول المتقدمة يقومون باستمرار بالأبحاث اللازمة لدراسة التأثيرات الجانبية التي تسببها هذه المركبات لجسم الإنسان مما أدى إلى منع بيع الكثير من أنواعها، فإننا نجد بالمقابل النقص المزمن أو حتى انعدام هذه الأبحاث في الدول النامية. لذا فإنه من النادر أن نسمع أن دولة نامية قد منعت استخدام واحد فقط من هذه المركبات، أو على الأقل فرضت نوعاً من الرقابة على طريقة استخدامه. **وإنه لمن المؤسف ملاحظة أن الدول المتقدمة التي يكتشف باحثوها آثاراً جانبية تنجم عن استعمال هذه المضادات حتى ولو كانت هذه الآثار خطيرة، فإنها بدلا من أن تمنع إنتاجه وتصديره إلى دول العالم النامي نجد هذه الدول تكتفي بمنع بيعه محلياً.**

ومما يزيد الأمر سوءً هو أن ضعف الوعي الصحي في الدول النامية جعل المسؤولين عن القطاعات الصحية في هذه الدول يلجأون إلى وصف المضادات الحيوية لعلاج الأمراض الوبائية، وهذا ما يؤدي إلى عكس النتائج المرجوة، لأنه يؤدي إلى خلق بكتيريات منيعة ضد هذه المضادات على نطاق واسع. ففي بعض البلدان التي فقدت فيها المضادات الحيوية الكثير من قوة تأثيرها نظراً لسوء استعمالها نجد أن الآلاف من الأطفال أصبحوا يموتون **بمرض «الزحار Dysentry»**. وإذا كان العلماء والباحثون الطبيون الذين اكتشفوا هذه الأخطار التي تكمن وراء عدم تنظيم استعمال المضادات الحيوية لا يستطيعون أن يضعوا القوانين والتشريعات لدول العالم النامي التي من شأنها أن تفرض الرقابة على استعمال المضادات الحيوية وتنظيم طرق صرفها فإنهم الآن يحذرون من أنه إذا لم تسارع الجهات الصحية المسؤولة في دول العالم الثالث إلى مراقبة استعمال هذه «الوصفات الشافية» فإن هذا سيجعل منها وصفات حقيقية لكنها غير شافية.





شعر: عصام الغزالي



مُوتي فجرحك لن أطيقهْ
يموت وخزك في دقيقهْ
لا تظهري إلا كنور الشمس يُعلَن في الخليقهْ
أنت التي إن عُرِّيت من ثوبها بانت أنيقهْ
وإن اكتست ضاع الحياء، ورُبَّ طهر بالسليقهْ
مُوتي، فرُبَّ قصيدة صارت - إذا سُجنت - طليقهْ!

كممتُها، وحبست ماء حياتها كي لا تُريقهْ

يا أيها الناسُ الحروفُ أسنَّة لكن رقيقهْ
لا تنحني، لا تنثني، وتغوص شامخة غريقهْ
وتموت دون هوانها وتعاف تزييف الوثيقهْ
والورد ليس على اشتهاء أنوفكم يُعطي رحيقهْ

مُوتي، فليس بشاعر من شعره نصف الحقيقهْ



عناصر البيئة في

بقلم: حجاب يحيى الحازمي

اتفق أكثر دارسي الأدب على أن القرن السادس والسابع الهجريين وما تلاهما حتى بداية عصر النهضة الأدبية الحديثة كانت فترة إغفاءة وركود للأدب العربي بل ربما قسا بعضهم فسماها عصور انحطاط الأدب العربي.

والواقع أن هناك ومضات كانت تشع من هنا وهناك فتنير أحقاباً من تلك الفترة لا يزال سناها يتوهج، ولعل ممن أضاء إبداعه تلك الحقب شاعر ضمد خاصة والمخلاف السليماني بعامة الذي كان يطلق على المنطقة الواقعة بين «حلي» شمالا و «حرض» جنوباً وشاعر الجزيرة العربية في عصره غير منازع القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي. فلقد عاش كامل القرن السابع الهجري متنقلاً بين بلده وسائر عواصم الولايات المنتشرة في جنوب الجزيرة مادحاً ولاتها فقد مدح أمير حلي، كما مدح سلطان ضمد، كما مدح أمير الذروات القاسم بن علي الذروي، كما مدح بعض أولاده.. واتصل بملوك الدولة الرسولية في اليمن فمدحهم ومدح حل، كما مدح سلطان ضمد، كما مدح أمير الذروات القاسم بن علي الذروي، كما مدح بعض أولاده.. واتصل بملوك الدولة الرسولية في اليمن فمدحهم ومدح أحمد بن الحسين صاحب ذيبين، كما مدح صاحب ظفار بعُمان.

ولعل **الأستاذ أحمد الشامي** حين أشار إلى ابن هتيمل فنسبه إلى اليمن قد تأثر بما كتبه عنه بعض دارسي الأدب في اليمن، ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها أن ابن هتيمل أحد أبناء مدينة ضمد بالمخلاف السليماني، وقد ترجم له عدد من الباحثين وأصحاب الأعلام أمثال صاحب الأعلام، وصاحب كتاب تاريخ الفكر الإسلامي والعربي، وصاحب مطالع البدور (مخطوط)، وصاحب كتاب العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية.. كما سبق أن قدمنا عن حياته وشعره دراسة أشرنا فيها إلى مولده وأسرته الخزاعية الضمدية، وتطرقنا إلى دراسة أغراض شعره والنواحي الفنية فيه، ونحب أن نضيف إلى تلك الدراسة فصلاً يتعلق بارتباط الشاعر بعناصر بيئته وتأثره وتأثيره، وهو ارتباط جعل ابن هتيمل يخلد في شعره سائر قرى ومدن المخلاف السليماني، بل ويستعرض كافة عناصر البيئة. ورحم الله المفكر الإسلامي والناقد الأدبي الحصيف **سيد قطب** القائل: «التعبير الذي يلقي المعنى مجرداً يخاطب الذهن وحده.. والتعبير الذي يرسم للمعنى صوره وظلاً يخاطب الحس والوجدان»[1].

فبهذه العبارة القصيرة أجمل المرحوم **سيد قطب** ما يكتب عنه دارسو الأدب الصفحات الطوال والدراسات المطولة.. أجل، فمتى استطاع الشاعر أن يخلع الحياة على ما حوله من أشجار وأزهار أو خيول وجمال.. أو كثبان ورياح فيجعل بعضها أو جلها تشاركه أفراحه وأتراحه.. متى استطاع الشاعر ذلك استطاع أن يخاطب في القارئ الحس والوجدان والمشاعر.. وهذا ما اصطلح على تسميته بالطبيعة في الشعر.

الشاعر ابن بيئته

ولقد عرفت الطبيعة في الشعر العربي منذ عصوره الأولى.. عرفت كعنصر فعال من عناصر نموه وازدهاره وبث الحياة فيه.. عرفها تشحذ العقول وتنمي المواهب.. وعرفها توحي بالصور وتلهم بالمعاني.. كما عرفها تسمو بالعواطف وتهذب الحواس الشفافة فتلونها بلونها.. وتصبغها بصبغتها وتحيلها إلى جزء منها لا يريم عنها.. ومن هنا قالوا «**الشاعر ابن بيئته**».

وشاعرنا القاسم بن علي بن هتيمل يأتي في طليعة أولئك الشعراء الذين تأثروا بالطبيعة وأثروا بها شعرهم فجاءت مُعظم قصائده حدائق ذات بهجة، وخمائل ازدانت بألوان الثمار وشتى الأزهار. ولعلنا حين نستعرض بعض نماذج من شعره نلمس شدة ولعه بالطبيعة ومشاركته إياها.. وتمازجه معها.. وما أحلى أحاديث الشاعر عن مراتع صباه.. ومأوى

شعر ابن هتيمل

خلانه .. تجده يستعذب أخبار رياضها التي ترف باخضرار ونضارة ، وظلها الذي يشبه اللؤلؤ وقد ازينت به نباتاتها وزهورها .. وإذا ما هب النسيم على روابها نشر العطر الفواح من شميم الشيح والحوذان والرند فكأن المسك والعنبر قد جمعا :

أعد لي أحاديث العذيب وكرر
وهات لنا عن حاجر ومحجر
وكيف اللوى من بعدنا أرياضه
ترف برقراق النضارة أخضر
يظل يناغي الشمس لؤلؤ طله
بأبيض في أحوى النبات وأصفر
كأن ذهاب المزن غب فوقه
سبائب مرو أو درانك عبقر
إذا ما النسيم الرطب صافح تربه
تعطر من حوذانه المتعطر
وهل من شميم الشيح والرند نفحة
مُمسكه في طيّ نشر معنبر

وارتباطه بطبيعة بلاده لا يماثله ارتباط فهو يفضلها على مجالي الطبيعة أياً كانت ولا يرى لها مثيلاً في حسنها وجمالها فهو لا يستعيض عن جمالها بأي جمال :

لما عاضني في بانة الرمل عائض
ولا سرني بعد الكثيب كثيب

ويحن إلى مجالي الطبيعة في مرابعها ويجد في إلمامة ببعضها إطفاء لما تكنه جوانحه من لواعج الشوق وتراه يتساءل ــ بكيف .. وما ــ يتساءل عن جبال الأبرقين وشيحها ذي الذوائب الراقصة .. ويسأل عن نجد وعن نسيمه .. وعن خزاماه .. ويشبه حنينه إلى مجالي الطبيعة ومفاتنها بحنين الإبل العطاش حين ترد المنهل بعد ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة :

وكيف جبال الأبرقين أشيحها
ذوائبه تهفو على عذب الورد
وما حال نجدى النسيم وما روى
خزاماه عن نجد وعن ساكني نجد
فربتما أطفأتما من جوانحي
بشم رياح القرب معتمة البعد
أحنّ إلى الرمل العقيق واللوى
لواه حنين الخامات إلى الورد

ويهتف حين يشاهد بعض أحبابه من ألوان الطبيعة فيعبر باسم الإشارة ــ ذاك ــ مغتبطاً .. أجل هذا هو الأثل والبان ــ الأراك ــ والشيح والحوذان :



★ سيد قطب ★

ذاك العقيق وذاك الأثل والبان
فسل أولئك ثم الحين الذي بانوا
هل الأراك إذا مر النسيم به
تعانقت منه أغصان وأغصان
وهل من الشيح والحوذان لي بدل
بالشيح شيح وبالحوذان حوذان

ولا غرابة في هتافه هذا فالنعيم المقيم في نظر شاعرنا لا يتم إلا إذا هبت **الريح الجنوبية المعروفة بالنعامى ، فهي** تأتي وقد حملت في ثناياها عبير الزهور وأنفاس الخزامى .. وشميم الشيح :

نعيمك ما أتتك به النعامى
وما شرحته أنفاس الخزامى
وما ذكر النسيم الرطب عن من
ترحل عن أرام ومن أقاما
أهل شيح العميم تميس تيهاً
ذوائبه وهل سق الغماما

ويستأثر بالشاعر فرط الحنين إلى مجالي الطبيعة الساحرة فيتساءل في لهفة واشتياق عن سرحة الوادي الفينان وعن نفحات الشيح والحوذان .. وعن الأثلات التي ترقص ذوائبها الخضراء كلما راقصتها الرياح الندية :

هل سرحة الوادي على عهدي بها
مخضرّة الأفنان والأغصان
وهل النسيم الرطب يحمل ذيله
نفحات ذاك الشيح والحوذان
وذوائب الأثلات ترقص إن هفت
مرض الرياح بها على الغدران





عناصر البيئة في شعر ابن هتيمل

ويزداد حنينه فيترجى أن تهب الرياح شمالية كانت أم جنوبية المهم أن تحمل في طياتها غمائم يسقي مطرها كثبان العميم . . فيتحول نسيمها إلى نشر يفوق الطيب بل يكون له طيباً :

لعل الريح إن بكرت هبوباً
وإن غبرت شمالا أو جنوبا
يسوق إلى العميم من الغوادي
غمائم كي تشق بها الجيوبا
وتحمل من شميم الريح نشراً
يكون نسيمه للطيب طيبا
أحن إلى الكثيب وما أراني
ترى عيناً بي ذيّاك الكثيبا

وشاعرنا في الأبيات الآتية يجاري شعراء الطبيعة الأندلسيين ويسبق الرومانتيكيين في مشاركة الطبيعة وبثها همومه علها تشاركه المعاناة وتخفف عنه الآلام كما فعل حين شكا إلى النسيم فحمل عنه النسيم شكايته بإشفاق شديد :

وإذا شكوت إلى النسيم هبوبه
حمل الشكاية مشفقاً وهيوبا

ولا يكتفي بمشاركة الطبيعة والتحامه معها وبثها همومه فنراه يتساءل عنها في إشفاق ويستنشق أخبار الأحباب من أثل وكثبان يتمنى لها السقيا :

أجيران وادي الأثل ما فعل الأثل
وما علمكم بالرمل هل سقي الرمل

وحين لا تجديه المشاركة والشكوى آلامه نسمعهُ يناجي بعض عناصر الطبيعة سائلاً اياها عن أخبار بقية الأحباب من بشام ، فلقد جد به النوى وزادت به لواعج الشوق . . وحتى ناقته تشاركه هذا الحنين فترزم وتحن حين يمتطيها ويتجه بها نحو الديار :

يا نسيم الأسحار فيك شميم
من بشام اللوى فكيف البشام
أعقيق اللوى عقيق اللوى
والعلم الفرد والخيام الخيام
مالنا يا رفاق زعزعنا الشوق
وللعيس تحتنا إرزام

ولن يمل التساؤل عن النسيم جنوبه وشماله فللنسيم عند شاعرنا مهام يؤديها في رحلته اليومية من أهمها نقل رسائل الأحباب لذلك نسمعه ينشد :

عسى خبر عن الرشأ الربيب
أتى في طي باكره الجنوب
رسائل ما تزال الريح تهوي
بهن من المحب إلى الحبيب

وإذا كان **عنترة العبسي** قد شارك فرسه آلامه ، وعبر عن معاناته حين قال : « وشكا إلى بعبره وتحمحم » فشاعرنا يشارك ناقته آمالها وآلامها حين يقول :

مالنا يا رفاق زعزعنا الشوق
وللعيس تحتنا إرزام

وحين يقول :

ولا ترها أثل البديع فإنها
تحسن إلى أثل البديع وترزم

ويتوسل إلى النسيم أن تكف عن الهبوب بعد أن يقضي الشاعر نحبه[2] ويرجوها أن لا تنفض عذب البشام وأزهاره إلا على ضفاف غدير عذب الورود :

أوصيك يا ريح الجنوب
إذا قضيت الآن نحبي لا تهبي
لا تنفضي عذب البشام
على غدير غير عذب

الهوامش

(١) كتب وشخصيات ـ لسيد قطب .
(٢) لعله يحاكي أبي فراس الحمداني في قوله :
معللتي بالوصل والموت دونه
إذا مت ظمآناً فلا نزل القطر



بمناسبة مرور عشرة أعوام على وفاته :

فن المقال الصحفي عند طه حسين

بقلم : د . عبد العزيز شرف

عني طه حسين بابتداع فن العمود الصحفي في أدبنا الحديث ونعني به « العمود المتخصص » في مقال طه حسين ، في «حديث الأربعاء» الذي نشر في « السياسة » و « الجهاد » وجمع بعد ذلك في ثلاثة أجزاء .

ويتمثل هذا المقال العمودي المتخصص الدور الثقافي في صحافة **طه حسين** بعد عودته من **باريس** ، ذلك أن أول مقال نشره في « **السياسة** » لم يتجه في الاتجاه السياسي ، لكنه يتجه في الاتجاه الثقافي متخذاً هذا الشكل المقالي الجديد ، في « **حديث الاربعاء** »[١] الذي احتل **الصفحة الأولى** في بداية الأمر ، ثم لم يلبث أن احتل **الصفحة الثالثة كاملة** في أيام الأربعاء ، كما يبين من عنوان العمود المتخصص[٢] ، وظل في مكانه من هذه الصفحة لا يتغير مثيراً موضوعات ثقافية عامة لا تتعلق بالأدب القديم وحده ، وانما قد تدور حول « **الأدب والسياسة** »[٣] ونقد **حافظ** في « **البؤساء** »[٤] و « **حرية الرأي** »[٥] . . الخ .

ويرتبط هذا الفن المقالي **بالوظيفة الثقافية في صحافة طه حسين** التي نفرض عليه ، حين تولى تحرير الصفحة الأدبية بجريدة « السياسة » في أواخر عام ١٩٢٢ م ، أن يطور التحرير الأدبي في الصحف ويطوعه لأشكال التحرير الصحفي ، فكان من أوائل الذين دعوا إلى عناية هذه الصحيفة بالأدب والخوض فيه ، وحثها عليه[٦] .

ولقد لبث حيناً يكتب وحده في الأدب « لأن الناس كانوا منه في شغل بالسياسة وأحاديثها . ولكن ما هي إلا أيام أو أسابيع حتى أسرع الكتاب فكتبوا والشعراء فنظموا . وأصبحت « صحيفة الأدب » في السياسة أو أصبحت جريدة « السياسة » كلها ملتق لطائفة من خيرة الأدباء »[٧] .

ويسجل طه حسين « هذا الفوز للأدب »[٨] مغتبطاً به مستزيداً منه[٩] ، ويتجاوز هذه الدعوة الخالصة إلى ما هو خير منها ، ليستفيد الأدب من هذه الظاهرة التي هي أساس الحياة ومصدر الحركة في كل فرع من فروعها[١٠] .

ولذلك ، أخذ ينشر في كل يوم أربعاء مقالا متخصصا في الأدب العربي « **أدب الأمويين والعباسيين** » ليبث من خلاله آراءه الجديدة ، التي تحث على التفكير ، ثم ليثير معركة القديم والجديد في الأدب ، ثم يعود إلى **الأدب الجاهلي** ، متوسلاً بالتفسير والتبسيط في تعميق المفاهيم الأصيلة في التراث العربي ، وإشاعة هذا التراث على أوسع نطاق بين جماهير القراء .

التغيير والتدعيم

ومن ذلك يبين أن المقال الثقافي في «حديث الأربعاء» قد مر



★ د. طه حسين ★

فن المقال الصحفي عند طه حسين

بطورين ، طور التغيير في المقالات التي نشرت في « السياسة » في العشرينات وطور التدعيم في المقالات التي نشرت في « الجهاد » في الثلاثينات ، متوسلاً في الطورين بأسلوب التفسير والتبسيط من خلال قدرات عديدة تجعل من طه حسين مقالياً مبسطاً بارعاً .

فهو ـ كما تقدم ـ يكتب كتابة واضحة مقروءة ، ويستطيع أن يحول أكثر الموضوعات غموضاً إلى جمل عربية بسيطة مفهومة ، وهو واسع الاطلاع في الأدب القديم والحديث ، يستخدم هذه القدرات عندما تتسع الهوة « بين الأدب الجاد وذوق جمهور القراء »[11] بحيث يصبح المقال الثقافي « همزة الوصل بين العمل الغامض أو الصعب وبين القارئ »[12] .

وفي « حديث الأربعاء » يتوسل طه حسين **بالتبسيط الصحفي** ، لأن الحاجة إلى التنوير والتغيير تصحبها حاجة مشابهة إلى التدعيم والتأصيل متوسلاً بالترجمة والتنوير كذلك ، لا من لغة إلى أخرى فحسب ، كما في المقال التنويري ، وإنما في اللغة العربية ذاتها ، وقد وجد في اللغات المختلفة كتاب قاموا بنفس الدور كما فعل « **ادموند ويلسون** »[13] و « **وليم امبسون** » وغيرهما من الكتاب والنقاد[14] .

على أن هذه المقدرة التفسيرية عند طه حسين ، تتسم بسمات نقدية ومقدرة على إدراك العلاقات ثم استخراج التعميمات منها ، في عملية النمذجة للشعر القديم ، حين يلاحظ بين قرائه من يجهل هذا الشعر ويزدريه[15] نتيجة لانقطاع الصلة بينهم وبين هذا الشعر ، كما يقول صاحبه وهو يحاوره في « حديث الأربعاء »[16] :

« إن الصلة قد انقطعت أو كادت تنقطع بيننا وبينهم ، ولاسيما بعد أن أقبل العصر الحديث ، وحمل إلينا الحضارة الحديثة ، وما تفيض على الناس من أساليب الحياة والتفكير ، فباعد بيننا وبين القدماء ، وغير طبائعنا وأمزجتنا وأذواقنا »[17] .

و « الحياة كلها تطورت وتحولت زادت في تغيير طبائعنا ، وفي تغريبنا ، إن صح هذا التعبير »[18] .

ومن ذلك يتضح « **نموذج** » المشكلة الثقافية ، الذي يقتضي تحقيق التوازن بين التغيير والتدعيم ، متوسلاً بالتبسيط والتفسير في تقريب الصلة بين هؤلاء القراء و « كنوز الأدب القديم » ولذلك **يصرح طه حسين بأنه يريد أن « يترجم » الشعر العربي للقارئ الحديث نتيجة حواجز قامت بينهما ، متمثلة في اللغة التي قيل فيها هذا الشعر** ، فإذا ما ضاق القارئ الحديث بهذه اللغة وعاد إلى بعض المراجع القديمة أو الحديثة لتعينه على فهم هذا الشعر ، لم يجد عوناً بل ربما وجد الصورة مشوهة في النوعين كما يبين من نموذج صاحبه في الحوار .

ولذلك يذهب المقال الصحفي في الثلاثينات إلى عرض الشعر القديم وتبسيطه للقارئ الحديث ، ليصل بينهما وصلاً محكماً يقوم على الفهم والتذوق معاً[19] .

ويتوسل طه حسين بالتفسير والتبسيط في طور التدعيم أي في مقالات « حديث الأربعاء » التي نشرت في « الجهاد » عام ١٩٣٥ م ، والتي ضمنها الجزء الأول في الطبعات التالية ، لأن طور التغيير كان قد انتهى إلى وسائل لا يملكها الأدب القديم ، ذلك أن الحضارة الحديثة تكاد تصرفنا عن هذا الأدب القديم ، الذي لا يكاد يسعى إلينا إلا بطيئاً قد أثقلته القرون ، وهو لا يكاد يخطو إلينا خطوة حتى يتعثر في هذه العقبات التي تبثها الحضارة أمامه والتي يتصل بعضها بالعلم وبعضها بالجهل ، وبعضها بالذوق المترف الرقيق ، وبعضها بالذوق الخشن الغليظ ، وبعضها بما شئت وما لم تشأ من هذه الخطوب ، التي تفرضها الحضارة الحديثة علينا فرضاً ، فتصرفنا عن كل ما يحتاج إلى الجهد والروية والأناة .

« ومعنى ذلك أن الأدب القديم صائر إذا مضت الأمور على هذا النحو الذي تمضي عليه ، إلى أن يصبح لوناً من ألوان الترف ، لا يعنى به ولا يتوفر عليه إلا الذين يفرغون للتخصص في بعض الفنون ، ومع ذلك **نحب لأدبنا القديم أن يظل في هذا العصر الحديث كما كان من قبل ، ضرورة من ضرورات الحياة العقلية ، وأساساً من أسس الثقافة ، وغذاء للعقول والقلوب** »[20] .

وتأسيساً على هذا الفهم ، يتمثل طه حسين مسؤوليته في المقال الصحفي ، التي تجعل كافة الحقائق والمعلومات ذات القيمة الحضارية في متناول أفهام كل الناس . ذلك أن الحضارة الحديثة ، كما يذهب إلى ذلك علماء الفن الصحفي[21] تصبح غاية في التعقيد والتجريد ، والبعد عن التجربة الفردية المباشرة[22] .

فالحضارة الحديثة ـ كما يلاحظ طه حسين ـ حملت إلى عقولنا شراً غير قليل ، لم يأت منها هي ، وإنما أتى من أننا لم نفهمها على وجهها ، ولم نتعمق أسرارها ودقائقها ، وإنما أخذنا بالظواهر ، وقنعنا منها بالهين اليسير ، فكانت الحضارة الحديثة مصدر جمود وجهل ، كما كان التعصب للقديم مصدر جمود وجهل أيضاً[23] .

وهنا تظهر وظيفة الكاتب الصحفي في رأب الصدع ، وسد الهوة السحيقة بين الثقافة الجادة والإنسان العادي ، بين المتخصص وعامة القراء ، متوسلاً بكل الوسائل والفنون الصحفية التي تخلص الأحداث من تجريدها ، والمعلومات من صعوبتها[24]

الأسلوب القصصي والحواري

ومن هذه الوسائل في المقال الثقافي ، التوسل **بالأسلوب القصصي**



★ حافظ إبراهيم ★ ★ سقراط ★

والحواري، الذي لم يستخدمه في مرحلة التغيير، ولعل ذلك يرجع إلى أنه كتب هذه المقالات بعد «**الأيام**»، و«**دعاء الكروان**»، و«**أديب**»، ويذكرنا الأسلوب الحواري في مرحلة التدعيم، بحوار **سقراط** لتلاميذه، فالقضية معروضة عرضاً كاملاً من خلال هذا الحوار الذي «لا يدور بين طه حسين وشخص آخر، ولكن مع نفسه حين تنازعه إلى الرجوع لموضوعات تاريخ الأدب التي قدمها في الأدب الجاهلي كمشكلات الشك والاقحام والامتحان»[٢٥].

على أن التوسل بهذا الأسلوب الحواري، ليس عفوياً أو جمالياً، ولكنه توسل وظيفي، يتغيا التبسيط والتجسيد والتشخيص بهدف التدعيم، يقول لصاحبه:

«كلا يا سيدي! إني لا أريد أن ألقي عليك درساً، وإنما أريد أن أصل بينك وبيني حواراً، فإما أن تقرأ هذه القصيدة، وإما ينقطع الحوار»[٢٦].

ويقول صاحبه بعد نشر جزء كبير من الحوار[٢٧]: «إنك تذيع أحاديثنا في شيء من التبسط، لا تتحفظ ولا تحتاط، فتروي عني كثيراً مما أقوله لك، لا تصفيه ولا تنقيه، ولا تزيل منه الغثاء، ولا تنفي عنه كثيراً من هذا السخف الذي تجري به الألسنة في المألوف من الحديث، ولكن الأقلام تتجافاه، وترتفع عنه حين تسجل هذه الأحاديث»[٢٨].

ومن ذلك يبين غرض الحوار في إيقاظ القارئ، وإثارة انتباهه، وتهيئة ذهنه للفهم، وحثه على متابعة القراءة للموضوع الجاد، وهو من هذه الوجهة غرض صحفي ذلك **أن استعمال المسرحة او الأسلوب الدرامي لا يمكن أن ينفصل عن الفن الصحفي**[٢٩].

ولذلك يتوسل طه حسين بالوسائل السقراطية في الحوار توسلاً وظيفياً، شأنه في ذلك شأن سقراط حين أحس أن في نفسه شيئاً يخالف ما في أنفس **الأثينيين**، وأن له ميولا تخالف ميولهم، وأهواء تخالف أهواءهم، وأخذ يحاور **السوفسطائيين** من جهة والشبان من جهة أخرى، لا يصرفه ذلك عن واجباته الوطنية[٣٠].

ونفس الشيء تقريباً في مقالات حديث الأربعاء، حين يذهب طه حسين إلى محاورة السوفسطائيين المحدثين المصابين بجهل الحضارة الحديثة، ومسخ المعنى الصحيح لكلمة التجديد في نفوس الناس[٣١]، ليصحح لهؤلاء معنى التجديد وإحياء القديم، وأخذ ما يصلح منه للبقاء[٣٢].

ويحاور طه حسين نموذج هؤلاء الشبان، في ألفاظ إن لم ترق له فقد كانت قوية خلابة ساحرة، كما كانت ألفاظ سقراط[٣٣]، تمتاز بالدعابة والهزل اللذيذ[٣٤]، كستار لطيف شفاف يفرّ بما دونه من حق وجد[٣٥]، فيأخذ على صاحبه الذي يحاوره السبيل، ويمنعه أن يمضي، ويلقي أسئلة عادية، ويمضي الشاب في الجواب، وإذا هما في حوار فكري كحوار سقراط[٣٦]. يجمع حولها أكبر عدد ممكن من القراء، يدور حول المباحث النقدية في رفق ولطف، وما يزال يدور حولها، حتى يجد مسلكاً ضيقاً يسلكه فينتهي به إلى النتيجة التي كان يبتغيها، من تدعيم للقيم الأصيلة في التراث.

ويمتاز العمود الثقافي في طوره الثاني عنه في الطور الأول، بهذا الأسلوب السقراطي، فيتضمن المقال حديث الكاتب، فيسأل ويناقش جواب صاحبه الذي يحاوره، ثم يسأل ثم يتعرض للسؤال، ثم يجيب، ثم يورط محاوره في الخطأ، أو يتورط هو في الخطأ، وما يزال في حوار وأخذ ورد حتى يستخلص النتيجة كأنها إحدى القضايا الأولية التي لا تحتمل الشك ولا الجدال.

ومصدر هذا الأسلوب عند طه حسين، أن سقراط كان يعتقد أن النفس بطبيعتها قادرة على العلم بالأشياء وعلى استكشاف الحقائق ولكن ظروف الحياة العملية وأعراضها، وما ورث الناس من عادات وأخلاق، ومن أساطير وسخافات، كل ذلك قد تراكم على هذه النفس الصافية[٣٧]. **فعمل المقال الثقافي إذن ليس تعليم الإنسان ما لم يعلم، وإنما هو إعداد الإنسان لكشف الحقائق**[٣٨].

ومن هنا يغدو أسلوب المقال الثقافي عند طه حسين هو **أسلوب «التوليد» السقراطي**[٣٩] في عرض نقده التطبيقي للشعر القديم، وتبسيطه لتكوين صور حقيقية عنه في أذهان القراء، بعد أن يزيل «الصدأ عن المرآة»[٤٠] ذلك أن المحصول اللغوي للقارئ يكون في معظم الأحيان «محدوداً»، فلا يفهم ما يقال له. ومن هنا جاءت أهمية التبسيط والتجسيد والنمذجة نتيجة لظروف الجماهير العريضة التي يزداد عددها كقراء للصحف من جهة، ولضغوط الحيز الضيق في المطبوعات من جهة أخرى[٤١].

ولذلك يجيء الأسلوب الحواري في «التوليد» السقراطي، أنسب الأساليب مع «هؤلاء الذين أفسدهم الأخذ بظواهر الحضارة، فجهلوا القديم ثم كرهوه، ثم اتخذوا من جهله وكراهته مذهباً يغرون به ويدعون إليه»[٤٢].

ويذهب طه حسين إلى أن العلماء المتخصصين «لا ينبغي أن يؤثروا أنفسهم بالعلم، وأن يحتكروه من دون الناس، وإنما يجب عليهم أن يتعبوا لتستريح أنت وأمثالك، وأن يشقوا لتسعد أنت وأمثالك، وأن يستخرجوا لكم من هذه الحدائق القديمة المهملة، التي طال عليها الزمن، وبعد بها العهد، زهرات لا تستطيعون أنتم أن تخرجوها، لمن يدري لعل هذه الزهرات أن تعجبكم، ولعلها أن تغريكم بمصادرها»[٤٣].



فن المقال الصحفي عند طه حسين

على أن هذا الأسلوب السقراطي في الحوار لا يقف عند التبسيط والتفسير ، في تقريب المعاني إلى الأفهام ، وإنما يتجاوز هذا التبسيط وذلك التفسير إلى « **تقويم** » الإبداع الشعري عند العرب ، واستخلاص ما فيه من معان ، عجز محاوره عن قراءة ألفاظها « لا بغضاً ولا قلى ، ولكن عجزاً ويأساً »[٤٤] ، وهو لذلك « يترجم الشعر العربي القديم إلى اللغة العربية الحديثة ، ذلك أن هذه القرون الطوال التي مضت بين القدماء وبيننا ، لم تمض عبثاً ، وإنما أنشأت بينهم وبيننا فروقاً عظيمة ، جعلت من العسير علينا أن نفهمهم إذا تحدثوا كما نفهم أنفسنا حين يتحدث بعضنا إلى بعض . **وإذا كان الفرنسيون يحتاجون إلى أن يترجموا بعض آثارهم في القرون الوسطى ، وفي أول العصر الحديث إلى لغتهم التي يألفونها الآن ، فلم لا نحتاج نحن إلى أن نترجم أو نقرب شعر القدماء من الجاهليين أو من الإسلاميين إلى هذه اللغة اليسيرة ، التي نصطفيها فيما يكون بيننا من الأحاديث** »[٤٥] . وفي خلال هذه « الترجمة » للشعر القديم ، يتحدث إلى محاوره عن الوحدة المعنوية في الشعر القديم متوسلاً بالاستشهاد والمقارنة والتحليل التقويمي[٤٦] .

ويلاحظ محاوره هذه الخصلة التفسيرية في « حديث الأربعاء »[٤٧] ، حين يصفه بتعمد الصعب ، والقصد إلى العسير : « كأنك تؤمن لنفسك بقوة نادرة لا ينبغي لها إلا أن تواجه المشكلات والمعضلات ، وتتجافى عن الأمور الهينة الممهدة »[٤٨] .

ويؤثر طه حسين ذلك عن عمد ، ليرشد إلى « **جمال الشعر** »[٤٩] ويدل عليه مقوماً إياه ، مبيناً « ما فيه من محاسن »[٥٠] ، الأمر الذي يجعل الأصل في « حديث الأربعاء » أنها « أحاديث حوار بين رجلين يختلفان في حب الشعر القديم وتقويمه ، فإذا اتفق هذان الرجلان ، فقد يحسن أن ينقطع الحوار بينهما فيما اتفقا عليه »[٥١] .

ذلك هو أسلوب العمود الثقافي في مرحلة التدعيم ، وتقريب الهوة بين كنوز الأدب القديم وذوق جمهور القراء ، كما يقتضي التبسيط من تحقيق التواصل الأدبي التاريخي في أسلوب مستساغ ومألوف للقارئ العادي ، يخلو من التفاصيل العلمية المعقدة[٥٢] .

أما العمود الثقافي في مرحلة التغيير ، فقد كان تمهيداً لكتاب « في الشعر الجاهلي » ، ونعني مقالات « حديث الأربعاء » التي نشرت في « السياسة » منذ أواخر عام ١٩٢٢ م ، والتي ذهب فيها في اتجاه تغيير القيم التقليدية المحافظة ، من جهة صدم المتعارفات أو المقدسات فيما يتصل بالنواحي الاجتماعية .

فإذا كان المصريون يعتقدون في عصره أن حياة العرب القديمة كانت طهراً خاصاً ، فقد اختار من الحياة في العصر العباسي ما يكشف عن أن هذه الحياة كانت خليطاً مضطرباً من القيم الأخلاقية المتنوعة . ويركز في العصر العباسي على الغزليين الذين حرصوا على القواعد الأخلاقية المألوفة التي كان المجتمع يظن أنها مألوفة فيه .

ويحاول في قسم الغزل أن يشكك قدر الإمكان في **الغزل العذري** ، بينما اعترف أن الغزل الأصيل المعترف به هو غزل **عمر بن أبي ربيعة** ، ليكشف حقاً عن طبيعة الحياة في هذه الفترة[٥٣] .

ويتوسل بهذا الأسلوب في « **هدم الهدم** » في إطار الاستراتيجية القومية التي تقتضي تصدع قيم المجتمع التقليدي ، ليتيسر الخروج بمصر من جرة المجتمعات التقليدية ، التي لا مشاركة فيها إلى نطاق المجتمع الحديث المشارك في الشؤون العامة ، وبذلك **تصبح الوظيفة العامة في مقال طه حسين هي تقريب البعيد ، وتبسيط القريب ، بحيث تتمكن من أن تصبح جسراً يعبر بين المجتمعين التقليدي والحديث** .

ولذلك يقتضي المقال الثقافي في « حديث الأربعاء » في مرحلة التغيير ، **منهجاً نقدياً ديكارتياً** ، أسفر عنه نقده التطبيقي للشعر في **العصرين الأموي والعباسي** ، من خلال كشف النقاب عن القيم التقليدية السلبية ، المتمثلة في مواضعات أخلاقية وأدبية تعارف عليها الناس دون تحقيق أو تجديد ، ولذلك يتلمس مظاهر الشبه بين العصرين الأموي والعباسي وعصره ، فيما يتعلق بالصراع بين القديم والجديد ، مصدره ونتائجه في فروع الحياة المختلفة ، ومظهره في الحياة الأدبية وآثاره في الأدب اليوناني والأدب العربي[٥٤] « كذلك كانت الحال قديماً ، وكذلك كانت الحال في هذا العصر الذي نعيش فيه »[٥٥] .

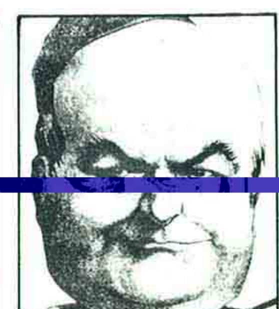
ومن ذلك يبين الجهاد بين القديم والجديد ، ضرورات المرحلة التي كتبت فيها المقالات الأولى من « حديث الأربعاء » لزوال المجتمع التقليدي ، متضافراً في ذلك مع « المقال التنويري » لإشاعة تفتح سمح وتقمص وجداني ظهرت آثاره « بين الأمم الأوروبية نفسها في الآداب الأوروبية الحديثة »[٥٦] كأثر من آثار الاحتكاك بين الثقافات ، ولكن العرب قد حرموا « هذا الاختلاط ، فحرم الأدب العربي نتيجته »[٥٧] .

ولذلك يذهب المقال الثقافي في مرحلة التغيير إلى إذكاء عنصر « **الاستحالة** » والتجديد ، « جريئاً وحراً في البحث »[٥٨] يعمد إلى « الحرية والجرأة » عمداً[٥٩] ، ويضطر إليهما اضطراراً ، بحيث « يعتقد أنه صحيح ، وصدق في التاريخ يعتقد أنه واجب على الباحثين »[٦٠] .

ويمتاز منهج المقال الثقافي في هذه المرحلة بجملة أشياء :

●● **أولا** : أن المقال يصل إلى **شخصية الشاعر** ، فيفهمها ، ويحيط بدقائق نفسه ما استطاع ، فيعرف قراءه « كيف أحس ما أحس ، وكيف شعر بما شعر به ، ثم كيف وصف إحساسه ، وأعرب عن شعوره »[٦١] .

●● **ثانياً** : أن المقال يتخذ شخصية الشاعر وما يؤلفه من عواطف وميول



★ سانت بوف ★



★ ديكارت ★

وأهواء ، وسيلة إلى فهم «العصر الذي عاش فيه هذا الشاعر ، والبيئة التي خضع [illegible][62]، هو «**صورة من صور الجماعة التي يعيش فيها**»[63]. وهو يتفق في ذلك مع «**سانت بوف**» صاحب «**أحاديث الاثنين**» من حيث اتخاذ «**الجزئي وسيلة إلى الكلي**»[64].

●● **ثالثاً** : أن المقال يقصد إلى «**اللذة الفنية**»[65] حين يعرض الشعر ويحاول نقده ، وهي «اللذة التي تجدها إذا نظرت إلى شكل جميل ، أو استمعت إلى قطعة من الموسيقى ، أو خضعت لمظهر من مظاهر الطبيعة الساحرة ، عقلك وشعورك يعملان إذن حين تقرأ الشعر ، وحين تنقده ، لأنك تريد أن تفهم ، وتريد أن تلذ»[66].

ونخلص مما تقدم إلى أن المقال الثقافي في عمود «حديث الأربعاء» قد مر بطورين ، وتوسل بمنهجين ، يمثلان الانتقال من تغيير المجتمع التقليدي إلى تدعيم القيم الإيجابية في التراث الثقافي العربي ، من خلال تأصيل منهج يراه بالنسبة لتاريخ الأدب العربي ، ثم الكشف عن الكنوز المجهولة في أدبنا القديم ، لتحقيق الصلة بين القديم والحديث .

على أن المنهجين يصدران عن كاتب واحد ، هو طه حسين ، ولذلك نجد النقد التحليلي أو التفسير قاسماً مشتركاً ، في دراسة الأثر الفني الذي تدعمه المناهج الخارجية أو الأبحاث العلمية ، في الإقناع المقالي المتوسل بالتجسيد والتبسيط في معالجة «**الانفصام الاجتماعي**» الذي يعاني منه المجتمع الحديث[67] ، بعد زوال المجتمع التقليدي ، [illegible] ومن إعادة التفاهم إلى هذا المجتمع القائم على الإيمان بأهمية الرأي العام ، والاعتراف بضرورة التبسيط والتفسير[68] ، من أجل تحقيق التفاهم الاجتماعي .

الهوامش

(١) السياسة ، ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٢م .
(٢) السياسة ، ٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٣م .
(٣) السياسة ، ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٢م .
(٤) السياسة ، ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٢م .
(٥) السياسة ، ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٢م .
(٦ ، ٧ ، ٨) السياسة ، ٣٠ مايو (أيار) ١٩٢٣م .
(٩) المرجع السابق .
(١٠) المرجع السابق .
(١١ ، ١٢ ، ١٣) ستانلي هايمن : النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ، ص ٣٧ .
(١٤) المرجع السابق ، ص ٣٧ .
(١٥ ، ١٦) الجهاد ، ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٥م ، حديث الأربعاء ، ج ١ ، ص ٨ ، ٩ .
(١٧) الجهاد ، ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٥م ، ج ١ ، ص ٨ ، ٩ .
(١٨) المرجع السابق ، ص ١٠ .
(١٩) مجلة الأداب ، مارس (آذار) ١٩٧٤م ، ندوة «طه حسين ومنهجه النقدي» .
(٢٠) الجهاد ، ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٥م ، حديث الأربعاء ، ج ١ ، ص ١٣ .
(٢١ ، ٢٢) الدكتور إبراهيم إمام : مرجع سبق ، ص ٦٣ ، ٦٤ .
(٢٣) الجهاد في ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٥م ، نفس المرجع ، ص ١٥ .
(٢٤) الدكتور إبراهيم إمام : نفس المرجع ، ص ٦٤ .
(٢٥) مجلة الأداب ، مرجع سبق ، ص ١٤ .
(٢٦) الجهاد في ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٣٥م ، حديث الأربعاء ، ج ١ ، ص ٥٧ .
(٢٧ ، ٢٨) الجهاد في ٦ مارس (آذار) ١٩٣٥م ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .
(٢٩) الدكتور إبراهيم إمام : مرجع سبق ، ص ٦٤ .
(٣٠) قادة الفكر ، ص ٣٣ .
(٣١ ، ٣٢) الجهاد في ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٥م ، حديث الأربعاء ، ج ١ ، ص ٢٤ .
(٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥) قادة الفكر ، ص ٣٣ .
(٣٦) المرجع السابق ، ص ٣٦ .
(٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩) المرجع السابق ، ص ٤٧ .
(٤٠) المرجع السابق ، ص ٤٧ .
(٤١) الدكتور إبراهيم إمام : مرجع سبق ، ص ٦٤ .
(٤٢ ، ٤٣) الجهاد في ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٥م ، حديث الأربعاء ، ج ١ ، ص ١٥ .
(٤٤ ، ٤٥) الجهاد في ٦ فبراير (شباط) ١٩٣٥م ، حديث الأربعاء ، ج ١ ، ص ١٩ ، ٢٧ .
(٤٦) الجهاد في ١٣ فبراير (شباط) ١٩٣٥م ، المرجع السابق ، ص ٢٨ .
(٤٧) المرجع السابق ، ص ٧٧ ، ٧٨ .
(٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠) المرجع السابق ، ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ .
(٥١) المرجع السابق ، ص ٧٩ .
(٥٢) الدكتور إبراهيم إمام : مرجع سبق ، ص ٦٣ .
(٥٣) مجلة الأداب ، مرجع سبق ، ص ١٤ .
(٥٤) السياسة في ٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٢٢م ، حديث الأربعاء ، ج ٢ ، ص ٣ .
(٥٥) المرجع السابق ، ص ٤ .
(٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨) المرجع السابق ، ص ٥ ، ١٣ ، السياسة في ١٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٢٢م .
(٥٩ ، ٦٠ ، ٦١) المرجع السابق ، ص ٥١ ، ٥٢ ، السياسة في ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٣م .
(٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤) المرجع السابق ، ص ٥٢ ، ٥٣ .
(٦٥ ، ٦٦) المرجع السابق ، ص ٥٣ .
(٦٧ ، ٦٨) الدكتور إبراهيم إمام : مرجع سبق ، ص ٦٧ ، ٦٥ .

شجرة الخريف العارية

شعر: رياض المعلوف

تعرَّيت كامـرأةٍ في الخـريفْ

وجسمكِ مثل النساء لطيفْ

ثمـاركِ هـل طعمهـا ينتسى

وظلّكِ في الصَّيْفِ ظلٌّ خفيفْ

وأوراقُ غصنكِ تنثرُ نثراً

على الأرض بَعْد زمانِ المصيفْ

وغصنكِ أرجوحةُ طيرٍ طروب

طليقِ الجناحِ اعتراهُ الرفيفْ

خلعتِ ثيابَ الـرَّبيعِ البهيِّ

وفَتَّقْتِ ذا الـرداء الـظريفْ

مضى الصيفُ حالا فواحسرتاهُ

وجاء الشتاء العنيـد العنيفْ

فـرعدٌ وبـرقٌ وليـل رهيـبٌ

فحقـاً شـتاء الحيـاةِ مخيفْ

وبردٌ يُقَضقِضُ عظمي ولحمي

وليلٌ شديد السوادِ كثيفْ

أويتُ إلى مضـجعي بـاكراً

أنـاشد دفئـاً لـبردٍ يخيفْ

فـودَّعتُ صيفي بُعيدَ خـريفي

وداعَ الأليفِ لخـلٍ أليفْ

قصة من التاريخ

إعداد : د. عز الدين فراج

جلس الخليفة «معاوية بن أبي سفيان» في قاعة فسيحة بقصره في دمشق تطل على فضاء واسع .... وكان الوقت ظهراً والحر شديداً ، وإذا به يرى رجلاً حافياً مقبلاً في هذا القيظ نحو باب قصره ، فقال :

ـ هل خلق أشق ممن يحتاج إلى السير في هذا القيظ؟

فقال أحد خاصته :

● لعله يقصدك يا أمير المؤمنين .

فقال الخليفة :

ـ والله لئن كان قاصدي لأعطيته ، أو مظلوماً لأنصرته .

ونادى أحد خدمه وقال له :

ـ قف بالباب فإن طلبني هذا الأعرابي فلا تمنعه من الدخول عليّ .

وفي دقائق معدودات كان الرجل واقفاً أمام الخليفة الذي سأله :

ـ ما الذي جاء بك إلى هنا؟

فرد الأعرابي :

● جئت شاكياً وبك مستجيراً .

فسأله الخليفة :

ـ ممن تستجير؟

فرد الرجل :

● من مروان بن الحكم الذي وليته علينا فكان وبالا .. وكان شراً مستطيراً عليّ وعلى زوجتي .. جد لي بإنصافك من واليك الذي وليته علينا .. ولا تقطع رجائي من عدلك .

فقال له معاوية :

ـ مهلاً يا أخا العرب ، اذكر قصتك وأوضح لي أمرك .

فاندفع الرجل يقص قصته ، ويقول :

● كانت لي زوجة وكنت لها محباً ، وكانت عندي قافلة من الإبل أستعين بها على حالي ، وحل بنا القحط ، فأصبحت لا أملك شيئاً



[illegible] .

علم بذلك أبو « سعاد » زوجتي ، فجاء وفرق بيننا ، وأخذها من بيتي على كره منها ، فلجأت إلى **مروان بن الحكم** لينصرني ، فأحضر أباها وسأله ، فادعى الأب أن « **سعاد** » كارهة البقاء معي ، فقلت لمروان بن الحكم : أصلح الله الأمير ، إن رأى فليحضرها ويسألها عن قول أبيها . فاستجاب مروان لقولي هذا ، وأحضر « سعاد » فلم يكد يراها حتى وقعت منه موقع الإعجاب ، فصار لي خصماً وأظهر لي الغضب كله وأرسلني إلى السجن ، ثم اتفق مع أبيها على أن يزوجه إياها على صداق قدره ألف دينار ، ويضمن له خلاصها مني .

وفي اليوم التالي استدعاني مروان وقال لي :

— طلّق سعاد !!

قلت :

● لن أطلّقها .

فأعادني إلى السجن وأمر بتعذيبي ، فلم أجد مفراً من طلاقها ، ثم تزوجها هو .

وبكى الأعرابي على حبه الضائع .. ثم اضطرب وتلعثم وسقط على الأرض مغشياً عليه ، فارتسم الغضب على وجه الخليفة ، وقال لمن حوله :

— تعدى مروان حدود الدين ، واجترأ على حرمات المسلمين !!

ثم طلب الخليفة قلماً وقرطاساً ، وكتب إلى مروان بن الحكم رسالة جاء في مطلعها :

« بلغني أنك قد تجاوزت حدود الإسلام وتعديت على رعيتك ، وينبغي لمن كان مثلك أن يكف بصره عن الشهوات » .

ثم [illegible] الرسالة [illegible] :

أتيت أمراً عظيماً لست تدركه
فاستغفر الله من فعل امرئ جاني
طلّق سعاد وعجلها مجهزة
مع (الكميت) ومع نصر بن ذبيان

فأرسل الخليفة رسالته إلى مروان بن الحكم ، فلم يجد مروان مفراً من إرسال « سعاد » إليه ومعها رسالة منه كتب فيها :

لا تعجلن أمير المؤمنين فقد
أوفي بنذرك في سر وإعلان
أعذر فإنك لو أبصرتها لجرت
فيك الأماني عن تمثيل إنسان
فسوف تأتيك شمس ليس يدركها
عند الخليفة من إنس ومن جان

ولما قرأ الخليفة رسالته قال باسماً :

— أحضروا سعاد .

ولما رآها الخليفة أدرك أنه أمام حسناء نادرة الجمال ، تخلب اللب وتأسر القلب .

ولما حادثها رأى منها فصاحة وذكاء ورجاحة عقل ، وأراد أن يختبر مدى إخلاص الزوجين ، فقال للزوج :

— هل لك عنها سلوة ؟ وأعوضك عنها ثلاث جوار كالأقمار ، مع كل جارية ألف دينار وأجري لك من بيت المال ما يكفيك ؟

فلما سمع الأعرابي ذلك قال غاضباً :

● استجرتك بعدلك من ظلم مروان بن الحكم ، فبمن أستجير من جورك ؟

فابتسم الخليفة وقال :

— أنت مقر [illegible] طلّقت سعاد ، ومروان مقر كذلك ، فنحن ندعوها ونخيرها كما في تقاليدنا الإسلامية .

وجاءت سعاد فقال لها معاوية :

— ما رأيك يا سعاد .. أيهم أحب إليك ، أمير المؤمنين في عزه وقصوره ، أم مروان في نفسه وجوره ، أم هذا الأعرابي في فقره وسوء حاله ؟

فأنشدت سعاد تقول :

هذا وإن كان في فقر وإضرار
أعز عندي من قومي ومن جاري
وصاحب التاج أو مروان عامله
وكل ذي درهم عندي ودينار

ثم قالت :

● والله يا أمير المؤمنين ما أنا بخاذلة إزاء حوادث الأيام وتقلبات الأزمان ، وإن له لصحبة قديمة لا تنسى ، وحباً لا يبلى ، وهو أحق بي في الضراء بعد أن نعمت برفقته في السراء .

واهتز معاوية إعجاباً بوفاء سعاد لزوجها ، وصدق مودتها وقال :

— ما قلت ذلك إلا لكي أختبر صدق وفائك . هذه أخلاق الزوجة المسلمة كما يجب أن تكون .

وأمر معاوية للأعرابي بألفي دينار ولسعاد بمثلها .

وبقيت قصة هذه الزوجة المسلمة الوفية مع الأيام تصور ما جبلت عليه المرأة المسلمة من وفائها لزوجها ، مهما توالت عليها المحن والشدائد .

بقلم: نادر السباعي

دائرة من الضوء الشاحب تقترب . الخطوات النشيطة تنسل ، عبر نهار بهيج . نرى السعادة المتلألئة في وجوه الناس ، تفيض مفعمة بالحياة ، عميقة بلا أسى :

(أنت يا قلبي .. فلتتجمل بالصبر !) ، كان فريد يخاطب نفسه في تلك اللحظة .

الحركة ممتدة في الشارع .. الرضى .. هالته الغريبة ، يستقبلها الناس بارتياب ! .

نظر إلى ساعته الهزيلة . وجدها جامدة . تمهّل برهة بعد أن ضاع منه خيط الزمن . رمق الناس بغم شديد ، مستسلماً لخواطر شتى :

ـ يا سيد فريد وصلتني بعض الشكايات بحقك !

ـ ما الأمر ؟

ـ ولكني مظلوم يا سيدي !

(انبعج الجسد . انطفأت العينين . السائل الأحمر ينقذف على الرصيف بغزارة . . .) فيه قدرة هائلة عجيبة .. جسد ريفي مرصوص البنيان يحوي كتلاً من الأعصاب الفولاذية . عاش منذ الصغر على الحليب الطبيعي . انحدر من القرية ، دون أن يلوثه حليب المعلبات ، والسلوك المصطنع . في القلب أمنيات . . يرغب في تحقيقها ، في الغابة المكتظة . يدفن نفسه في وظيفة تافهة . هاجس قوي يخاطبه ، وتراه غريب الأطوار ! . .

بعت الأرض وضيعت ما يربطني بها ! ماذا أفعل في قرية رخص لدي ترابها ؟ .

هذا القروي المشحون بالجفاف ، غرس في المدينة ، وأحاطت به متاهة . يمارس طقوسه الجديدة كإنسان

اندفاعته كزوبعة ترتمي مكرهة في دوامة الطبيعة . إنه منطلق نحو الدائرة ، ويرافقه ذلك الشعور المبهم ، كأنه في طريقه إلى المقصلة .. لا يزال يرتعش . واليوم ، بصورة خاصة يفيض اضطراباً ، ولا تبدو عليه علائم

ـ إنك لا تدري ! ها .. العقاب آتٍ إن لم تقفل فمك . استأنف هديره ، كأنه

منساق خلف قدميه بلا إرادة . إحساس كئيب ينمو في داخله . يحاول نسيان الكوابيس الغريبة ، والهواجس المفزعة . .

متحضر، ولكن شعوره الشيطاني الشره ما فتئ يراوده.

(خرج من الغرفة، ملتهب الأعصاب. انزعج المدير، لحظة صفق الباب خلفه بقوة..).

يرفض التزلف بخشونة. يعمل ساعات طوالا دون تضجر أو شكوى. إن بلاغة صمته فيه أقوى فلسفة، وهذا ما أثار سخطهم عليه.

بين الفينة والأخرى، ينبعث دوي مكتوم من أعماقه.. المدينة! ذلك السجن الواسع، ارتع فيه مكرهاً دون خيار.

يخطو الهوينى، والفكر قلق مرهف، والعيون ترقبه متوجسة. لم يدرك فحوى النظرات، والهمسات التي تثار حوله. تساءل باستغراب: **(ما بهم! هل أصابهم مس؟)**.

هام فكره، وتساءل: **الأنياب الشرسة، التي تمزق لحوم الآخرين في الخفاء.. ماذا تفعل خلف الجدران في الأماكن المعتمة؟** أدرك أن في باطن الأقبية الرطبة، صرخات، وأنين.. هاهو يخطو، ويحس أنه مقصر في أداء واجبه. وعلى كاهليه ترزح خطايا البشرية!.

الريح.. الريح تعصف، تنبض وتلهب دمه في شرايينه. يخرج ليلاً من البيت، كعربة من نار.. على أهبة أن يتحرر، من هول العاصفة. يتجول، يحلق مخترقاً الأثير إلى عوالم من صفاء. وتهدأ شيئاً فشيئاً العاصفة الهائجة في روحه.

بحشاشته الولهى يتعاظم ألمه.. يزدري شمس هذه الأرض، ويعرض بحزم عن أشعتها الملتهبة. ينساب بين جوانحه، تصميم غريب، وينطلق من داخله هدير مخيف كالشرر:

صبرك يا رب! هل يمتد صمته، وفي طبعه هدوء العاصفة؟

بادره أحد الزملاء مرة قائلاً:

- إن أمرك غريب!

- هل بي ما يحير أو ما يريب؟

- نعم! (ثم أتبع زميله القول): إنك أتعس مظلوم في هذه الدائرة.. ألم تدر؟

لم ينطق. أطرق بهدوء مثير. ألح زميله مستفسراً وهو يقول:

- كيف تصبر على الظلم هكذا؟

أجاب فريد بثقة:

- أرجو ألا يفسر صمتي ضعفاً واستسلاماً (أتبع بعد أن تحركت شجونه) لدي من القوة ما أدافع بها عن نفسي وعن كل المستضعفين!

انكتمت دهشة، تحمل في تضاعيفها السخرية. تساءل أحدهم والأشداق تخفي المكر والخبث:

- ما هذه القوة؟

أحس بوخز. صاح بتحد وجرأة:

- قوتي سوف أكرسها يوماً، دفاعاً عن البائسين الذين لا نصير لهم!

يتفجر الضحك في الغرفة. يعلق زميل آخر، الواقف خلف مكتبه بتهكم:

- إنك أضعف مظالم الله في الأرض، كيف تبيح لنفسك حق الدفاع عن غيرك؟

صاح:

- هذا ما يتراءى لكم! يمكنكم الضحك والاستهزاء (عقّب بحزم) سأثبت لكم قدرتي وأغير الواقع الرديء.

- نفهم أنك تمثل دور المصلح الذي يزيل ركام الأخطاء؟

- نعم! هذا ما أقصده.

ولكن دواعي التغيير لن تكون عن طريق الوعظ والإرشاد فقط!!

نظروا إليه بوجل. تغير أمامهم ذلك الرجل التافه بعد أن تحول إلى مارد اتشح ثوب القوة، وظهرت عليه ملامح عنف ضار:

- هذا كلام خطير!

- ليس أخطر من لعبتكم!؟

- أي لعبة؟

- اللعبة القذرة التي تمارسونها كل يوم...

(باستغراب):

- إلام ترمي بكلامك؟

- أغلبكم يأكل لحم بعضكم بعضاً، (ثم أردف بجلاء وجرأة نادرة) مديرنا حامد أفندي.. ذلك الفظ القاسي! من يسانده في طغيانه؟

ارتسم الذعر على الوجوه (اتقدت عيناه بنور لاهب) الملامح الجديدة، غرست الخوف في قلوبهم. استيقظ الصمت في أرجاء الغرفة.

* * *

لا زال يذرع خطواته القاسية كالصوان. اقترب من مركز عمله. خفق قلبه في هذه

البرهة . أحس بانشطار في داخله : **(رباه ! أي عذاب يخترق جسدي المنهك ؟)** تذكر هول اللقاء ، الذي دق قلبه فيه دقة قوية . تسمر أمامه وأرهف انتباهه بحذر لقراره الحازم :

ـ سأرفع فيك تقريراً أطالب بفصلك عن العمل !!

ـ عذراً يا سيدي ! يمكنك الاطلاع على مجرى الامـ ......

قاطعه بغضب . جار صائحاً ، ثم ضرب بقبضته بعنف على الطاولة ، تطاير منه الغضب :

ـ هيا .. اخرج يا صعلوك .. سوف أريك من أنا !

كانت الأصوات تتوزع في الممر ، تستقر في آذان شامتة . ترك فريد الغرفة وانفلت خارجاً . العيون ترقب ، والغضب ينمو في صدره ، بسبب رعونة الكلمات ، التي انصبت على دماغه ..

أحس بالأسى . حبس دموعه . استرسلت الضحكات والهمسات ، قرب أكداس الأضابير والأوراق ..

انقدحي أيتها الأعصاب ! في الحقل أعشاب سامة آن قطافها .. يجب أن يزهر الربيع دون كدر .

اندفع إلى البيت تجري في أعصابه الحمم .. جمدت آماله ! فيقدح عزم الشيطان في شرايينه وعقله . والغضب يسري في أعصابه مسرى الدم ..

تمدد .. لن يأتيه النوم . يسكب حقده في أحلام اليقظة : (ماذا أفعل ؟) يريد الانتقام لكل المظلومين .. لم يستطع أن يفلت جحيم بركانه يتناثر : **(رفقاً بأعصابي !)** شعر برعشة غريبة تسري في جسده . تحرك بعصبية ، في أرجاء الغرفة الرطبة . يفكر متوجساً بمصيره الغامض !

* * *

دخل المدير الغرفة وهو يهدر . غمامة سوداء توشح جو المكان . انتصب واقفاً عابس الوجه ، خشبي الملامح . انتشلت سحنته ، أغلب الموظفين من مقاعدهم . وملأت قلوبهم رعشة .

أما فريد فلا يزال منهمكاً في عمله بلا مبالاة . نظر إليه في تحد صارم . تملاه باهتياج . ثم صاح بصوت مرعد :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ـ أقوم بعملي !

ـ يبدو أنك لم تتبلغ قرار فصلك عن العمل ؟



بغتة . انتصب بذهول (باحتقار) :

ـ هيا اخرج .. ما بك واقفاً كالأبله ؟

في اللحظة الحرجة ، نسج دماغه المتورم الرد النهائي . في فكره وجد الجواب : **(إذن فعلوها !)** ببرودة أعصاب ، انفجر ضاحكاً . احتضرت خلاياه . والجميع في دهشة . غمغم فريد وأنفاسه تتلاحق :

ـ تباً للإناء !

ـ ماذا تقول ؟

ـ الإناء الذي لا يسع أكثر من سعته ! هل نسيت يا سيدي ؟

ـ ماذا تقصد يا مخبول ؟

ـ الإناء ابتدأ يندلق منه الماء !!

ـ لقد جن !

ارتسمت ابتسامة جافة على الشفاه . تفجرت ضحكة هائلة رجّت لها الغرفة . ثم رقدتْ بين شفتيه خيبة مريرة . قال المدير بتوجس وحذر :

ـ مم تضحك ؟

ـ من الدنيا التي تشبه رقعة الشطرنج !

(يتابع ضحكه مشيراً بيده ببلاهة) انظر حولك .. هذه

الأحجار تتحرك حسب ؟

ـ اخرس !

ـ ربما كان إخلاصهم بسبب الأفواه الشرهة التي يطعمونها . . .

ـ اسكت !

الكلمات العنيفة تفرقع في الأذان ، وتضخم الحشد على باب الغرفة . أحس بالتقيؤ ، والغضب ينمو في صدره تدريجياً ، في جو من الصمت المتوتر . صاح فريد محشرجاً :

ـ حقاً لمستغرب كيف أصبحت مديراً (عشش الحزن حنجرته) هل بسبب التراب العفن الموجود في جمجمتك ؟

ـ هيا . . أخرج أيها المعتوه !

لم يأبه لتلك الكلمات . لقد تخلص من القيود . التفت المدير بغتة صائحاً بموظفيه :

ـ ما بكم أيها البُلهاء ؟ هيا أخرجوه . اضربوه !

احتقن وجه فريد باللهب . بعد برهة . . وجد نفسه مرمياً على الدرج . غادر المبنى مجرجراً أذياله إلى مصيره المجهول . .

* * *

تلح رغبة ! ينتظر سماع خطوات . حينذاك ، سيعدو إليه ينفذ به الجزاء العادل . انكمش . . خفق قلبه عند سماعه ، صوت أقدام تتحرك باتجاهه . . ظل مترصداً .

بحقد ، غرس السكين بأصابع مرتعشة . عيناه تتوهجان نقمة ، في قلب الظلمة . أعاد تمزيق اللحم النتن . فاخترقت لحمه ، وأعصابه ، وقلبه ! أحس بأنفاس تتقلص ، ثم تنقطع .

(نهر الدم يجري طليقاً ، يسقسق به أصابعه . . .) .

سمع وقعاً قريباً . ذاب في سكون الليل المختنق كالسهم . وبيده السكين الدامية تشعره بالارتياح .

فتح عينيه . رأى ظلام الليل يذوب في الفجر . استيقظ فزعاً ، وأعضاؤه متعبة مرهقة . لف نفسه بالغطاء . تدثر . . ظل في السرير يفكر بذعر : **(ما هذا الحلم الغريب ؟)** .

انسل من سريره ، منقبض القلب واجفاً . همّ بالذهاب إلى عمله كالمعتاد . . .

* * *

طفقت ترمقه نظرات متطفلة . تضحك من رؤيته . .

وصل المبنى الكبير . ملت نفسه الحياة المكرورة . ربما فقدت بريقها . شعر بالخواء . خفق قلبه ، خشية تأخره عن الدوام . صعد الدرج ، بعد أن تيقن من عدم استصلاح المصعد . بسرعة الريح ، انغرس في غرفته ، يلهث .

استغربوا حضوره . . رمقوه نظرة ازدراء وقرف . ربما وقعوا في حيرة !

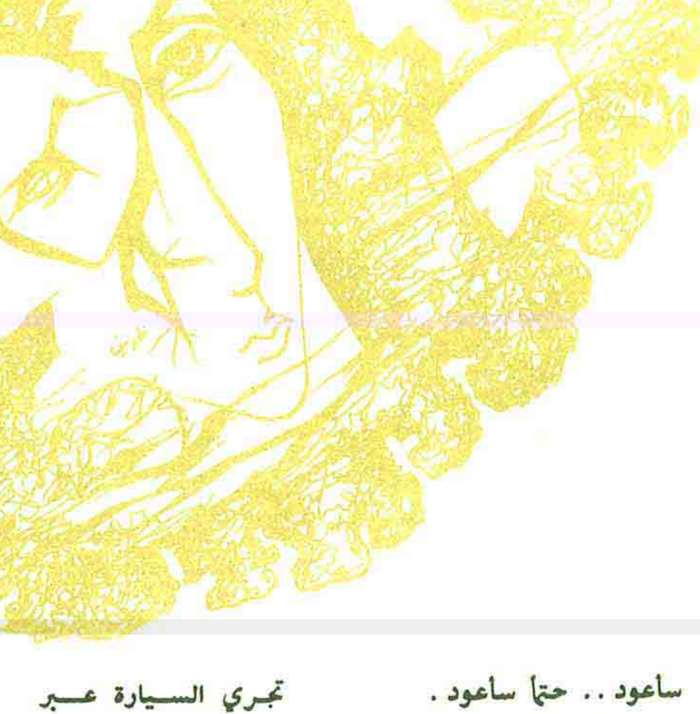
يعاود فريد في ركنه إحساس فظ كالزوبعة . ربما وجد يومه صلباً ، وعنيفاً ، مثل أغلب أيامه في الوظيفة . لكنه لم يدر سبب الأنظار وهي تحيط به . سمعهم يتهامسون باستغراب وفزع فيما بينهم :

ـ ما الذي جاء به ؟

* * *



بقلم: حسن نور



كرذاذ المطر المتساقط فوق الأشياء، يتساقط الدمع في جوفه.. تحرق الأحشاء..

غدا الوجه شاحباً (ممصوصاً).. تنسحب الروح كل يوم من الجسد.. يتآكل داخله.. يتقيأ الأصدقاء السؤال الذي اجتروه، كلما نظروا إلى وجهه:

ـ ما بك؟

ـ لا شيء!

ـ ولكنك تتلاشى..!

ماذا أقول لكم.. مهما حكيت، فلن تدركوا ما أعانيه.. آه.. أين أنتم يا أحبائي.. ماذا تفعلون الآن..؟

* * *

يتساقط الدمع على الخدين.. تحمرُّ العينان من كثرة ما سفحت من دموع.. يتحرك القلب.. النبض.. الضعف، فأتحاشى النظر إلى الوجه الحبيب.. تمتد اليد بمنديلها الأبيض تمسح الدمع.

ـ كفاك بكاء.. غداً تتعوّدين.. وبعد غد سأعود.. حتماً سأعود.

ـ لا تسافر.. لسنا في حاجة لشيء سواك.

ـ أنت تعلمين كيف تتحرك الأسعار، والأولاد يكبرون، واحتياجاتهم تنمو معهم.

ـ لكنها مستورة.. ولا ينقصنا شيء.

ـ سنة واحدة وأعود.. لا تبك.. اهتمي بنفسك والأولاد.

* * *

تجري السيارة عبر شوارع المدينة.. إسفلت الطريق.. يعكس صور الأجسام الواقعة عليه.. الأشجار على الجانبين.. لا زحام ولا أصوات عالية ولا ألفاظ تجرح الآذان والحلق..

تهدئ العربة من سرعتها.. صوت آلة تنبيه يأتينا من سيارة خلفنا.. يخرق الصوت سمعي.. تطفو الصورة المخيفة في الرأس..

ضجيج.. ضجيج.. آلاف الناس.. السيارات الصغيرة.. الأتوبيسات.. الترام.. الأضواء الحمراء.. الخضراء.. الصفراء.. تتداخل.. الكل يجري.. يصرخ.. يلعن.. يسب!.

تتداخل كل المركبات من كل اتجاه.. ترتبك الألوان الثلاثة... تفقد

ماهيتها ووظائفها ... عساكر المرور خيال مآته .. تحاول العبور لتحشر جسدك في مركبة تحملك إلى العمل .. تأتي واحدة وأخرى وثالثة .. لا تجد موضع لقدم .. تتعب يدك وتزهق روحك من عدم مبالاة سائقي سيارات الأجرة .

أخيراً تجد لإحدى قدميك موضعاً .. تنقطع أزرار القمصان ويتهوش الشعر ويختلط لون الحذاء بلون التراب .. تمشي على استحياء .. تجلس وراء مكتبك .. تلملم نفسك .. تشرب قهوتك وتفكر في معركة العودة .

* * *

تقف السيارة بالأحضان .. بالقبلات .. أخذوني .. باللهفة المرتسمة على صفحات وجوههم . سألوني .. عن الأولاد .. الزوجات .. الآباء .. لم ينتظروا إجابتي .. فتحوا الحقيبة .. التقطت الأيدي الخطابات ، شرائط التسجيل .. انزوى كل منهم في أحد الأركان .. يسمع الأصوات المعشعشة في القلب .

* * *

أكلت الطرقات نعليه .. لم يترك مكاناً .. شارعاً .. محلاً .. تتحرك العينان في كل اتجاه .. يرتسم الانبهار على صفحة الوجه .. كل شيء نظيف .. جميل .. حتى سلوك الناس .. يدخل « السوبر ماركت » .. يشير لأي شيء يأتيه في الحال ..

* * *

يوم .. يومان .. شهر .. ثلاثة .

يتسرب الورق الأخضر .. الأحمر يكسو الجيوب .

يتسرب الدفء من القلب .. يرتعش الجسد ينتفض من برد الصيف الحارق في البلاد البعيدة ... يقتله الصحو .. الندم .. الحنين للبيت .. الولد .. البنت .. الزوجة .. الأم .. الأخ .. الأخت ..

استحال الجسد خيالا .. تكسو الصفرة الوجه .. المرائي أمامه شواهد قبور .. نباتات صبار .

* * *

في الحجرة يسأله الصحاب :

– ما بك ؟

– لا شيء .

– كلنا مررنا بهذه المرحلة .. لا تجزع .. غداً ستمتاد كل الأمور .

ماذا أقول لهم .. مهما قلت فلن يفهموني .. ابتلع الصمت .

– اطفئ النور .

– أريد أن أقرأ .

– ونريد أن ننام .

انتشر السواد .. تمدد .. راح يبحلق في الغرفة .. في الجدران .. خمسة شواهد .. على كل شاهد يتمدد جسد .. فوق الشواهد مسامير غليظة .. فوق كل مسمار جلباب .. جثة شهيد .. مقاصل تغطي الجدران الأربعة .. تستطيل الأجساد فوق الشواهد .. تغرق في الموت .. يعلو الشخير .. يتداخل .. أعوذ بالله ..

تجلد .. لا بد أن تتجلد .. سنة أو اثنتان .. ٣٦٥ × ٢ .. اثنين في خمسة بعشرة .. صفر كبير ومعانا واحد .. اثنين في ستة .. ياه ! .. المشوار بعيد ، ولكن لا مفر .. الأمل الوحيد .. فقط حدد الهدف ... كذا ألف وتشتري ...

تجسد الهدف تماماً بكل تفاصيله ! أكمل أحلامه .. من دخله والمرتب تهرب من كل الطوابير .

* * *

تسرع الخطوات إلى الخارج .. الجفون حمراء .. منتفخة ..

يسكن الأمل الصدر .. تخفف أنياب الغربة من نهش الأحشاء .. تحتويه العربة .. تنجذب العينان إلى عناوين الصحيفة التي يقرأها شريكه في المقعد .. يفرك عينيه .. يعيد قراءة عنوان صغير .

يغادر العربة .. يضرب الهواء بقبضته .. يبصق .. يتلفت .. يبحث عن وحل يغرس فيه رأسه .. فالأمل الوهم كانوا يعدون له الكفن قبل أن يشعر بآلام المخاض في ليلته الأخيرة وهو يتقلب فوق اللحد .



الكلمة: "ميكروكزوم" من الوعي البشري

يستجلي المهرة قوته وكوامنه

بقلم: صبري محمد حسن

ظل تعريف أرسطو للكلمة ، بأنها « أصغر وحدة ذات معنى من الكلام » ، مقبولا إلى وقت قريب جداً ، عندما اكتشف اللغويون المحدثون ، أن هذا التعريف ناقص وغير كامل . ثم أعاد بلومفيلد Bloomfield تعريف الكلمة : بأنها « الحد الأدنى من الشكل الحر » . [illegible] هذا التعريف ، بعض غموض القياسات الشاذة ، يخلق أيضاً المزيد منها ، إذ من القياسات الشاذة ، التي أوجدها هذا التعريف ، على سبيل المثال ، اعترافه ، وإقراره بأن to في كلمة مثل : to swim (يسبح) أو to climb (يتسلق) ، تعتبر مجرد علامة نحوية فقط ، برغم أن الكلمة to في هذين السياقين ، ليس لها أي معنى حقيقي . كما يُخْرج هذا التعريف أيضاً اللاحقة ish- كما هي في كلمة bluish (يميل إلى الزرقة) و greenish (يميل إلى الاخضرار) ، وبرغم القيمة الدلالية لهذه اللاحقة ، من دائرة قاعدته ، نظراً لأنها لا يمكن أن تظهر كشكل « حر » .

ومن ناحية أخرى ، فإن معايير « بلومفيلد » ، لا تميز بين التراكيب المختلفة اختلافاً تاماً مثل : ran up (صعد) في السياق : He ran up the hill (صعد التل) ، وبين نفس التركيب في السياق : He ran up a bill (جمّع فاتورة) . في السياق الأول ، نجد أن التركيب ran up ، يتكون من كلمتين ، كل منها شكل « حر » ، بينما في السياق الثاني ، نجد نفس التركيب يتكون من شكلين حرّين ، ولكنهما كلمة واحدة (جمّع) .

الكلمة عند ميليت

ويجيء « ميليت » Meillet بعد ذلك فيعرف الكلمة بأنها : « مرتبطة بمعنى محدد ، مع مجموعة محددة من الأصوات ، قادرة على استعمال قواعدي محدد » . هذا التعريف بدوره ، يراعي الكثير من المسائل الشاذة ، التي أغفلها « بلومفيلد » . من بين هذه المشاكل الغريبة على سبيل المثال ، نجد أن هذا التعريف يعترف بالكلمة الإنجليزية Windmill (طاحونة هواء) والكلمة الفرنسية المساوية لها في المعنى : Moulin à vent (طاحونة هواء) ، على أنهما كلمتان واحدتان نظراً – وهذا رأي ميليت – لأن هاتين الكلمتين ، برغم اختلاف الشكل بينهما ، لهما معنى واحد ، وكلاهما لها وظيفة الاسم المركب .

هذه المرحلة ، من إعادة التعريف ، وإعادة الصياغة ، تميزت بوعي جديد بالطابع الحقيقي « للكلمة » . الكلمة التي تناولها المعجميون ، فضلاً عن العلماء المهتمين بأصول الكلمات وتاريخها ، على أنها سلعة من السلع ، بدأت من جديد ، تلقي بظلالها ، وتكشف عن المزيد من طابعها الملغز المحيّر .

عند سابير

أما **إدوارد سابير** ، فقد دهش لحرص الرواة اللغويين ، من **الهنود الأمريكيين** ، على

الكلمة: ميكروكوزوم من الوعي البشري

الكلمات ، في كلامهم الخاص بهم . المادة اللغوية التي استعملها هؤلاء الرواة استعمال الكلمات ، تختلف عن الكلمات المألوفة ، للمتحدثين حتى « بمستوى متوسط من اللغات الأوروبية المعيارية » . ويورد سابير مثالا على ذلك من **لغة « البايوت » Palute** :

wii - to - kuchum - punku - rügani - yugwi - va - ntü - m(ü)

ونحن إذا ترجمنا ذلك حرفياً حسب الترتيب : سكن ـ أسود ـ جاموسة ـ حيوان مدلل ـ يقطع ـ يجلس (جمع) ـ مستقبل ـ جمع حي ، ومعنى ذلك بلغة القوم : « هؤلاء الذين سيجلسون ، ويقطعون بالسكين ، جاموسة أو بقرة » . ومن هنا اقترح « سابير » ، تعريف الكلمة في ضوء الحدس الأستاطيقي (الجمالي) بأنها : « واحد من أصغر الأجزاء ذات المعنى » ، « الذي تحدد الجملة نفسها فيه » .

عند فيجوتسكي

أمّا « **فيجوتسكي** » Vygotsky فقد انتقد العالم الدلالي ، الذي أصرّ على أن يتعامل مع معنى الكلمة ، على أنه ، ارتباط بين صوت الكلمة ومضمونها . يقول فيجوتسكي : إن عالم اللغة ، عامل الكلمات ، بطريقة تافهة وموحدة للغاية : « إن عالم اللغة لم يدرك أنه مع التطور التاريخي للغة تتغير بنية المعنى ذاته ، فضلاً عن طبيعته السيكولوجية أيضاً . إن مضمون الكلمة ، ليس هو فقط الذي يتغير ، بل أيضاً الطريقة التي يتم بها تعميم الواقع وعكسه في الكلمة ذاتها » .

هذا الرأي ، الذي نادى به « فيجوتسكي » ، لم يكن حدساً ، إذ ثبتت صحته ، من الناحية التجريبية . والتجربة التي وصفها **لوريا Luria** في كتابه « دور الكلام في تنظيم السلوك العادي وغير العادي » ، تسلط الضوء على هذا الرأي .

تجربة لوريا

فـ « **لوريا** » يصف تجربة ، أجريت في لينينجراد ، على أطفال ، تتراوح أعمارهم بين عام واحد إلى عامين ونصف العام ، قدمت لهم صناديق صغيرة ، بعضها باللون الأحمر ، والبعض الآخر باللون الأخضر . وبينما كانت الصناديق الخضراء فارغة ، كانت الحمراء تحتوي على بعض الحلوى . ولوحظ أن الأطفال كان يصعب عليهم اختيار الصناديق الصحيحة . وبرغم إحراز الأطفال بعض التقدم ، كان عليهم ـ كي يختاروا الاختيار الصحيح ـ أن يعيدوا الاختيار من جديد ، في اليوم التالي . ومع كل ذلك ، تغيرت الصورة تماماً ، بعد دخول الكلام إلى حيز التجربة . ولم يثبت التعلم ، أنه أسرع وأكثر ثباتاً فحسب ، بل نُقِلَ أيضاً وباستعداد أكثر إلى المواقف التي كانت تستعمل فيها الأشياء المختلفة . وقد تأثر فيجوتسكي ، بملاحظاته تماماً ، الأمر الذي تمخض عن تعريفه النهائي للكلمة بأنها «ميكروكوزوم ، من الوعي البشري » .

عند هاليدي

هذا التعريف ، الجامع ، الكبير للكلمة ، تلاه تعريف آخر يوافق فيه « **هاليدي** » Halliday على أن الكلمة ، لها من السمات الكثير ، الذي يجعل منها وحدة في الجملة : فقد تكون الكلمة اسماً ، وقد تحمل سمة الجنس النحوي ، أو الجمع . وقد تحتوي على لاحقة أو أكثر . ويضيف « هاليدي » أيضاً ، أن الكلمة ، تدخل في علاقات بعيدة ، بل وقلّما يكون بينها وبين القواعد النحوية علاقة في بعض الأحيان . يقول هاليدي في كتابه « أنماط اللغة » : « **إن الكلمة تتميز عن الوحدات الأخرى بأنها بعد استنفادها تماماً من الناحية القواعدية النحوية ، يبقى لها دوماً الكثير الذي يمكن أن يقال عنها** » .

الكلمات الكاملة وكلمات الشكل

يقدم « **أولمان** » Ullman حداً فاصلاً ، بين ما يطلق عليه « **هنري سويت** » Henry Sweet اسم **الكلمات « الكاملة »** أو الكلمات التي لها معنى مستقل ، و **« كلمات الشكل »** ، التي ليس لها في الحقيقة ، سوى وظيفة بنيوية فقط . وهذا الفصل يمكن رده إلى **أرسطو** نظراً لأن المعايير المستخدمة في ذلك هي بالدرجة الأولى ، معايير دلالية .

وهذه هي قائمة تحتوي على الصنفين من الكلمات :

ـ ١ ـ		ـ ٢ ـ	
أداة شرط	if	شجرة	tree
ضمير مفرد غائب	it	يغني	sing
حرف جر	of	أزرق	blue
حرف عطف	and	بلطف	gently

الكلمات التي في العمود الثاني لها معنى ، حتى في حالة وجودها بمفردها ، ومعزولة عن أي سياق ، بينما الكلمات التي في العمود الأول ، ليس لها معان مستقلة : « أي أنها عناصر قواعدية ، تساهم في معنى عبارة أو جملة ، إذا ما استعملت مع كلمات أخرى » . وهذا الصنف من الكلمات يشتمل على الأدوات ، حروف الجر ، الروابط ، والضمائر وبعض الأفعال ، ويطلق على هذه الكلمات اسم **« كلمات النحو الدلالية »** Synsemantic أي أنها يصبح لها معنى إذا ما استعملت بصحبة كلمات أخرى .

و « **أولمان** » عندما يفصل بين هذين الصنفين من الكلمات ، إنما يبني هذا الفصل على **أسباب فنولوجية قواعدية** ، تبدو من بينها الأسباب القواعدية أكثر إقناعاً ، إذ إن بوسع أولمان ، أن يثبت أن بعض « كلمات الشكل » ، لها نفس الوظيفة التي تقوم بها العناصر الصرفية القواعدية ، بل أكثر من ذلك أنها يمكن استبدالها بمثل هذه العناصر في بعض الأحوال . **فمثلاً** حرف الـ s الذي يستعمل للإضافة في اللغة الإنجليزية كأن تقول مثلاً : The dog's dinner (غذاء الكلب)

يمكن استبدالها بالعبارة : The dinner of the dog التي تعني نفس الشيء أيضاً . ويقول أولمان أيضاً : إنه بالنسبة لأفعل التفضيل ومبالغة التفضيل ، كأن تقول مثلاً hungrier (أجوع) و hungriest (الأجوع) يمكن استبدالها بالعبارة more hungry (أجوع) و most hungty (الأجوع) ، التي تعطي نفس المعنى أيضاً . أو أن نقول : stupider (أغبى) و stupidest (الأغبى) وبدلا منها more stupid و most stupid التي تعني نفس الشيء أيضاً .

أكثر من ذلك أن « أولمان » يسوق مثالا آخر ، من اللغة الفرنسية ، يوضح به أن الضمير الشخصي غير المنبور ، في اللغة الفرنسية ، يمكن فصله عن الفعل ، بواحدة أو أكثر من كلمات الشكل ، في الوقت الذي لا يمكن فيه تحقيق ذلك ، بكلمات كاملة ، وعلى سبيل المثال يمكن أن نقول بالفرنسية : « أنا أثق به » Je le crois ، « أنا لا أثق به » Je ne le crois pas ، « أنا لا أعتقد في هذا الشيء » Je n'y crois pas ، ولكننا لا يمكن أن نقول : Je le vois rarement ـ هذا فضلاً عن أن «كلمات الشكل» ، **في اللغة الفرنسية ، تسير جنباً إلى جنب مع الأشكال الصرفية في اللغة اللاتينية ، ومثال ذلك :**

الكلمة اللاتينية	الكلمة الفرنسية	
sorar - i	à la sœur	للأخت
sorar - is	de la sœur	ملك للأخت
dic - o	je dis	أقول
dic - is	tu dis	أنت تقول

ولو صح هذا الفصل ، يصبح مجال العالم المعجمي أكثر وضوحاً ، إذ إنه لا تعنيه حروف الجر ، ولا الضمائر ، ولا حتى « كلمات الشكل » الأخرى ، ولكن الذي يهمه في الأصل هو « الكلمات الكاملة » أو الكلمات التي لها معنى مستقل فقط . إن كلمات الشكل تدخل في إطار كل من **النحو** Syntax **والنحو القواعدي** Syntagmatic . وقد أطلق **« فاندريس »** Vendryes على التعبيرات الفرنسية العازلة الحديثة ، التي حلت محل الصرفيات اللاتينية اسم Flexion par l'avant ، ومعناها بلغة القوم **« الصرف بالسابقة »** . ومع ذلك ينبغي أن يكون هناك فرق هام وخطير ، هو أن الصرفيات اللاتينية لا يمكن فصلها عن جذر الكلمة ، بينما يمكن فصل حروف الجر الفرنسية ، والأدوات عن جذر الكلمة .

زد على ذلك أن كلمات معينة من « كلمات الشكل » يمكن في سهولة ويسر أن يكون لها كيان دلالي مستقل ، فمثلاً حرف الجر الإنجليزي down يمكن استعماله « ككلمة كاملة » دون أدنى تغيير في الشكل ، كأن نقول They down thumbs (أنزلوا إبهاماتهم) أو أن نقول أيضاً : to have down on someone بمعنى « يجبر على النزول إلى أسفل » . وبذلك يمكن القول : إن كلمات الشكل ، حتى مع استعمالها في عزلة تامة عن العناصر الأخرى ، يمكن شحنها بشحنات دلالية عالية ، ومثال ذلك القصيدة التي كتبها **« ريديارد كبلنج »** Ridyard Kipling بعنوان : «if» أو القصيدة التي كتبها **« كيرك جارد »** Kierk Gaard بعنوان : either - or أو حتى المجلة الفرنسية التي اسمها Elle (هي) .

الكلمة الشفافة المعتمة

يميز علم الدلالة بين نوعين من الكلمات : **الكلمات « الشفافة »** ، التي تسمى في بعض الأحيان كلمات « الدافع » ، **والكلمات « المعتمة »** التي تسمى الكلمات « التقليدية » في بعض الأحيان أيضاً . وليس من الصعب الوقوف على هذا التمييز ورده إلى **الإغريق** . ومع ذلك ، فهذا التمييز ليس بالتمييز الفاصل النهائي ، إذ يمكن لنا أن نقول : إن الكلمات الشفافة ، هي تلك الكلمات ، التي تكشف عن تراسل حقيقي وفعلي بين الصوت والمعنى ، وأوضح الأمثلة على ذلك ، هي تلك الكلمات التي يوحي لفظها بمعناها مثل : الهسهسة hiss والأزيز buzz والهديل coo والوقوقة cuckoo ، وهذا النوع من الكلمات قليل جداً . أمّا بقية الكلمات التي ليس لها مثل هذا « التراسل » فهي كلمات معتمة « تقليدية » .

والطريقة التي يمكن بها اختبار عتامة الكلمة ، أو شفافيتها تضع ثلاثة معايير وصولا لهذا الغرض هي : المعيار الوصفي ، والمعيار التاريخي ثم معيار المقارنة . و « أولمان » يسوق الكلمة الإنجليزية meat (لحم) مثالا على ذلك . هذه الكلمة بالمعيار الوصفي ـ في نظر أولمان ـ تعتبر كلمة معتمة وغير قابلة للتحليل نظراً لأنه إذا كانت هناك علاقة ضرورية بين الاسم والمعنى ، فإننا نتوقع أن تعني نفس الأصوات نفس الشيء أيضاً . ومع ذلك ، فالكلمة لها ألفاظ كثيرة مجانسة مثل كلمة : meet (يقابل) و to meet و to meet out (يوزع حصصاً) ، كما أن لهذه الكلمة مرادف آخر هو flesh الذي لا يحتوي على صوت واحد مشترك معها ، برغم القرابة الكبيرة في المعنى . أمّا المعيار التاريخي فتظهر سلبيته أيضاً نظراً لأنه لو كانت العلاقة بين الصوت والمعنى أمر ضروري لما كشفا عن تطور أو تغير تاريخيين . وقد تغير هذين العنصرين كل على حدة منذ **العصور السكسونية** . فالكلمة mete في اللغة الإنجليزية القديمة كانت تعني « المآكل والمشرب بصفة عامة » ، وهذا هو ما تعنيه العبارة الحديثة : meat and drink . كما أن القليل من الكلمات يجتاز اختبار المقارنة ، الذي يذهب إلى ما وراء أبعاد أي لغة من اللغات ، فالكلمة الإنجليزية : bow-wow الدالة على « النباح » ، أو « الهوهوة » إن صح التعبير ، بمعيار اللغة الإنجليزية الحديثة تعتبر من الكلمات الشفافة ، ولكن ليست هناك أي لغة من اللغات تستعمل نفس المصطلح . فاللغة الفرنسية مثلاً تستعمل كلمة أخرى للدلالة على « النباح » هي : aua-aua هكذا نجد أن كلمة meat تجتاز



الاختبارات الثلاثة ومن ثم يمكن القول إنها كلمة معتمة .

والكلمات بانتقالها من فترة زمنية إلى أخرى في لغة من اللغات ، يمكن أن تفقد أو تحمل «قوة دافعة» ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فاللغة اللاتينية مثلاً ، كان بها الكثير من الكلمات الشفافة ، التي تحولت إلى كلمات معتمة في اللغة الفرنسية ، بسبب التحول والتعرية الفنولوجيين ، ومثال ذلك الكلمة اللاتينية pipio أو pipionis (في حالة الإضافة) مأخوذة من كلمة pipire ، التي تعني بلغة القوم «سقسقة» أو «صأصأة» ، التي هي كلمة شفافة تماماً في اللغة اللاتينية . هذه الكلمة تظهر في اللغة الفرنسية ككلمة pigeon (حمام) ، وأيضاً الكلمة اللاتينية mugire ومعناها بلغة القوم «خوار» فقدت أثرها في أن يوحي لفظها بمعناها نتيجة لتحول الـ U في اللغة اللاتينية إلى حرف Y في اللغة الفرنسية .

وبالإمكان في أحيان كثيرة التعويض عن فقدان «الدافع» motivation من نواح كثيرة . وأفضل مثال على ذلك الكلمة اللاتينية : murmur التي كان القوم ينطقونها moormoor ، والتي تحمل أثر «القعقعة» و«الزئير» فضلاً عن أنواع مختلفة من الأصوات . عندما مرّت هذه الكلمة إلى اللغة الفرنسية لتكون myrmyr/myrmure تغير الدافع مع الصوت ، وأصبحت الكلمة ، تعبر عن أصوات أخف وأنعم . وعندما اقترضت اللغة الإنجليزية ، نفس الكلمة من اللغة الفرنسية ، تغير «كيف الصائت» مرة ثانية ، فأصبحت تنطق ma:ma مستوعبة بذلك الصوت البعيد غير المميز ، بل وحتى المضطرب الذي يربطه الإنسان بالكلمة . ويمكن توضيح ذلك بالأمثلة الثلاثة الآتية :

«السماء مضطربة بهزيم كبير» :

1. Magno misceri murmure caelum

«يا لهذا الموج الذي يزئر وهو يداعب شاطئيه» :

2. Ou l'onde qui murmure en caressant ces rives

«الهمهمات المائجة للبحر في وحدته» :

3. The surgy murmurs of the lonely sea

هذه الأمثلة الثلاثة التي ورد أولها في «**إنيادة فيرجيل**» ، وثانيها عند «**لامارتين**» ، في قصيدته «أغنية الحب» وثالثها عند «**كيتس**» Keats الشاعر الإنجليزي ، تبيّن أن فقدان الدافع الدلالي ، يؤدي إلى كسر القيد المجازي ، بين الاسم والشيء المشار إليه .

والكلمة الفرنسية pavillon (جناح ، سرادق) التي هي في الإنجليزية pavillion مشتقة عن طريق التغير الفنولوجي من الكلمة اللاتينية papilionem ومعناها بلغة القوم «فراشة» . أمّا الكلمة الفرنسية papillon التي نحس بأنها ليس لها أي علاقة بالكلمة ذاتها ، فمأخوذة من نفس الكلمة اللاتينية ، ولكن عن طريق قناة فنولوجية أخرى بديلة . كما يمكن القول أيضاً إن التاريخين الفنولوجيين ، نبعا من رغبة غير مقصودة ، في اللغة ذاتها في الفصل بين معنيين غير مترابطين تماماً هما : papillon و pavillon ، ومع ذلك فإن الكلمتين الإنجليزيتين parson (كاهن بروتستنتي) و person (شخص) اشتقتا بطريقة قياسية مماثلة .

والشعراء الذين يعانون من ضعف من ناحية **الأيتومولوجيا (علم بسط وتعليل أصول الألفاظ وتاريخها)** ، يستطيعون في معظم الأحيان ، وعن قصد ، إحياء الكلمات بالرجوع بها إلى أصولها «الأيتومولوجية» . وهذا يصدق على كل من **شوسر** Chaucer ، الشاعر الإنجليزي القديم الفذ ، و**سبنسر** Spencer كما يصدق أيضاً على المحدثين من أمثال «**جيمس جويس**» James Joyce و«**ت.س. اليوت**» T.S. Eliot اللذين يزخر شعرهما بالكلمات التي أعادوا إليها الحياة ، فضلاً عن اعتماد التأثير الفائق لأشعارهما على نفس هذه الكلمات .

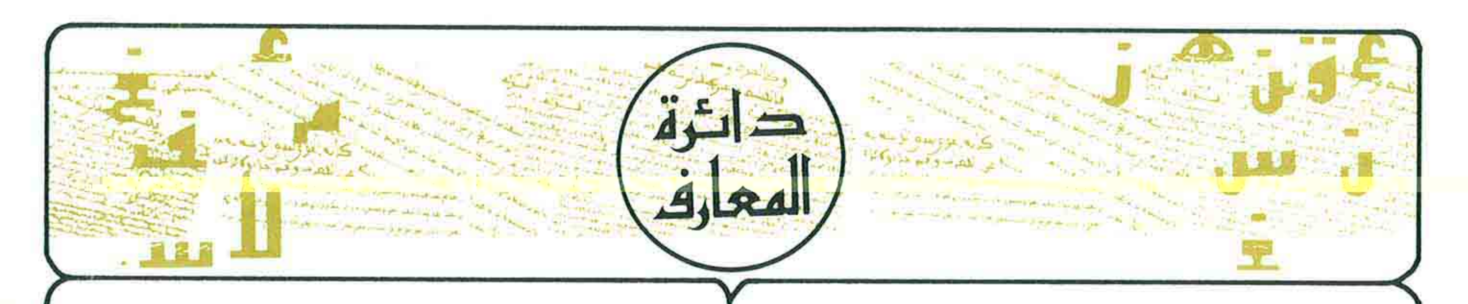
ومن رأي «**أوين بارفيلد**» Owen Barfield أن إحياء الكلمات ليس فقط مجرد عملية أيتومولوجية ، ولكنها عملية دلالية بالدرجة الأولى ، إذ إن الأمر يبدو كما لو كانت الكلمة نواة كثيرة البذور ، تُبْعَث فيها الحياة على يدي شاعر عظيم . والكلمة التي تفقد واحداً أو أكثر من معانيها بمرور الزمن ، أو التي انفصلت إلى معان لكلمات منفصلة ومستقلة ، يمكن استعادتها ، بل وإعادة شحنها تماماً من جديد . ولنأخذ على سبيل المثال ، الكلمة الإنجليزية (run) (يجري) : في الأزمان الكلاسيكية القديمة كانت فكرة «الفعلية» verbal التي يحتوي عليها الفعل ruo تعني «الحركة الانهزامية السريعة» ـ أي أنه مركب من «اندفاع ـ سقوط ـ انهيار» الأمر الذي يصعب التعبير عنه في اللغة الإنجليزية الحديثة بكلمة واحدة . يقول «بارفيلد» : إن المعاني الثلاثة لم تنفصل إلا حديثاً جداً . فالاسم ruina عندما ظهر ، لم يكن يحتوي إلا على المعنى الثالث «انهيار» collapse أو بالأحرى «ذلك الذي انهار» . وهكذا نلاحظ أن روح الكلمة كانت لا تزال موجودة ، وتتمثل في الإيحاء بحركة حية . وفي العصور الوسطى احتفظت الكلمة بقوتها . أمّا إعادة هذه الكلمة ، إلى كامل حياتها وقوتها فكان على يدي «**شكسبير**» ، الذي أضفى على هذه الكلمة لمسة سحرية ، فنجد أن شخصية «**سالسبيري**» Salisbury في رائعة شكسبير «**الملك جون**» يفاجأ بجثمان «آرثر» Arthur ملقى على الأحجار بعد أن سقط من الحائط إلى الأرض ميتاً :

هذا العمل المشين من صنع يدي هوبرت .
ممارسة وهدف الملك ،
الذي أعق روحي من طاعته ،
راكعاً أمام هذا الدمار ruin للحياة الحلوة .

وفي **أنطونيو وكليوباترا** ، نجد مثالا رائعاً آخر :

الدمار ruin النبيل لسحرها ، يا أنطونيو .

هكذا نجد أن الكلمة بفضل شكسبير ، تحولت إلى شيء دافئ ينبض بالحياة ، قطعة من مادة الخيال الذي في متناول كل من بيديه المهارة استجلاء قوتها وكوامنها .







اعتـدالان :

ذلك الوقت من السنة الذي تكون فيه أشعة الشمس عند الظهر عمودية على خط الاستواء ، والذي يشمل فيه نصف الكرة المضيء كلا القطبين . وفي الاعتدالين يتساوى الليل والنهار في جميع مناطق سطح الأرض ، ويحدث هذان الاعتدالان سنوياً فيكون أحدهما في ٢١ مارس (آذار) تقريباً ويسمى « **الاعتدال الربيعي** » والثاني في ٢٢ سبتمبر (أيلول) تقريباً ، ويسمى « **الاعتدال الخريفي** » .



بحـر :

ذراع أو جزء من محيط يكون إما مسطحاً مائياً واسعاً يتصل بهذا المحيط ، أو فجوة واسعة في ساحله تملؤها المياه المالحة موغلة في اليابسة . ومن النوع الأول **البحر المتوسط وبحر الشمال والبحر الأسود** . وإلى النوع الثاني ينتمي أكثر بحار القارة الأوروبية ، ويطلق اسم بحر أيضاً على مسطحات مائية مغلقة تعتبر في حكم البحيرات كبحر قزوين وآرال والبحر الميت .



تروبوسفير :

الطبقة السفلى من الغلاف الغازي ، أي تلك التي تلي سطح الأرض مباشرة ويتراوح ارتفاعها من مكان لآخر ، فتصل إلى أقصاها ، أي لنحو : ١٧ أو ١٨ كم فوق **خط الاستواء** . وإلى أدناها إلى نحو ٧ أو ٩ كم فوق القطبين ، أما الحرارة فتنخفض تدريجياً بالارتفاع . وبمقارنة هذه الطبقة بغيرها من طبقات الجو العليا نجد أن منطقة التروبوسفير أكثر تقلباً ، ففيها يكثر بخار الماء وما ينتج عنه من سحب وأمطار وثلوج ، وهناك التيارات الهوائية التصاعدية والتأفقية ، كما تكثر فيها المواد الصلبة ، كالغبار والأتربة والدخان والأملاح الكيميائية وغيرها .



ثاني أكسيد الكربون :

غاز يتألف من جزء من **الكربون** متّحد مع جزءين من **الأكسجين** ، ويكوّن عادة ٠,٠٣٪ من الغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض .



جـزيرة :

قطعة من الأرض تحوطها المياه من جميع الجهات سواء كان ذلك في المحيطات أو البحار أو البحيرات أو الأنهار ، وتتكون بعدة طرق ، فهي إما تكتونية أو بركانية أو نتيجة للحت الساحلي ، أو بفعل الجليد ، أو تراكم المرجان أو بالترسيب فقد تتراكم الرواسب على طول الشاطئ فتكوّن جزراً منخفضة وتصنّف الجزر على نوعين : **جزر قارية** ، وتقع قرب القارات وترتبط بها من الناحية الجيولوجية فلم تظهر جزر إلا بعد انفصالها عن كتلة الأرض الرئيسية . **وجزر محيطية فتتكون مستقلة عن كتلة اليابسة الرئيسية في المحيط.**



حصى :

رواسب صلبة صغيرة الحجم نسبياً توجد غالباً مختلطة بمواد أدق



كالرمال أو الصلصال ، وتتكون هذه الرواسب بفعل حركة الماء (أنهار ـ بحيرات ـ بحار) . وتمتاز حبيبات الحصى باستدارتها عامة وعدم تماسكها ، فيتراوح قطرها بين ٢ مم إلى ١٠ سم ، ويتركب معظمها من **معدن الكوارتز** . أما الحبيبات الأكبر فتعرف **بالحصباء** والأكبر من ذلك **بالجلاميد** ، أما الحبيبات الأقل حجماً من الحصى فتدخل في عداد الرمال .



خسوف القمر :

احتجاب ضوء القمر عندما تلقي الأرض ـ أثناء دورانها بين الشمس والقمر ـ ظلها عليه ، ولا تحدث هذه الظاهرة بطبيعة الحال إلا عندما يكون القمر بدراً كاملاً وفي مواجهة الأرض ، ولكن لا تحدث هذه الظاهرة في كل حالات البدر ، ذلك أن فلك القمر لا يطابق مجال الخسوف ، وإنما ينحرف عنه بنحو (٥) درجات . **وقد يكون الخسوف جزئياً** ، وذلك إذا احتجب جزء فقط من ضوء القمر . ولا يعد الخسوف (**خسوفاً كلياً**) إلا إذا احتجب ضوء القمر تماماً . وقد تستمر حالة الخسوف الكلي أحياناً لنحو ساعتين . وعلى أي حال فإن ظاهرة الخسوف عامة أقل حدوثاً من ظاهرة الكسوف .



دلتا :

بقعة طينية تتكون عند مصب النهر عندما ترسب كمية كبيرة من الطمي لا تستطيع تيارات المد أو غيرها إزالتها ـ أطلق **الإغريق** الاصطلاح على **دلتا نهر النيل** ، لما رأوا من شبه في الشكل بينها وبين الحرف الرابع من أبجديتهم ـ ويعقب عملية الإرساب الأولى ، تفرع النهر مما يجعل الدلتا تتسع متخذة شكل المروحة أو المثلث . وقد تتكون الدلتا عند دخول النهر إلى بحيرة أو عند التقاء نهرين ، وخصوصاً إذا كان أحدهما سريعاً محملاً بكمية من الطمي والآخر بطيئاً . تعتبر **دلتا الأنهار** من أكثر المناطق ازدحاماً بالسكان وأشهرها : دلتا أنهار النيل ، هوانجهو ، والمسيسيبي والجانج وبراهما بترا .



ذوبان :

هي عملية انتقال المادة من الحالة الصلبة إلى الحالة السائلة ، أي **عملية تحلل معادن الصخور في الماء** سواء كان ذلك الماء من الأمطار أو المياه الباطنية ، وإذا اشترك الذوبان بالتكربن نتجت آثار مختلفة الأشكال على الصخور الجيرية بصفة عامة .



رطوبة :

حالة الجو بالنسبة لما يحتويه من بخار الماء ، إذ يطلق اصطلاحي الرطوبة وبخار الماء على جزيئات الماء الدقيقة غير المرئية والمنتشرة في الجو والمختلطة بنسب مختلفة مع الهواء . ومن أنواع الرطوبة : **المطلقة ، والنوعية ، والنسبية** .



زلزال :

حركة أو هزة في **قشرة الأرض** ينجم عنها أحياناً تغيرات جوهرية في مستوى السطح ، ويرتبط حدوث كثير من **الزلازل** الأرضية العنيفة بخطوط الانكسار والضعف في القشرة الأرضية ، كما يرتبط بعضها الآخر بمناطق حدوث **البراكين** . ولذا تصنف الزلازل عادة إلى « **زلازل تكتونية** » ، وأخرى « **زلازل بركانية** » . وزلازل النوع الأول غالباً أخطر وأعنف . ولعل أهم أقاليم الزلازل ثلاثة نطاقات رئيسية : (السواحل الغربية من الأمريكتين ، ونطاق يمتد عبر جنوب أوروبا وجنوب آسيا ، ونطاق آخر في المحيط الهادي ويشمل اليابان والفلبين وجزر الهند الشرقية) .



سهل :

أرض مستوية أو شبه مستوية تمتد على مساحة واسعة ، وعادة ما تكون منخفضة نسبياً . وتتكون السهول بعدة طرق منها **التعرية المائية** أو الجليدية ، وكذلك **بالإرساب** البحري أو النهري . وتسمى تبعاً للطريقة التي تكوّنت بها ، وتختلف باختلاف مناطقها وظروفها المناخية . فيقال : **السهل الفيضي والسهل الرسوبي والسهل التحاتي والساحلي والرملي** . وتغص معظم سهول المناطق المعتدلة بالأعشاب ، ومن ثم يكون الترادف بين السهول ومناطق الأعشاب فيقال : **سهول البراري** أو سهول البمباس أو السهوب أو الاستبس .



شعب :

حاجز أو رصيف رملي أو صخري أو مرجاني قريب من سطح البحر ، وقد يكون ملاصقاً للشاطئ أو بعيداً عنه ، مطلاً من سطح الماء أو مختفياً تحته ، ولذلك ، فالشعاب تكون أحياناً خطراً على الملاحة ، وأطول شعاب العالم هو الشعب الحاجزي العظيم بالقرب من شواطئ أستراليا الشرقية ، وقد تتكوّن الشعاب بفعل الأمواج وحركة المد والجزر أو هبوط جزء من البر .



صخر :

أحد المواد الأساسية التي تتألف منها **القشرة الأرضية** ، ويتركب الصخر من مادة صلبة تتكوّن من معدن أو أكثر ، وتنقسم الصخور إلى ثلاثة أنواع : أولها **الصخور النارية** وتنشأ من تصلب المواد المنصهرة المنبعثة من باطن الأرض بالبرودة ، وأمثلتها : الجرانيت والبازلت ، وكذلك **الصخور الرسوبية** التي تسمى غالباً **الصخور الطباقية** ومنها الطَّفل والحجر الرملي **والصخور الجيرية** . وهناك **الصخور المتحوّلة** التي تحولت من تأثير الحرارة والضغط ، ومنها : الأردواز والشست والناليس والرخام .



ضغط جوي :

وزن عمود الهواء فوق نقطة معيّنة ، ويقدر **الضغط عند سطح الأرض** بنحو (١٤١/٢) رطلاً على البوصة المربعة ـ ليبرة ـ وكلما ارتفعنا عن سطح الأرض نقص طول عمود الهواء وبالتالي يخف الضغط الجوي . وللحرارة **تأثير** مباشر على الضغط ، إذ ينتج عن اختلافها على سطح الأرض اختلاف في كثافة الهواء ، فتتكوّن مناطق ذات ضغط مرتفع وأخرى ذات ضغط منخفض ، ويقاس الضغط الجوي بالبارومتر ، ويسجل عادة بالمليبارات .



طفْل :

نوع من الصخور الرسوبية الصلبة دقيق الذرات ، يتألف من الطين والصلصال وترجع صلابته إلى أثر الضغط الناتج عن ثقل الصخور الواقعة فوقه ، أو بفعل الالتصاق أو الالتحام بالبحر مثلاً ، ونادراً ما يكون نقياً ، ويتميز بشكله الصفائحي أو على شكل طبقات رقيقة يمكن فصلها بسهولة .



ظل المطر :

منطقة لا يسقط فيها المطر نسبياً ، وذلك لأنها في حمى من الرياح السائدة المحملة ببخار الماء لوجود سلسلة من الجبال أو التلال . ولعل أشهر المناطق هي **منحدرات إقليم الغابات الغربية في الهند** . حيث تتعرض للرياح الموسمية الجنوبية الغربية لمدة خمسة أشهر كل سنة ، ومن ثم تتمتع بأمطار غزيرة جداً تصل أحياناً إلى نحو (٢٠٠) بوصة . أما **المنحدرات الشرقية** التي تقع في ظل المطر فقلّما تزيد كمية الأمطار عن (٢٥) بوصة .



عاصمة :

مركز الحكم أو المركز الإداري لأي وحدة سياسية أو إدارية أو اجتماعية أو إقليمية أو طبيعية ، وهي غالباً المدينة الرئيسية أو العاصمة التجارية .



غرين :

هو عبارة عن **الرواسب النهرية الناعمة المشتقة من الصخور** وتتألف عادة من الطمي والرمل والصلصال وغيرها من المواد التي حملها النهر واضطر إلى إرسابها . وتتألف بعض أراضي العالم العظيمة الخصوبة من هذه الرواسب النهرية التي أرسبت في دالات الأنهار الكبرى .



قناة :

مجرى مائي صناعي يُشق لأغراض الري ، أو تيسير النقل ، وقد

عرفت قنوات الري منذ العصور القديمة، وقد تصل القنوات المجاري المائية على اليابسة بالبحر. وكثير ما تُشق لوصل نهرين كبيرين ــ **كقناة الراين** ــ وتستخدم في تفادي المساقط المائية ونقطة الضحالة أو لاستصلاح الأراضي. ومن أهم قنوات النقل **قناة السويس وقناة بنما**.



كسوف الشمس:

احتجاب ضوء **الشمس** عندما يلقي **القمر** (أثناء دورانه بين الأرض والشمس) ظله عليها. ويسمى كسوف الشمس (**كسوفاً كلياً**) إذا احتجب ضوء الشمس تماماً. ويسمى (**كسوفاً جزئياً**) إذا كان الاحتجاب قاصراً على جزء معيّن فقط من ضوء الشمس. وظاهرة الكسوف عامة أكثر حدوثاً من ظاهرة الخسوف، وقلّما يستمر الكسوف الكلي لأكثر من بضع دقائق.



لوس:

رواسب ركامية من التربة الناعمة الدقيقة، انتقلت من مكانها بفعل الرياح أثناء **العصور الجليدية** وبعدها. وتغطي اللوس مساحات واسعة حول أطراف المناطق الداخلية الجافة من **آسيا**. وتتكوّن التربة من ذرات دقيقة جداً غنية بالجير لها لون ضارب إلى الصفرة، ولعل أهم مميزات هذه التربة شدة حساسيتها، لماء المطر يتسرب فيها بسرعة، بينما يظل السطح جافاً عادة ولكن إذا ما أرويت فإنها تعد من أخصب البقاع، وهذه الرواسب تغطي مساحات واسعة من **الصين وأوروبا ووسط الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي**.



محاق:

الوجه المظلم من القمر بالنسبة للأرض، **ويحدث عندما تكون كل من الأرض والقمر والشمس على خط واحد مستقيم**. وللعرب مسميات عديدة لفترة المحاق. فليالي ٢٨ ــ ٢٩ ــ ٣٠ من الشهر [illegible] التوالي.



ندى:

تكاثف بخار الماء العالق بالجو على سطح الأرض أو على الأجسام القريبة منه كالنبات. ويحدث **الندى** عندما يبلغ الإشعاع الأرضي أدناه أثناء الليل فتبرد الطبقات السفلى من الجو إلى ما دون **نقطة** الندى، فيتكاثف بخار الماء على شكل **قطرات** مائية. ويزداد الندى كلما ازدادت كمية بخار الماء في الهواء وكلما قلّت درجة حرارة الأرض.



هور:

بقعة من الأرض الرطبة الليّنة، تكون عادة ذات منسوب منخفض وتغطيها المياه كلية أو جزئياً. ويميزها عن المستنقع أنها لا تتغطى بالماء إلا مؤقتاً وترجع نداوة أرض الهور إلى طبيعة التربة غير المسامية كالصلصال مثلاً وإلى سوء الصرف.



واحة:

أرض خصبة تحيطها **الصحراء**. وترجع خصوبتها إلى وجود الماء العذب ولو نسبياً. وقد تكون الواحة على شكل منخفض كبير أو حوض هائل أو حفرة صغيرة أو واد طويل. فقد تتألف من مجموعة صغيرة من أشجار النخيل فقط. وقد تكون إقليماً غنياً تبلغ مساحته عدة مئات الكيلومترات المربعة.

في الواحات الصغيرة يكون مصدر الماء بضع آبار أو ينابيع صغيرة منعزلة أو مجرد بقعة ينحدر إليها مسيل جبلي لتكون دلتا مروحية خصبة. أما **الواحات الكبرى فهي** تلك التي تغذيها أنهار عظيمة كما هو الحال في مصر والعراق، ومن ثم تعول أعداد كبيرة من السكان.



ينبوع:

وهو تدفق المياه المستمر أو المتقطع من الأرض بصورة طبيعية، ويحدث ذلك عندما تغوص مياه الأمطار إلى نقطة معيّنة تحت الأرض حيث تتجمع وتندفع فوق السطح. ويتوقف ظهور الينابيع على موقع الماء الباطني وشكل سطح الأرض ونوع الصخور. وتتفاوت مياه الينابيع أو العيون في درجة حرارتها وفي مقدار ونوع الأملاح التي تحملها.

مناقشات و تعليقات

«تعقيب على (تصويب لغوي)»

ورد في العدد (٧٤) من **مجلة «الفيصل»** وفي صفحة (تصويب لغوي لبعض الاستعمالات الشائعة) عرضٌ لعدد من الأخطاء اللغوية التي شاعت على ألسن الكتّاب والمثقفين في وسائل الإعلام المختلفة، وحاول المشرف على تحرير هذه الصفحة تصويب مثل هذه الأخطاء، وهو جُهدٌ عظيم ـ بحق ـ يُشكر عليه، ومساهمة كبيرة في تنظيف ما علق بهذه اللغة الحية المعطاء من شوائب منذ زمن ليس بالقصير كان سببه العجمة وغلبة العامية وغيبة الباحثين المخلصين الذين كانوا يذودون عن لغة الحضارة والعلم والأدب والدين بأقلام حرة أمينة صادقة.

غير أنّ الذي أريد أن أعقب عليه وأناقشه بعضٌ من الكلمات التي وردت في المقال وظنها المحرر من قبيل الخطأ الشائع في حين أننا لو رجعنا إلى كتب اللغة ومعجماتها وتحرّينا عنها بدقة لرأينا أن هذه الكلمات موجودة في فصيح اللغة وأن لاستعمالها ما يسوّغه. وسأتناول هذه الكلمات الواحدة تلو الأخرى:

١ ـ كلمة (عُريان) التي تجمع على (عَرايا) وقد قال الكاتب إنَّ هذا جمعٌ غير صحيح معللًا ذلك بأن «كلمة (عُريان) مفرد على وزن (فُعلان) ومؤنثه بالتاء (عُريانة)». ثم ينقل ما ذكره علماء اللغة في مثل هذا الوصف فيقول: «إن الوصف الذي على وزن (فُعلان) يجمع على وزن (فعالى) إذا كان مؤنثه على وزن (فَعلى) مثل: غَضبان وغَضبى وسَكران وسَكرى فيقال في جمعهما: غضابى وسكارى. أما إذا كان مؤنثه [illegible] مثل (عريان وعريانة) فلا يجمع هذا الجمع». انتهى كلامه.

الذي أريد قوله هو أنه إذا لم يجز مثل هذا الجمع لما بالك في أن كتب اللغة ومعجماتها قد ذكرت عدداً من الألفاظ التي ينتهي مؤنثها بالتاء وجمعت على (فَعالَى) ومنها: (شَبْعان) ومؤنثها (شَبعانة) وجمعها (شَبَاعَى)، و(عَطشان) ومؤنثها (عَطشانة) وجمعها (عَطاشَى)، (فَرحان) ومؤنثها (فَرحانة) وجمعها (فَراحَى)، و(كَسلان) ومؤنثها (كَسلانة) وجمعها (كُسالى) و(كَسالى)، و(نَدْمان) ومؤنثها (نَدْمانة) وجمعها (نَدَامَى).

إذن أفلا يجوز أن يجمع (عريان) ومؤنثها (عريانة) على (عرايا)، قياساً على هذه الألفاظ؟

٢ ـ كلمة (حاجة) التي تجمع على (حَوائج) قال فيها الكاتب ما نصّه: «وكلمة (حاجَة) المفردة لا ينطبق عليها هذا الشرط فيعد جمعها على (حوائج) خطأ شائعاً والجمع الصحيح لكلمة (حاجة) هو جمعها جمع مؤنث سالماً حيث ينطبق عليها شروط هذا الجمع، فهي مفرد مؤنث مجازي مشتمل على تاء التأنيث فينبغي أن يجمع على (حاجات)». انتهى كلامه.

ولو رجعنا إلى كتب اللغة ومعجماتها لرأينا أن جمع (حاجة) على (حوائج) جمع صحيح وفصيح أيضاً. فقد ورد في قاموس (المنجد في اللغة والأعلام) وفي مادة (حوج) ما نصّه «الحاجة جمعها حاجٌ وحِوَج وحاجات وحوائج»، وجاء في القاموس المحيط للفيروزابادي: ويقول ابن بري: سمع في الأحاديث الصحيحة والأشعار الفصيحة قال: اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه. وعن ابن عمر قال: إن لله عباداً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الآمنون يوم القيامة. وأنشد الأعشى:

الناس حول قبابهِ　　　أهل الحوائج والمسائلْ

وأظن أن كلّ هذه الشواهد والأقوال كافية للتدليل على صحة جمع (حاجة) على (حوائج).

٣ ـ كلمة (عادة) التي تجمع على (عوائد) قال الكاتب بشأنها: «والجمع هنا كسابقه، جمع تكسير على (فواعل) وقد قلنا إن أية كلمة مثل (حاجة أو عادة) لا تجمع على هذا الوزن لاختلال الشروط وإن الأفضل أن تجمع جمع مؤنث سالماً لاستيفاء شروطه فيها فيقال في جمع (عادة) (عادات) وهناك مفرد آخر هو (عائدة) بمعنى ـ فائدة أو ربح أو منفعة أو معروف أو صلة ـ فيجمع على (عوائد) وذلك لمطابقته للشروط القياسية». انتهى كلامه.

أقول إن جمع (عادة) على (عوائد) ليس خطأ إذا ما علمنا أن كتب اللغة تقول في هذه الكلمة «العادة جمعها عادات وعادٌ وعِيْد وعوائد: ما يعتاده الإنسان أي يعود إليه مراراً متكررة». إذن فجمع (عادة) على (عوائد) وارد في اللغة تشبيهاً لها بالعائدة من النفع أو الربح الذي يعود للإنسان مراتٍ متعددة.

وهكذا نرى أن اللغة العربية واسعة الاستعمال غنية بالمفردات متعددة الصيغ فليس من السهل أن نطلق حكماً صارماً على استعمال مفردة معينة فنقول إن هذا الاستعمال صحيح وذلك خطأ إلا بعد التحري الواسع الدقيق.

ونقد لقصيدة (وطني)

نشرت **مجلة «الفيصل»** الغراء على صفحات العدد (٧٤) قصيدة

مناقشات

وتعليقات

من شعر **أحمد حسن القضاة** بعنوان (**وطني**). والذي يلفت النظر في هذه القصيدة التي لا تتجاوز العشرين بيتاً **كثرةُ الأخطاء العروضية والنحوية** التي تتخلل نصف عدد أبياتها تقريباً. وإني ـ في الوقت الذي أشير فيه إلى هذه الأخطاء على طريق النقد العلمي الهادف وخدمة لغة الضاد ـ أودّ أن أتوجه بالعتب إلى أسرة التحرير لنشر أمثال هذه النتاجات في مجلة طالما عوّدتنا على نشر الموضوعات والمقالات والنصوص الرفيعة المستوى، **فهي تحظى** بسمعة عظيمة بين أوساط المثقفين في البلاد العربية والعالم.

من الواضح أن القصيدة نظمت على **البحر (الطويل) الذي عروضُه مقبوضة** وضربه صحيح، أي:

(فعولن مفاعيلن فعولن مفاعِلُنْ

فعولن مفاعيلن فعولُنْ مفاعيلُن)

وهذا ما يتضح من مطلع القصيدة الذي يقول فيه:

فراقكَ يبكيني وقربُكَ لوعةٌ

وحبك في قلبي تملّك وامتدّا

وهو بيت مستقيم الوزن في كلا الشطرين، غير أن الأبيات التي تليه يبرز فيها الخلل العروضي واضحاً وهي كما يأتي:

١ ـ **البيت الثاني**:

فلا أنا ـ في البعد ـ أحظى براحةٍ

ولا أنا ـ في القرب ـ ألق لي السعدا

وأعتقد أنه لو قال (في ذا البعد) في الصدر، و(في ذا القرب) في العجز لاستقام الوزن، بالإضافة إلى الركاكة وضعف التعبير في قوله (ألق لي السعدا).

٢ ـ **عجز البيت الخامس**: (فما لي اصطبارٌ عن ربوعك أبدا) والخلل واضح في التفعيلة الأخيرة منه.

٣ ـ **عجز البيت السادس** (بطولة أجداد عاشوا هنا أسدا)، والخلل واضح في التفعيلة الثالثة.

٤ ـ **عجز البيت الثامن**: (نميراً كأبهى ما رأيت وأجدى) والخطأ العروضي يكمن في التفعيلة الأخيرة، إضافة إلى أن كلمة (أجدى) لا معنى لها في البيت غير أن القافية هي التي أملت على (ناظمها) أن يأتي بها.

٥ ـ **عجز البيت العاشر** (وأترابي الأطفال نلهو معاً أمْدا) ولا يستقيم إلا بتسكين الميم في (أمْدا) وفي هذا تجنٍّ على اللفظة ليس له ما يسوّغه ولا تسمح اللغة به.

٦ ـ **عجز البيت الخامس عشر** (ليرموا بها الأكباد ما انصاعت لهم أبدا) والخطأ العروضي واضح في التفعيلتين الأخيرتين، إضافة إلى ضعف التعبير في قوله (ما انصاعت لهم).

٧ ـ **عجز البيت السادس عشر** (أباهي به العشاق إذ أرضي به هندا)، وكذلك عجز البيت الثامن عشر (وما قلّ إخلاصي بل تطاول وامتدا) ناهيك عن ضعف التعبير في قوله (وما قلّ إخلاصي).

٨ ـ **عجز البيت التاسع عشر** (رضعنا لبان الأم كي نحيا ونشتدا)، وكذلك عجز البيت العشرين (وما خلق الرّحمن مثلك ندا).

وبالإضافة إلى هذا كلّه فإن هنالك عدداً من الأخطاء النحوية واللغوية في القصيدة كقوله ـ مثلاً ـ (إلى الحارس اليقظان حامٍ لقريتي) والصحيح (حامياً) لأنها حال أو أن تعرف بالألف واللام فتكون (الحامي) على أنها نعت، ثم إن الفعل (حمى) يتعدى إلى مفعوله بنفسه، ولذا فلا حاجة لوجود اللام في (قريتي). ومن ذلك أيضاً قوله (يعانقها أخذاً... تعانقه ردّا) إذ إنه من غير الجائز الاستغناء عن وصل الجملتين وجعلهما مقطوعتين بهذا الشكل، فلا بد من ربطهما أو وصلهما بالواو ليتناسق الكلام. وكذلك يقول (إلى حيث من أهوى إليه تحيتي)، والصحيح (أهواه) وليس (أهوى إليه) لأن الفعل (هَوِيَ) يتعدى بنفسه إلى مفعوله. وكذلك يقول (أيا وطني إن جُرتَ جورُك عادلٌ) والصحيح أن تكون (فَجورك عادلٌ) لأن هذه جملة اسمية وقعت جواباً للشرط فلا بد من أن تقترن بالفاء الرابطة.

تلك مجموعة من الملاحظات، آمل أن تلق الاهتمام المناسب من لدن مجلتنا الغراء مجلة كل مثقفي العالم، مجلة الفكر النير المبدع والكلمة الحرة الشريفة والحرف العربي الأصيل.

عبد المنعم محمد جاسم
مدرّس اللغة العربية في إعدادية الشطرة
الجمهورية العراقية ـ ذي قار ـ الشطرة



أسماء وصفات السيف

نشرت مجلتكم «أسماء وصفات السيف» في العدد ٧٥ الصادر في رمضان سنة ١٤٠٣ هـ، ولدى مراجعتي تلك الأسماء وجدت بعض الأخطاء ـ ولعلها مطبعية، فأرجو الإيعاز بنشر التصحيح التالي إتماماً للفائدة:

مناقشات و تعليقات

الحرف	السطر	الخطأ	الصواب
ب	٩	وهذا البيان	وهذان البيتان
ث	٣	إصابة الفرة	إصابة الغرة
ج	١٦	يبيض	بِبِيض
خ	٢	نضرب جميعهم	نضرب جمْعَهم
د	٥	خلوكنت	فلوكنت
ذ	٢٩	يطيق العظم	يُطَبِّق العظمَ
س	٩	ومستلم	ومُسْتَلْئِم
ظ	العنوان	سهي عن وضع الحرف (ظ)	
ع	١٠	سيف تقادم عهد	سيف تقادم عهدُهُ

ف سقط سهواً من أسماء السيف (الفُرافِر) ، قال مكرز بن حفص في قتله عامر بن يزيد :

وأيقنت أني إن أجَلّلْهُ ضربةً
متى ما أصِبْهُ بالفرافر يعطب

وأفر بالسيف رأسه : شقه .

الحرف	السطر	الخطأ	الصواب
ف	١١	وهو يكمي	وهو كمعي

محمد خير عبد المجيد
عمان ـ الأردن



الطغرائي: ليس كيميائياً

لا شك أن اهتمام الأستاذ **الدكتور علي عبد الله الدفاع** ، بالتاريخ العلمي العربي وتأصيله عبر مقالاته المتعددة عن الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء عند المسلمين والعرب ، تعتبر إضافة علمية رائدة وجهد بحثي له أصالته وعمقه ، ويطيب لي القول إنني سعدت مراراً وتكراراً بمطالعة مقالات الدكتور الدفاع كما كان لي شرف الاطلاع على مقالاته عن **الطغرائي** في العدد (٧٧) من مجلة **« الفيصل »** ، وإن سمح له بتعليق قد يلقي ضوءً أكثر ويجلي موقف الطغرائي هل كان شاعراً في المقام الأول تعلق بأهداب العلم ، أم عالماً كيميائياً عربياً تعلق بأهداب الشعر ، أم لا هذا ولا ذاك لكنه مجتهد أدلى بدلوه في مجالات شتى .

الحقيقة أنه من خلال دراستي بحكم تخصصي كمهندس كيميائي ، جذبني البحث عن إسهامات علماء العرب والمسلمين في مجال **الكيمياء** فعملت على إتمام بحث شامل عن إسهاماتهم مقارنة بما سبقهم وبما لحقهم حتى القرن السادس عشر الميلادي ، وقد ثبت لي أن الطغرائي كان شاعراً في المقام الأول هوى الكيمياء ولم يمارسها ، فالكيمياء علم تجريبي في المحل الأهم وليس هناك كيمياء نظرية على الأقل في عصر الطغرائي ، كما ورد في المقال المشار إليه ، فلم نسمع أو نقرأ أنه حقق تفاعلاً واحداً ولا حاول ابتكار مادة جديدة أو درس حتى خصائص بعض المواد ، واقتصرت دراسته في الكيمياء على محاولة زج **جابر بن حيان** في مقام أدنى من مقامه ، أما عن ذكره إمكانية تحويل الحديد إلى ذهب فقد يكون الكيميائي العربي الوحيد ـ إن صح التعبير ـ الذي أفنى عمره في عمل لا طائل خلفه .

أما عن رسائل الطغرائي ، فقد اهتم الدكتور الدفاع بإحدى رسائله غير ذات الأهمية ، في حين أن أهم رسائله هي [**ذات الفوائد**] وتوجد منها نسخة خطية في **دار الكتب المصرية بالقاهرة** ٧٣١ طبيعيات ، وقد قام **الدكتور رزوق فرج رزوق**[١] بجامعة بغداد بتحقيقها وترجمتها ، وكانت أطروحته لرسالته للدكتوراه في **جامعة لندن** عام ١٩٦٣ م .

والطغرائي يميل ميلاً عنيفاً إلى إضفاء الغموض على أعماله كأن يقول واعلم بأن ما ذكروه عن الأوزان فإنما هو المقايسة بين أرواح الأجساد وأفعالها ، وهذه الأوزان وإن تميزت في العمل فلا حاجة إلى وزنها .

المهم أن الطغرائي في رأيي لم يقدم للكيمياء العربية شيئاً ذا بال وإن اشتغل بجمع البحوث الكيميائية القديمة نتيجة كثرة أسفاره وتنقلاته في مناطق ذات تاريخ علمي مثل السوريانية واليونانية والمصرية القديمة .

دكتور مهندس
محمد نبهان سويلم
أستاذ التكنولوجيا الكيميائية
القاهرة

الهوامش

(١) أحمد سعيد الدمرداش ، مجلة العلم ، عدد أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٢ م .

مع الأصدقاء

مذابح صبرا وشاتيلا

دعاني إلى الكتابة لكم ما نشرتموه في العدد (٦٩) من مجلة «الفيصل» عن مذبحة (شاتيلا وصبرا) كتابة وصوراً.

إنها صورة بشعة بحق وحقيقة، وهذا لا ينكره أحد مهما كان قاسياً وبشعاً في مشاعره، ونحن عرباً ومسلمين نعلم ذلك علم اليقين ونسلم بأن ما حدث في لبنان من الوحشية ما يغمى على أي مشاهد أو سامع.

إننا ندعي العروبة والإسلام.. لماذا نقف موقف المشاهد والمتفرج؟؟ ومن هو الحكم العدل الذي نشهد عنده أو نحكي له ما شاهدنا؟؟!!

إن ما التقط من صور لمنطقة المذبحة، وما ظهر فيها من موق وآخرون يبكون ما يدمي قلب كل من ينتسب للعروبة والإسلام ويجعله يتحرك من مكانه إلى حيث يقيم الغاشم المعتدي للقضاء عليه.

نحن الآن نكتب ولكن لمن؟ إن العالم كله ضدنا عروبة وإسلاماً، ولولاه لما ظلت إسرائيل تقوم بهذه الأعمال وعلى مدى (٣٤) أربعة وثلاثين عاماً ولا أحد يوقف هذا سواء العرب أو المسلمين أو أحد الذين يدعون أنهم من دعاة الإنسانية والرحمة من خلال المنظمات أو الأعمال الفردية.

نحن الآن نتعلم ونثقف أنفسنا ونعمل وننام مع أهلنا، ونلبس ونأكل ونشرب ونلهو، لماذا تعلمنا من هذا الاضطهاد؟ أين نحن من العلم وحياتنا في أيدي غيرنا؟

لماذا نحيا وهذا الاضطهاد والاستعمار الجديد يخيم علينا؟

لا حياة لنا وهذه هي حالنا عرباً ومسلمين!!

من ننتظر ليحمينا ويحرر أرضنا العربية؟

احملوا السلاح يا أبناء العروبة واتركوا التمتع بهذه الحياة التي رسمها لنا الأعداء.

عبد الباقي عبد الحفيظ
السودان ـ الخرطوم

«زغرودة»

إلى الإخوة الأعزاء في **«مجلة الفيصل»**، تحية عطرة، وبعد:

أبعث لكم بهذه القطعة الشعرية، آملاً أن تلق هذه «الزغرودة» استحسانكم، وتحوز على رضاكم.

«زغرودة» مجلة «الفيصل»

طَيَّبَتْ ذِكْراكِ يا ذات الوسام
أحرفُ المجد وتذكارُ الإمام
فانْهَلي منها دعاماتِ البَقا
وانْهلي منه طموحاتِ الهمام
وارْفَعي الرأسَ دليلاً للهدى
وامتطي العِزَّ وتيهي في الأنام
واغْزِفي لحناً بأوتار العُلا
اطْربي الأرضَ بأنغام الغمام
«فَيْصَلٌ» اسمي فذكْري فيصلٌ
حازَ مجدَ النَّجم عن مجد الرُّغام

محمد عبد الرحمن
أبو سيف الجهني
المدينة المنورة

● **المجلة**: ها نحن بناء على رغبتك أيها الصديق ننشر قصيدتك مضمخة بعطر مشاعر الود والوفاء.. ولك التحية.

اقتراحات

أتقدم إليكم بأطيب التحيات، والتمنيات بأن تظل **«الفيصل»** قلعة في مجال الصحافة العربية والعالمية.. ومنارة عالية تشع منها الثقافة والعلوم في مختلف المجالات العلمية.. والأدبية.. والفكرية..

وكما تعودنا من **«الفيصل»**.. **فهي دائماً** تتحفنا بموضوعاتها الشيقة الممتعة المفيدة التي تنير العقل، وتنمي الثقافة بين الشباب العربي من مختلف الأقطار.

وأنا إذ أتوجه بالشكر والتقدير لمحرري **«الفيصل»** أتقدم إليكم ببعض الاقتراحات التي أرجو أن تضعوها في اعتباركم.

(١) إعادة أبواب المجلة القديمة... مثل: أوراق متناثرة، من أخبارهم، أمثال العرب والشعوب، بين شاعرين.

(٢) أن يتناول باب «مدينة وتاريخ» المدن والبلدان العربية بدقة وروعة فائقة يحس منها القارئ بالشوق لمعرفة المزيد عن مدننا العربية التي كانت ـ وما زالت وستظل أبد الدهر ـ منارات للحضارة والرقي... وحبذا لو نشرتم أيضاً في هذا الباب عن المدن والبلدان الأجنبية.

(٣) أن تتناول المجلة موضوعاً ثابتاً عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تزداد معرفة شباب هذا العصر بسلفهم الصالح ويتخذونهم قدوة لهم...

(٤) إضافة باب يختص بالمعارك الإسلامية عبر العصور.

(٥) إضافة باب ثابت للتعريف بعلماء وأدباء العرب.. والغرب أيضاً.. وطبعاً قدمت المجلة موضوعات كثيرة في هذه المجالات ـ ولا داعي لسردها ـ ولكني أقترح أن تكون موضوعات ثابتة لتزداد المعرفة بأكبر عدد ممكن من خلال أبواب المجلة.

حمدي محمد علي طنطاوي
مصر ـ شبرا الخيمة

● **المجلة**: شكراً لصديق المجلة الأخ حمدي طنطاوي على رسالته، واقتراحاته.

١ ـ نحن نتفق معك أن بعض أبواب المجلة السابقة مثل

«أوراق متناثرة»، و«من أخبارهم» و«من أمثال العرب والشعوب» من الأبواب التي لا تستنفد أغراضها، وأن موضوعاتها تجذب اهتمام القراء، لكن استمرار مثل هذه الأبواب إلى جانب الأبواب المستحدثة سوف يحول المجلة إلى أبواب ثابتة بحيث يصعب نشر الدراسات العلمية والأدبية والفنية بالقدر الكافي.. خاصة أن أغلب الدراسات والأبحاث التي تنشرها المجلة تعالج قضايا أكثر حيوية، ولها أهميتها في حياتنا المعاصرة، وهي دراسات تتصف بالشمولية، ويكتبها أدباء وكتّاب كبار لهم اختصاصاتهم وخبرتهم.

ولو راجعت أبواب المجلة في أية سنة من السنوات لوجدت أنها تحتل مساحة كبيرة من المجلة، وهي من الكثرة بحيث نضطر في كل سنة نضيف فيها أبواباً جديدة، إلى إيقاف بعض الأبواب التي يمكن إيقافها.. وهذا لا يمنع من عام لآخر إعادة بعض الأبواب عندما نشعر بأنها أكثر أهمية من أفكار الأبواب الجديدة... وبعض الأبواب أوقفنا استمرارها حين شعرنا أنها لن تأتي بجديد، وأنها ربما كررت بعض مضامينها مثل باب «بين شاعرين». ونحن نحرص على الجديد والتجديد لاتساع العلوم والمعارف الإنسانية.. والوقوف عند أبواب معينة يحرم المجلة من تقديم أبواب جديدة للأسباب التي ذكرناها.

٢ — أما باب «مدينة وتاريخ» فإننا نحرص أن نقدم من خلاله المدن العربية والإسلامية، وهي كثيرة بصورة تفرض استمراره.. وحين نشعر أننا قدمنا أكبر عدد ممكن من هذه المدن سوف نقدم مدناً غير عربية.. وقد أعددنا بعض الاستطلاعات عن بعض المدن العالمية.

أما استطلاعات البلدان بصورة عامة، أو ما يمكن أن نطلق عليه «أدب رحلات» فإن المجلة نشرت من خلال باب «في بلاد الله» عن كثير من البلدان بحيث تناولت هذه الاستطلاعات العديد من الجوانب والملامح عن هذه البلدان دون التركيز على المدن مثل الصومال.. واليابان.. وموريتانيا.. وسيرلانكا.. وغيرها.

وفي المجلة بابان مصوران: أحدهما «من عادات الشعوب» نعرض من خلاله جوانب من عادات شعوب العالم.. والآخر «من متاحف العالم» الذي يرصد تاريخ المتاحف العربية والإسلامية ومحتوياتها من الآثار.. وهذه الأبواب جميعها يكمل بعضها البعض الآخر.

٣ — نشرت المجلة عدداً لا بأس به من الدراسات عن صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وعن قادة المسلمين، وهي مستمرة في نشر مثل هذه الدراسات.. كما أن بعض أبواب المجلة مثل باب (دائرة المعارف) لا تخلو من سيرة الصحابة عليهم رضوان الله.

٤ — أما المعارك الإسلامية فقد قدمت المجلة بعضها، ولدينا دراسات عن معارك أخرى في طريقها للنشر دون الالتزام بباب ثابت شهري للسبب الذي ذكرناه.. وهذا الكلام ينسحب على التعريف بالعلماء والأدباء العرب الذين نشرت المجلة دراسات موثقة وشاملة عن الكثير منهم سواء القدامى أو المحدثين، وهذا ما لمسته بنفسك واعترفت به في رسالتك.. ولك تحياتنا.

مدينة الناظور.. واقتراح

كقارئ للمجلة ومعتز بها أشد الاعتزاز، **أقترح على سيادتكم بعض الأبواب قصد إضافتها إلى المواضيع المختلفة التي تقدمها المجلة:**

— باب «حدث وتاريخ»، يتمثل في تخصيص حدث تاريخي مهم، معركة كان أم اكتشافاً علمياً أم تاريخياً.. وتناوله بشيء من التفصيل.

— باب «آية كريمة وسبب نزولها»، يتناول فيه آية كريمة أو آيات كريمة في سورة كريمة من سور القرآن الكريم وسبب نزولها.

كما أرجو من المجلة، أي من الإخوة الكرام فيها القيام باستطلاع قريب إن شاء الله عن **مدينة الناظور** التي يجهل عنها إخوتنا العرب الكثير والتي شهدت تقدماً كبيراً سواء من حيث العمران أو الاقتصاد، فمرحباً بكم في مدينتنا الفتية قصد تغطية جوانبها الإيجابية والسلبية، وشكراً لكم.

السليماني عبد الغني محمد
الناظور — المغرب

● **المجلة**: شكراً للأخ السليماني على رسالته.. ونأمل أن نحقق اقتراحاته، والاقتراحات الأخرى التي تصلنا من أصدقاء المجلة كتّاباً وقرّاء.. مع تحياتنا.







شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .

أجوبة مسابقة العدد (٧٥)

ج ١ شرع **الصيام** يوم الاثنين ، الثالث من شهر شعبان ، **في السنة الثانية للهجرة** .

ج ٢ هذه المتاحف تقع في المدن التالية :
متحف باردو الوطني ، في تونس .
متحف توب كابي ، في اسطمبول **بتركيا** .
متحف قصر فرساي ، في باريس **بفرنسا** .

ج ٣ مؤلفو الكتب الأربعة هم :
ـ قصائد مختارة : **غازي القصيبي** .
ـ الإعلام موقف : **محمود محمد سفر** .
ـ كبوات البراع : **أبو تراب الظاهري** .
ـ منار السالك إلى أوضح المسالك : **ابن هشام الأنصاري** .

ج ٤ الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٠٣هـ ، هم :
★ في خدمة الإسلام : **الشيخ حسين محمد مخلوف** (من مصر) ، بالاشتراك مع **السيد تنكو عبد الرحمن** (من ماليزيا) .
★ الدراسات الإسلامية : **محمد عبد الخالق عضيمة** (من مصر) .
★ الأدب العربي : **د . شوقي ضيف** (من مصر) .
★ الطب : **البروفيسور والاس بيترز** (من بريطانيا) .

ج ٥ تم **فتح مكة المكرمة في شهر رمضان العام الثامن للهجرة** الموافق عام (٦٣٠)م .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (٨٢)

الاسم : --

المهنة : --

العنوان : --

استدراك

ورد في أجوبة مسابقة العدد (٧٠) التي نشرت بالعدد (٧٧)، أن آكلة الأكباد هي هند بنت صعصعة وذات الخمار هند بنت عتبة.

والصواب هو أن آكلة الأكباد: «هند بنت عتبة»..

وذات الخمار: «هند بنت صعصعة».

لمعذرة إلى القراء لهذا الخطأ الناشئ عن التقديم والتأخير أثناء كتابة الإجابة. وشكراً للقراء الذين كتبوا إلينا مستدركين ما حصل من خطأ.. والله الموفق.

السؤال الأول:

اذكر أسماء مؤلفي الكتابين التاليين:

إحكام الأحكام ـ مفتاح العلوم.

السؤال الثاني:

اذكر اسم أشهر عالم اخترع المجاهر (الميكروسكوبات).. مع العلم بأنه من ألمانيا؟

السؤال الثالث:

متى.. وأين صدرت مجلة «العروة الوثقى».. مع ذكر اسم من أصدرها؟

السؤال الرابع:

أين يقع ممر «رونسفال» الذي يطلق عليه العرب «باب شزورا» أو «باب الشزري» الذي اشتهر بإحدى معارك العرب القديمة في الأندلس؟

السؤال الخامس:

البسملة تبدأ بها كل سورة في القرآن الكريم.. ما عدا سورة واحدة.. اذكر اسم هذه السورة؟

نتائج مسابقة العدد (٧٩)

● فازت **بالجائزة الأولى** وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي، السيدة **ست البنات رحمة عمارة**، شندي ـ السودان.

● وفاز **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي، الأخ **جمال سباعي**، ٣٠ زنقة فراسفيل، حي الوازيس، الدار البيضاء ـ المغرب.

● وفاز **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي، الأخ **عاطف ص. سلامة**، ص. ب (٣٣٤٩)، روي ـ سلطنة عمان.

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة الآتية أسماؤهم:

● من السودان ـ معهد التربية، كسلا، الأخ إبراهيم علي محمد عبد الله.

● من مصر ـ بريد البرجاية، زهرة المنيا، الأخ صلاح عبد الظاهر محمد عيسى.

● من تونس ـ نهج محمد محسن، عدد ٧، حمام الألف، الأخ حفناوي بن عبد الجليل الهادفي.

● من المملكة العربية السعودية ـ الرياض، معهد الملز العلمي، الأخ حمد محمد عبد الله اللحيدان.

● من الجزائر ـ قسنطينة، ٢٢ نهج قديد صالح، الأخ درويش محمد بن محمد بن أحمد.

● من سورية ـ مجتهد، شارع أبو بكر الصديق، بناء مصطفى الأنقر، ط ١، الأخ محمد خلدون بكري مالك.

● من مصر ـ محافظة كفر الشيخ، مركز قلين، قلين البلد، الأخ خليل قطب محمد أبو قورة.

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من المملكة العربية السعودية ـ مكة المكرمة، ريع الكحل، بقالة أحمد محمد العامودي، الأخ حسين محمد أحمد العامودي.

● من اليمن ـ صنعاء، ص. ب (١٥٩٠)، الأخ يحيى عباس عامر.

● من سورية ـ حمص، الأخت شفيقة صالح موسن.

● من المغرب ـ الدار البيضاء، الزنقة ٤٤ المنزل ٥٦، الإدريسية الأولى، الأخ المحدال محمد عبد الإله.

● من العراق ـ البصرة، الأخت ثائرة جاسم محمد.

● من مصر ـ الأخت هند إبراهيم زاهر.

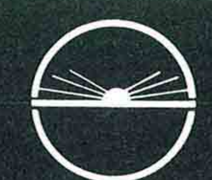
● من الأردن ـ عمّان، المحطة، ص. ب ٤١٥٠، الأخ طه مصطفى الزق.

● من البحرين ـ ١١٢١ طريق رقم ٦١٤ سترة، الخارجية ٦٠٦، الأخ عباس حسن صليل.

● من مصر ـ الإسكندرية، الأخت بدرية جمعة السيد بلال.

● من المغرب ـ الأخت فاطمة البقالي.





« وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شانه ان يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى » .

المتنبي والقرامطة

الكتاب عبارة عن محاضرة **للدكتور محمد محمد حسين** عن المتنبي والقرامطة ، تأتي دعماً للآراء التي تنفي قرمطية المتنبي من خلال إعادة التأمل في حياته وشعره ، وما يتضمنانه من شواهد تثبت التعارض الواضح بين شعره ومبادئ القرامطة . الكتاب من منشورات **دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع - الرياض** . يقع في (١٢٨) صفحة من الحجم الصغير .

ديوان الشيباني الموصلي

الديوان يحوي مجموعة من قصائد الأديب القاضي **عبد الرحمن الموصلي الشيباني** (١٠٢١ - ١١١٨ هـ) ، قام بجمعها وتحقيقها **الأستاذ صلاح الدين خليل الشيباني الموصلي** ، وهي تتضمن أشعاراً في مناسبات عدة . كما أضاف المحقق بياناً شاملاً بالمراجع والمخطوطات التي استعان بها في جمع وتحقيق الديوان الذي يقع في (٢٦٤) صفحة من الحجم المتوسط . نشر **المكتبة الشيبانية الموصلية بدمشق** .

علي الزيبق

الكتاب يتناول إحدى السير الشعبية في ثوب روائي جديد ، حيث يقدم **الأستاذ فاروق خورشيد** شخصية **علي الزيبق** المتميزة ببراعة الحيلة والشجاعة . وأحداث الرواية تدور في فترة زمنية معينة حفلت بانتفاضات بعض الشخصيات من أجل تحقيق عدالة اجتماعية ، وقد احتوت الرواية على تصوير حقيقي لحالة الشعب في كل من بغداد ، ودمشق والقاهرة في تلك الفترة . يقع الكتاب في (٢٧٤) صفحة من الحجم الصغير ، **منشورات دار الشروق - بيروت** .

سيف بن ذي يزن

كتاب **للأستاذ فاروق خورشيد** في مجال السير الشعبية ، تناول فيه قصة **« سيف بن ذي يزن »** الشهيرة ، ملتزماً فيها بصحة النقل مع حداثة التقديم الروائي . والكتاب ككل رواية لا يحفل بدقة الوقائع التاريخية . وتخرج شخصية بطلها من واقع معاناة العربي أمام سطوة الحبشة المتجبرة وعدوانها آنذاك . يقع الكتاب في (٣٨٤) صفحة من الحجم المتوسط ، **منشورات دار الشروق - بيروت** .

القرآن وعلم النفس

دراسة **للدكتور محمد عثمان نجاتي** في مجال علم النفس ، تناول فيها موضوع **« القرآن وعلم النفس »** ، مستعرضاً طريقة الآيات القرآنية في مخاطبة العقل والوجدان ، وما تضمنته الآيات من إشارات للدوافع الإنسانية والأحوال النفسية المختلفة وانفعالاتها وسبل علاجها . يقع الكتاب في (٢٨٨) صفحة من الحجم المتوسط ، **منشورات دار الشروق - بيروت** .

الإدارك الحسي عند ابن سينا

يشتمل الكتاب على بحث في **علم النفس عند العرب** ، يلقي فيه **الدكتور محمد عثمان نجاتي** الضوء على جانب من جوانب علم النفس عند **ابن سينا** وهو جانب **الإدراك الحسي** مع مقارنة أفكار ابن سينا في ذلك بمن سبقوه ومن أعقبوه ، وكذلك محاولة ربط تلك الأفكار بالمفاهيم الحديثة لعلم النفس . يقع الكتاب في (٢٤٤) صفحة من الحجم المتوسط ، **منشورات دار الشروق - بيروت** .

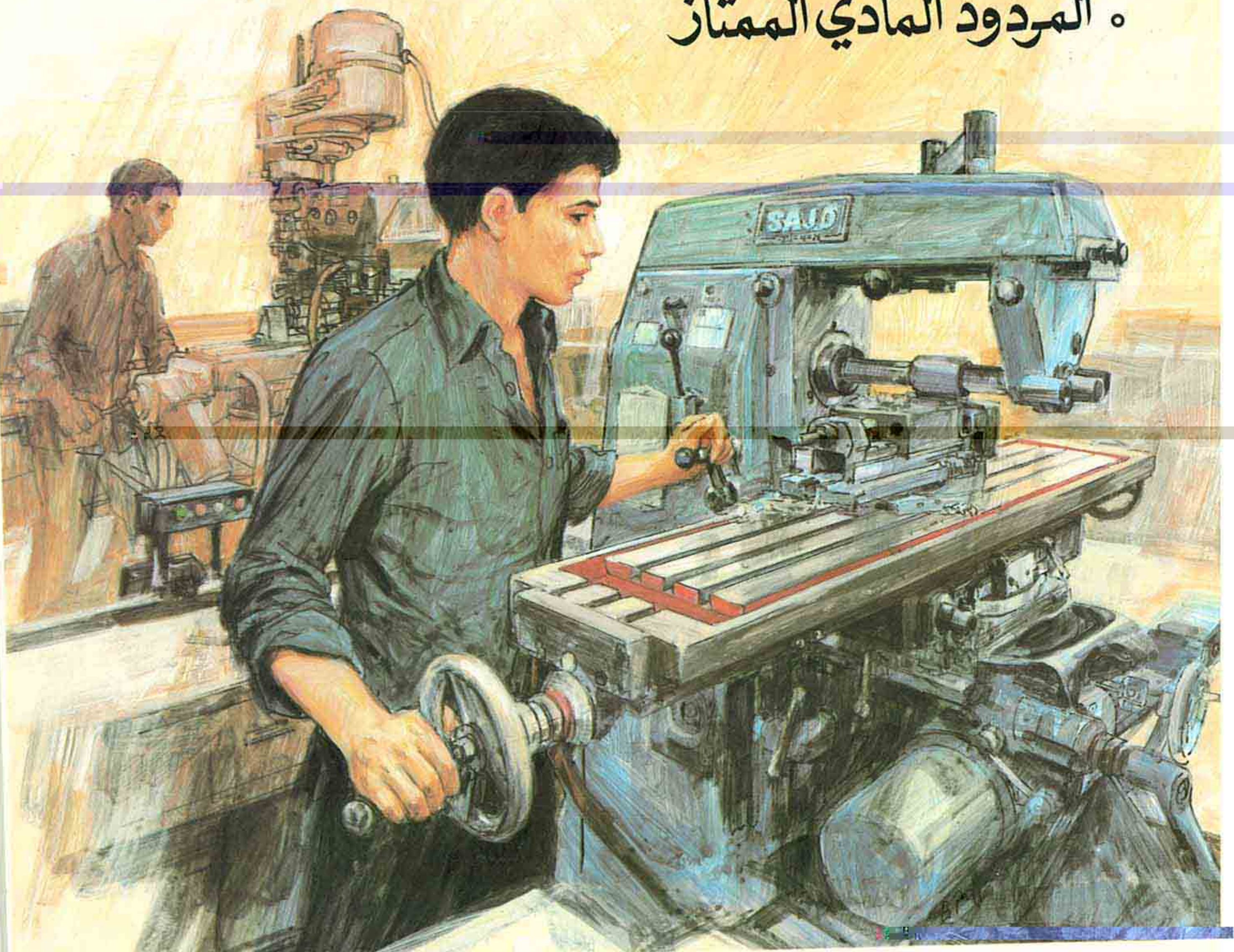
المختصر في تاريخ البلاغة

كتاب **للدكتور عبد القادر حسين** ، تناول فيه مراحل تطور علم البلاغة من العصر الجاهلي حتى مطلع القرن الثامن الهجري ، مع استعراض لدور الإعجاز القرآني في نشأة هذا العلم ، وكذلك الدور الذي قام به اللغويون والمتكلمون وجموع الأدباء على مر العصور في تطوير البلاغة . يقع الكتاب في (٢٥٢) صفحة من الحجم المتوسط ، **منشورات دار الشروق - بيروت** .

في سبيل موسوعة علمية

هذه الطبعة الثالثة من سلسلة **« في سبيل موسوعة علمية »** التي نبعت فكرتها من المقالات العلمية التي نشرها **الدكتور الراحل أحمد زكي** رئيس تحرير **مجلة « العربي » الكويتية** . وتأتي الموسوعة في أربعة عشر باباً حافلة بموضوعات شيقة في فروع العلم المختلفة بأسلوب مؤلفها المتميز . تقع الموسوعة في (٦٠٠) صفحة من الحجم الكبير مع العديد من الإيضاحات والصور ، **منشورات دار الشروق - بيروت** .





SAJO